العاهل الأردني في مهمة احتواء أزمة صامتة بين الجزائر ودول الخليج

ص2

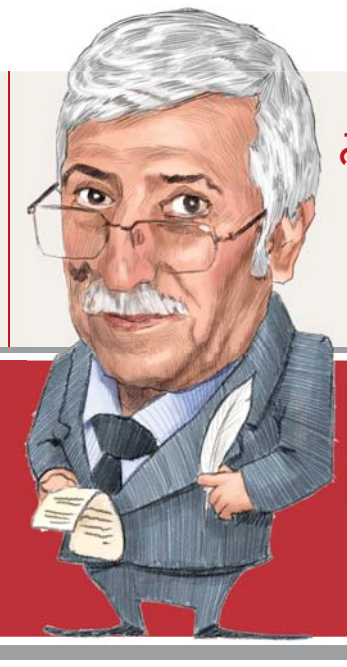

عبدالعزيز المقالح
شاعر التنوير الذي انتهى إلى الرثاء

ص9

الهاكرز يتربصون بالشرائح المزروعة في جسم الإنسان

ص15

العرب

www.alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2022/12/04
10 جمادى الأولى 1444
السنة 45 العدد 12617
Sunday 04/12/2022
45th Year, Issue 12617

الاتحاد سحب يده من مشروع الرئيس، فهل يسحب قيس سعيد يده من الاتحاد

الطبوبي من المطلبية إلى الدور السياسي: الانتخابات بلا لون ولا طعم

تونس - أظهر الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل نورالدين الطبوبي في خطاب له الأربعاء أن المنظمة النقابية قد سحبت يدها من مشروع التغيير الذي يقوده الرئيس قيس سعيد، والذي يرتكز على استعادة الدولة لقوتها في مواجهة اللوبيات، وفتح حرب على الفساد والفوضى السياسية التي أضعفت البلاد، وأنها قد اختارت القطيعة بلا عودة مع الرئيس.

ويقود خطاب القطيعة الذي ألقاه الطبوبي إلى التساؤل إن كان قيس سعيد سيسحب بدوره يده من الاتحاد بعد أن تعامل معه في الفترة الأخيرة على أساس أنه قوة تغيير وشريك في الانتقال الشامل في مواجهة منظومة الأحزاب التي ارتبطت بالفساد.

وعبّر الطبوبي السبت عن رفضه للانتخابات النيابية المقررة هذا الشهر، معتبرا أنها دون "طعم ولا لون"، في موقف وصفته أوساط سياسية تونسية بأنه خروج واضح عن الدور الاجتماعي للاتحاد القائم على المطلبية والحوار مع السلطة، وتعبير واضح عن رغبة الاتحاد في لعب دور سياسي في المرحلة المقبلة ليس كمنظمة نقابية، ولكن كحزب سياسي.

واستغربت الأوساط السياسية التونسية التوتر في خطاب الاتحاد، خاصة أنه ليس ثمة داع لكل هذا التصعيد، مستبعدة أن يكون الأمر مرتبطا بموضوع الانتخابات التشريعية الذي بات قضية جانبية قياسا بالحسابات الأخرى للاتحاد بعد أن شعر أن الأمور بدأت تتحسن مع التوصل إلى اتفاق مع صندوق النقد وشهادة منظمة فيتش التي رفعت من تصنيف تونس وأرسلت إشارات إيجابية للمستثمرين والمانحين.

> الاتحاد منزعج من أن الأمور تسير دونه، وأن صندوق النقد لم يعد يشترط أن تكون موافقته ضرورية للتوصل إلى الاتفاق

وترى هذه الأوساط أن الاتحاد منزعج من أن الأمور تسير دونه، وأن صندوق النقد الدولي لم يعد يشترط أن تكون موافقة المنظمة النقابية ضرورية للتوصل إلى الاتفاق بعد أن لمس عدم الجدية في مقاربة الإصلاحات والرغبة في الهروب إلى الأمام، في الوقت الذي يحرص فيه الصندوق على مواعيد واضحة وملزمة لبدء خطوات الإصلاح.

وقال الطبوبي في خطاب في العاصمة تونس أمام الآلاف من أنصار النقابة "نحن مقدمون على انتخابات بلا لون ولا طعم، جاءت وليدة دستور لم يكن تشاركيا ولا محلّ إجماع وموافقة الأغلبية وصيغ على قانون مُسقط احتوى ثغرات وخللا".

وفي ظل إنكار الاتحاد لمواقفه الداعمة لمسار قيس سعيد الذي بدأه في 25 يوليو 2021 بعد أن سانده واعتبره خطوة ضرورية لإنقاذ البلاد، بات السؤال الآن: هل سيستمر الرئيس سعيد في تنفيذ برنامجه متعدد الأوجه بما في ذلك الإصلاحات الاقتصادية والتحكم في المالية العمومية ومنع التلاعب بالمال العام، أم أنه سيقبل بأن يفرض الاتحاد عليه ما يريد ويدفعه إلى التراجع خوفا من التلويح بالإضرابات.

ويقول مراقبون إن الاتحاد ليست له رؤية واضحة وثابتة، فهو مع قيس سعيد في وقت ومع المعارضة في وقت آخر، وتحركه ضغوط سياسية داخله بين مجموعات بأجندات متعارضة كل واحدة تريد أن تثبت أنها الأقوى من خلال الدفع إلى التصعيد.

وأشار المراقبون إلى أن مواقف الطبوبي متقلبة، وأنه بعد أن وقّع اتفاقا مع حكومة نجلاء بودن بشأن زيادة الرواتب وأخذ معها الصور وأشاد بالاتفاق، خرج بعد أيام ليقول إن هذا الاتفاق معزول في نقطة جزئية، وإن لديه مطالب أخرى وشروطا يجب أن تتحقق أو أنه سيحول البلاد إلى ساحة حرب كما قال الطبوبي منذ يومين "إذا أردتموها معركة اجتماعية فيلكن ذلك".

بات الاتحاد يغيّر مكان الهدف وأبعاد الملعب للهروب من أيّ التزام يمكن محاسبته عليه، فمرة الرواتب ومرة أسعار المواد الأساسية، ومرة الانتخابات التشريعية، وفي كل مرة تجاوب فيها الرئيس سعيد كان الاتحاد يغير مواقفه ومطالبه بما فيها تأييده لقرارات الرئيس في البداية ثم الانقلاب في موقفه ورفضها.

وطالب الطبوبي في خطابه الحكومة بالكشف عن برنامج الإصلاحات الاقتصادية الذي اتفقت عليه مع صندوق النقد الدولي.

وتعاني تونس صعوبات اقتصادية منذ ثورة 2011، تفاقمت بسبب جائحة كوفيد مع تباطؤ النمو وارتفاع معدلات البطالة.

وتوصلت تونس التي تتجاوز ديونها 100 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، إلى اتفاق مبدئي مع صندوق النقد الدولي منتصف أكتوبر الماضي للحصول على قرض جديد بنحو ملياري دولار يتم صرفه على أقساط تبدأ في نهاية الشهر الحالي.

في المقابل، التزمت حكومة بودن بإنجاز إصلاحات تشمل الرفع التدريجي للدعم الحكومي عن منتجات أساسية غذائية وفي مجال الطاقة، وإعادة هيكلة شركات عامة تحتكر العديد من القطاعات وتعيش حالة من الفوضى وهيمنة للبيروقراطية والفساد.

ومثل تمسك الحكومة بالاتفاق والاستعداد لتنفيذه بالتنسيق مع الصندوق العنصر الذي زاد من توتر خطابات الطبوبي، وآخرها هجومه على الانتخابات.

وأقرّ الرئيس سعيّد انتخابات نيابية في الـ17 من ديسمبر الجاري بعد أن حلّ البرلمان السابق. كما أصدر في سبتمبر الماضي قانونا انتخابيا يقلّص بشكل كبير من دور الأحزاب السياسية.

ويعتمد القانون الانتخابي الجديد النظام الأكثري الفردي على دورتين بدلا من الانتخاب على أساس القوائم الذي كان معمولا به.

وسيتألف البرلمان الجديد من 161 نائبا، وستكون صلاحياته محدودة للغاية بموجب الدستور الجديد الذي أقر في استفتاء نظّمه سعيّد في يوليو شهد مقاطعة كبيرة.

وتقدم 1058 مرشحا لهذه الانتخابات التي تواجه انتقادات وبالأخص مع غياب تام لمرشحين في دوائر بالخارج واقتصار دوائر أخرى على مرشح واحد.

الطبوبي في منتهى التشنج

البرد وماكرون يمهدان لوقف الحرب في أوكرانيا

باريس / موسكو - أعطى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أقوى إشارات الاستعداد الغربي لتقديم تطمينات أمنية للرئيس الروسي فلاديمير بوتين والتمهيد لوقف الحرب بعد أن صار واضحا أن موسكو ليست بصدد التراجع رغم الانتكاسات العسكرية، وأن سلاح الطاقة سيكون ذا أثر بعيد مع تراجع درجات الحرارة في أوروبا.

وأبدى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون السبت استعداده لتقديم ضمانات أمنية لروسيا إذا عادت إلى طاولة المفاوضات.

وقال ماكرون، في مقابلة مع تلفزيون "تي أف1" الفرنسي، "يجب علينا أن نفكر في الهيكل الأمني الذي سنعيش في ظله غدا. أتحدث بشكل خاص عن كلام الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بأن الناتو يقترب من حدود روسيا، وينشر أسلحة يمكن أن تهددها".

وتابع في تصريحاته التي نقلتها أيضا وكالة أنباء تاس الروسية "هذه المسألة ستكون جزءا من المناقشات حول السلام، ويجب أن نستعد لما سيأتي بعد (النزاع الأوكراني)، ونفكر كيف يمكننا أن نحمي حلفاءنا وفي الوقت نفسه كيف نقدم لروسيا ضمانات تخص أمنها بمجرد عودة الأطراف إلى طاولة المفاوضات".

وينظر العالم إلى اجتماع أوبك+ ودخول سقف الأسعار للنفط الروسي على التوالي يومي الأحد والاثنين كنقطة فاصلة، في ظل مخاوف من أن يؤدي التصعيد الغربي – الروسي إلى تخفيض جديد في الإمدادات سواء بقرار جماعي داخل أوبك+ أو بقرار من موسكو في حال تمسكت الدول السبع بوضع سقف لأسعار النفط الروسي.

وقال الناطق باسم الرئاسة الروسية ديميتري بيسكوف للصحافيين "لن نقبل هذا السقف". وأكّد أن موسكو كانت قد "استعدّت" لمثل هذا الأمر، من دون أن يضيف أيّ تفاصيل.

وتراقب أوروبا بترقب كبير الموقف الروسي وسط تلميحات بأن موسكو قد تقرر خفض إنتاجها في حدود مليون ونصف مليون برميل يوميا، وهي خطوة ستؤثر بشكل كبير على الإمدادات في السوق العالمية وتدفع إلى ارتفاع حاد في الأسعار.

ويدور سعر برميل النفط الروسي الخام من جبال الأورال حاليًا حول 65 دولارًا، وهو أعلى بقليل من السقف الأوروبي، ما يشير إلى تأثير محدود للإجراء الأوروبي على المدى القصير. لكن مع ذلك تلوّح روسيا بردة فعل قوية.

ولا يعرف إن كانت دول أوبك+ ستستمر في سياسة تخفيض الإنتاج أم لا للحفاظ على مستوى ثابت للأسعار، وإذا تزامن هذا مع الخطوة الروسية المتوقعة فستحدث أزمة عالمية كبيرة.

وتأتي تصريحات ماكرون بالتزامن مع تواصل المستشار الألماني أولاف شولتس مع بوتين وتصريحات من الرئيس الأميركي جو بايدن تحث روسيا على التحرك لوقف الحرب، وهو ما يحمل إقرارا غربيا بأن قرار حث أوكرانيا على الدخول في الحرب كان خاطئا وأن مسار استفزاز روسيا أدّى إلى نتائج مخيبة لأوروبا التي تكتوي حاليا بنار هذه الحرب على أبواب الشتاء.

والجمعة، اتفقت الدول الـ27 الأعضاء في الاتحاد الأوروبي ومجموعة دول السبع وأستراليا على وضع حد أقصى لسعر النفط الروسي عند 60 دولارًا للبرميل.

وعادت بولندا التي رفضت دعم خطة تحديد سقف للسعر باعتباره مرتفعًا جدًا، ووافقت على ذلك، كما أكد سفيرها لدى الاتحاد الأوروبي مساء الجمعة.

ومطلع سبتمبر الماضي، كان وزراء مالية الدول الأعضاء في مجموعة السبع قد اتفقوا على هذه الآلية المصممة لحرمان روسيا من الموارد المالية.

وقالت مجموعة السبع وأستراليا إن الآلية ستدخل حيز التنفيذ الاثنين "أو بعد ذلك بوقت قصير جدًا".

> تصريحات ماكرون تتزامن مع تواصل المستشار الألماني مع بوتين وتصريحات لبايدن تحث روسيا على وقف الحرب

ويفترض أن يمنع نظام الاتحاد الأوروبي الشركات من تقديم خدمات تسمح بالنقل البحري (الشحن والتأمين وغيرها) للنفط الروسي إذا تجاوز سعره الحد الأقصى البالغ 60 دولارًا، من أجل الحد من الإيرادات التي تجنيها موسكو من عمليات التسليم إلى الدول التي لا تفرض حظرًا مثل الصين أو الهند.

وتسعى الآلية التي اقترحتها بروكسل أيضًا لإضافة حدّ 5 في المئة أقل من أسعار السوق في حال انخفاض سعر النفط الروسي إلى أقلّ من 60 دولارًا.

وفي أوكرانيا، حثت السلطات مجددًا السبت المدنيين على التأقلم رغم الظروف المعيشية الصعبة بشكل متزايد. ويغرق انقطاع التيار الكهربائي الملايين من الأوكرانيين في الظلام عدة مرات يوميًا، في ظلّ اجتياح البرد لمنازلهم.

وفي بعض المناطق، تلامس درجات الحرارة أقل من 5 درجات مئوية تحت الصفر في الأيام الأخيرة، على أن تكون درجات الحرارة المحسوسة منخفضة بعد أكثر.

وقال حاكم منطقة ميكولايف (جنوب) فيتالي كيم للتلفزيون الأوكراني "علينا أن نصمد".

إيران تعلن عن مراجعة قانون الحجاب.. مناورة لتخفيف الضغوط

طهران - يجري البرلمان والسلطة القضائية في إيران مراجعة للقانون الذي يفرض على النساء وضع غطاء للرأس والذي أطلق شرارة احتجاجات دامية تشهدها البلاد منذ أكثر من شهرين، وفق ما أعلن المدعي العام.

يأتي هذا في وقت يقول فيه مراقبون إن هذه الخطوة تعكس عجز إيران عن مواجهة الاحتجاجات، ولأجل ذلك فهي تلجأ إلى خطوة لتخفيف الضغوط في الداخل والخارج، خاصة بعد أن توسعت مشاركة النساء فيها وحققن انتصارا رمزيا على النظام المحافظ.

وأضاف المراقبون أن قضية الحجاب حساسة لدى النظام، ومن الصعب أن يفتح فيها أيّ ثغرة يمكن أن تستفز المتشددين الذين يسيطرون على مختلف المؤسسات الحساسة من القضاء إلى مجلس الشورى إلى الحرس الثوري، فضلا عن المرشد علي خامنئي، معتبرين أن فكرة مراجعة قانون الحجاب موجهة إلى الخارج أيضا في محاولة للتخفيف من حملات المنظمات الحقوقية والتضامن الواسع مع المرأة الإيرانية.

وتشهد إيران تحرّكات احتجاجية منذ وفاة الشابة الإيرانية الكردية مهسا أميني البالغة 22 عاما بعدما أوقفتها "شرطة الأخلاق" في 16 سبتمبر الماضي لمخالفتها قواعد اللباس الصارمة في إيران.

وتخلّلت الاحتجاجات إحراق متظاهرات لحجابهن كما تم إطلاق هتافات مناهضة للحكومة. ومنذ وفاة أميني يتزايد عدد النساء اللواتي يرفضن وضع الحجاب، خصوصا في شمال إيران.

وأصبح الحجاب إلزاميا في إيران اعتبارا من أبريل 1983، أي بعد أربع سنوات على الثورة الإسلامية التي أطاحت بنظام الشاه.

وفي مدينة قم، قال المدعي العام الإيراني محمد جعفر منتظري إن "البرلمان والسلطة القضائية يعملان (على هذه القضية)"، في إشارة إلى تحديد ما إذا كان القانون يحتاج إلى تعديل. ولم يشأ منتظري تحديد ما الذي يمكن تعديله في القانون، وفق ما نقلت عنه وكالة أنباء الطلبة الإيرانية "إسنا" الجمعة.

والأربعاء التقت الهيئة المكلفة بالمراجعة باللجنة الثقافية في البرلمان، وقال المدعي العام إن النتائج ستصدر "في غضون أسبوع أو أسبوعين".

والسبت قال الرئيس الإيراني ابراهيم رئيسي في كلمة متلفزة إن الأسس الجمهورية والإسلامية لإيران راسخة في الدستور. لكنه أشار إلى أن "وسائل لتطبيق الدستور يمكن أن تكون مرنة".

وبعد أن أصبح الحجاب إلزاميا ومع تغيّر معايير اللباس بات من الشائع رؤية نساء يرتدين الجينز الضيق والحجاب الفضفاض الملون.

لكن في يوليو من العام الحالي، دعا رئيسي المحافظ المتشدد "جميع مؤسسات الدولة لفرض قانون الحجاب".

مع ذلك واصلت نساء عديدات تحدي الأنظمة.

وتتّهم إيران الولايات المتحدة وحلفاء واشنطن، لاسيما بريطانيا وإسرائيل والسعودية وفصائل كردية خارج البلاد، بالتحريض على أعمال العنف التي تشهدها شوارع إيران.

وهذا الأسبوع وللمرة الأولى أعلن قائد القوة الجوفضائية للحرس الثوري العميد أمير علي حاجي زاده مقتل أكثر من 300 شخص في إيران منذ اندلاع الاحتجاجات على وفاة أميني.

والسبت أصدر مجلس الأمن القومي الإيراني بيانا أعلن فيه مقتل "أكثر من 200 شخص" في الاضطرابات.

ونقلت وكالة الجمهورية الإسلامية للأنباء عن المجلس أن الحصيلة تشمل عناصر أمن ومدنيين ومسلحين انفصاليين و"مشاغبين".

وأشار مجلس الأمن القومي الإيراني إلى أنه بالإضافة إلى حصيلة القتلى تقدر الأضرار التي نجمت عن أعمال العنف بالملايين من الدولارات.

وتفيد منظمة حقوق الإنسان في إيران، ومقرها أوسلو، بأن قوات الأمن قتلت حتى الآن 448 متظاهرا على الأقل معظمهم في سيستان بلوشستان.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

أزمة عمال الحضائر: اتفاقيات حكومية سابقة تضغط على حكومة بودن

دعوات للاحتجاج من أجل تسوية الملف والخروج من دائرة الهشاشة الاجتماعية والمهنية

إضرابات واعتصامات للضغط على الحكومة

خالد هدوي

تونس - تجد حكومة نجلاء بودن نفسها في مواجهة أزمة عمال الحضائر، وهي أزمة معقدة تعود إلى اتفاقيات سابقة التزمت بما تعجز ميزانية الدولة عن الإيفاء به خاصة وأن عدد العاملين وفقا لهذه الاتفاقيات يقدّر بالآلاف.

ويطالب عمال الحضائر من الفئة العمرية 45 – 55 سنة بتسوية وضعيّاتهم وإخراجهم من دائرة الهشاشة الاجتماعية والمهنية عبر تفعيل القانون عدد 27 لسنة 2021 الذي صيغ لذلك الغرض.

وقال مجمع التنسيقيات الجهوية لعمال الحضائر إن "تحركه يأتي احتجاجا على ما وصفه بعدم وفاء الحكومة لالتزاماتها بتسوية وضعيات عمال الحضائر ممن سنهم بين 45 و55 سنة".

> محكمة المحاسبات أشارت سابقا إلى تسجيل الآلاف من الأسماء الوهمية في هذه القوائم والحصول على رواتب دون ممارسة العمل

وعبر عن "رفضه لما أسماه بالمؤشرات التي تشير إلى عدم رصد اعتمادات في ميزانية الدولة لتسوية وضعيات عمال الحضائر"، مؤكدا "تمسكه بالنضال والاحتجاج من أجل إدماج عمال الحضائر".

وأمضى رئيس الحكومة السابق هشام المشيشي والأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل نورالدين الطبوبي اتفاقا في 20 أكتوبر 2020 يقضي بتسوية وضعيات عمال الحضائر بعد مشاورات طويلة مع الحكومات المتعاقبة منذ سنوات.

ومكّنت تلك الاتفاقية من تسوية وضعية قرابة 31 ألف عامل من عملة الحضائر الجهوية وعمال الحضائر الفلاحية وشملت ثلاثة عناوين كبرى، يهمّ العنوان الأول الذين يقل سنهم عن 45 سنة في حين يهم العنوان الثاني ما فوق 45 سنة إلى حدود 55 سنة أما العنوان الثالث فيخص ما فوق 55 سنة.

وبخصوص وضعية العمال الذين بلغ سنهم60 سنة، تقرر تمكينهم من منحة تساوي منحة العائلات الضعيفة، ومواصلة تمكين الذين سنهم بين 55 و59 سنة من العمل في إطار الحضائر وتمكينهم من المنحة المشار إليها حين بلوغ 60 سنة.

واقترحت الحكومة آنذاك إمكانية إدراج برنامج للتكوين والتدريب للراغبين من هؤلاء العملة لإكسابهم المهارات الضرورية للحصول على عمل لائق.

وتم الاتفاق خلال الجلسة التي حضرها وزير الشؤون الاجتماعية وأمناء عامون مساعدون لاتحاد الشغل على مواصلة التشاور والحوار واستكمال تحديد حاجيات بقية الوزارات.

وبعد سلسلة من الاحتجاجات، أصدرت رئاسة الحكومة الأمر الحكومي المتعلق بإدماج عمال الحضائر في الرائد الرسمي بتاريخ 18 يوليو 2021 وإنهاء العمل بآلية تشغيل عملة الحضائر الجهوية والحضائر الفلاحية.

وخلّف الاتفاق حينها غضب العمال الذين تتراوح أعمارهم بين 45 و55 سنة باعتباره نص على تسريحهم مقابل 20 ألف دينار.

وقال جمال الزموري المتحدث باسم مجمع التنسيقيات لعمال الحضائر إن "الاتفاق المبرم في أكتوبر 2020 منصف من جانب وظلم فئة معينة من جانب آخر، حيث تم اقتراح تسريح من سنهم بين 45 و55 سنة مقابل تعويضات مالية قدرت بـ20 ألف دينار".

وأضاف في تصريح لـ"العرب" أن "الحكومة بدأت في تنفيذ إجراءات من هم أقل من 45 سنة بخطوات بطيئة، وعقدنا بعد ذلك جلسات مع أطراف حكومية كان آخرها في 28 مايو الماضي، لكننا بدأنا نشعر وكأن الحكومة تتنصل من تلك الوعود وفي هذا الإطار يأتي احتجاجنا حتى يتم إدراجنا في الميزانية الجديدة".

وطالب الزموري بـ"تفعيل القانون 27 لسنة2021"، لافتا إلى أن "العدد الجملي لعمال الحضائر في حدود 47 ألف عامل، منهم 31 ألفا دون 45 سنة ، فيما يبلغ عدد العمال بين 45 و55 15280 عاملا".

وتختلف تقديرات الأرقام بخصوص عمال الحضائر حسب احتياجات الدولة منذ ما يزيد عن 10 سنوات.

وسبق أن قدّر المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية عددهم بحوالي 100 ألف عامل يشتغلون وفقا لهذه الآلية، لكن عضو التنسيقية جمال الزموري أكد أن عدد عمال الحضائر يقدّر بحوالي 74 ألفا أغلبهم (47 ألفا) يعملون في الحضائر الجهوية أي في منشآت ومؤسسات عمومية فيما يعمل البقية في الحضائر الفلاحية.

ويرى مجمع التنسيقيات الجهوية لعمال الحضائر ما بعد 2011، أن الحكومة لم تنفذ التزاماتها بتسوية وضعيات هؤلاء العمال، في خطوة قد تشير إلى تنصّل الحكومة من مسؤولياتها.

وقالت الممثلة عن التنسيقيات الجهوية لعمال الحضائر إيمان العزري الأربعاء إنهم تلقوا وعودا بتسوية وضعية عمال الحضائر 44 – 45 سنة لكن الحكومة لم تف بتعهداتها.

ويطالب مراقبون بضرورة التواصل الحكومي في إدارة هذا الملف الشائك مع التزام الحكومة بتنفيذ تعهدات من سبقوها.

وأفاد فوزي بن عبدالرحمن وزير التشغيل السابق أنه "لا يوجد من يتابع الموضوع بجدية حتى تطبّق الحكومة التزاماتها، نظرا إلى ضعف الميزانية وعدم الزيادة في كتلة الرواتب".

وقال في تصريح لـ"العرب"، "لا يوجد أيّ داع يمنع الحكومة من تطبيق الالتزامات، ويفترض أن يكون هناك تواصل حكومي، كما أن الاتفاق المبرم مع صندوق النقد الدولي موجود كهاجس دائم لديها".

ويشترط مجمع التنسيقيات الجهوية لعمال الحضائر ما بعد 2011 تراجعه عن التصعيد الميداني الذي سيتوجّه له، "بتمكين الحكومة عمال الحضائر من حقهم في الإدماج الوظيفي، وتفعيل القانون عدد 27 لسنة 2021 بفتح باب الخروج الطوعي لمن يرغب في ذلك، وانتداب البقية على دفعات بتركيز منصة إلكترونية في أقرب وقت، على ألا يتجاوز ضبط القائمة النهائية موفى شهر ديسمبر 2022، قبل المرور مباشرة في التسوية".

كما تم التنصيص على وجوبية الخروج الطوعي للعمال الذين يتراوح سنهم بين 45 و55 سنة مقابل منحة مغادرة تناهز الـ20 ألف دينار مع مواصلة الانتفاع بالتغطية الصحية على أن تتكفل الدولة بالمساهمات الموافقة للفترة الدنيا المُستوجبة لدى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، وهو ما رفضه عدد كبير من المعنيين.

واقترنت بالملف العديد من التجاوزات، حيث أكدت محكمة المحاسبات في تقارير سابقة تسجيل الآلاف من الأسماء الوهمية والحصول على رواتب ومنح من دون ممارسة العمل الموكل إليهم، فضلا عن عمل بعض الأشخاص ضمن هذه الآلية من دون استكمال شروط الانتفاع بها، من قبيل العمل في وظيفة أخرى غير تلك التي منحه إياها هذا الإجراء، وذلك إلى جانب التجاوزات المتعلقة بعمليات تسوية الأوضاع.

كما بيّنت المحكمة من خلال عملية تدقيق شملت أوضاع أكثر من 70 ألف عامل حظائر في مختلف الجهات أنّ نحو 9 آلاف عامل يتقاضون منحا مزدوجة أو لديهم مشكلات تتعلق بحصولهم على معرّف جبائي أو أرقام تخص التغطية الاجتماعية.

وفي 2019، قامت وزارة التنمية والتعاون الدولي بعملية تدقيق أدت إلى تسريح أكثر من 30 ألف عامل كانوا يتقاضون رواتب من دون وجه حق، وكان بعضهم يعمل في قطاعات أخرى، سواء خاصة أو عامة، وتبيّن أنّ آخرين من الموتى أو تجاوزوا الستين عاما، كذلك ثمّة أشخاص يتقاضون رواتب شهرية منذ سنوات، وهم يلزمون بيوتهم وعاطلون عن العمل.

وسبق أن أعلنت الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد تلقيها عريضة تفيد تعمّد موظّفين في إحدى معتمديات الكاف تسجيل 40 شخصا كعمّال حظائر يحصلون على قسط من رواتبهم في حين أنّهم لا يعملون فعليا، مضيفة أنّ "هؤلاء الأشخاص بالإضافة إلى كونهم من أصحاب الأملاك، لا تتوافر لديهم شروط العمل بمقتضى الآلية المذكورة".

وغرقت الدولة في الانتدابات العشوائية منذ 2011 في إطار الترضيات، بتقديم وظائف وهمية لإسكات أصوات قد تحتج ضد السلطة وتطالب بالتشغيل في أيّ لحظة.

وفضلا عن وضعية عمال الحضائر تواجه تونس حزمة من الأزمات الاجتماعية والاقتصادية أحالت الكثير من المواطنين على البطالة، كما ارتفعت نسبة الفقر وتراجعت القدرة الشرائية للتونسيين.

العاهل الأردني في مهمة احتواء أزمة صامتة بين الجزائر ودول الخليج

الجزائر - يقوم العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني بزيارة رسمية إلى الجزائر يُنتظر أن تسهم في إزالة الفتور المسجل في علاقات الجزائر مع دول الخليج، لاسيما وأنها تسبق زيارة مرتقبة لولي العهد السعودي الأمير محمد سلمان وتأتي في سياق إقليمي ودولي تغلب عليه التوترات خاصة الأزمة الأوكرانية، والتهديدات الإيرانية لمنطقة الخليج والتطبيع العربي – الإسرائيلي، فضلا عن الأزمة الثنائية بين الجزائر والمغرب.

وذكر بيان مقتضب للرئاسة الجزائرية أنه بدعوة من الرئيس عبدالمجيد تبّون يشرع الملك عبدالله الثاني "في زيارة دولة إلى الجزائر تدوم يومين، ابتداء من السبت".

ولم يقدم تفاصيل أخرى حول الزيارة التي تكتسي أهمية قياسا بقدرتها على تحريك المياه الراكدة في المنطقة، خاصة في ما يتعلق بأزمة صامتة بين الجزائر وعدد من دول الخليج العربي.

وبالموازاة مع المصالح الاقتصادية والتجارية المشتركة بين البلدين، فإن الزيارة تخيم عليها عدة ملفات عربية وإقليمية، وقد تكون خطوة في طريق تصفية الأجواء بين الطرفين، خاصة وأن الجزائر لم تستسغ غياب قادة عرب عن القمة العربية التي احتضنتها في مطلع شهر نوفمبر الماضي.

ويرجح أن يشكل الموقف الجزائري من إيران، والتطبيع العربي – الإسرائيلي والقطيعة الدبلوماسية بين الجزائر والمغرب، المحور الأساسي لأجندة العاهل الأردني. ولا يستبعد في هذا الشأن فرضية الوساطة بين الطرفين لحلحلة الأزمة، فضلا عن حشد الموقع الجزائري الحالي في القمة العربية لدعم القمة الصينية – العربية المنتظرة في المملكة العربية السعودية.

وكان الرئيس الجزائري قد ظهر في أحاديث هامشية مع العاهل الأردني وولي العهد السعودي في الدوحة على هامش حفل افتتاح مونديال "فيفا" قطر 2022، مما أعطى الانطباع بأن اللقاءات الهامشية على قدر من الأهمية في رسم معالم استحقاقات عربية قادمة.

وعرفت العلاقات الجزائرية مع غالبية دول المشرق العربي حالة من الفتور خلال السنوات الأخيرة نتيجة تضارب المواقف بشأن عدة خيارات إقليمية، على غرار الموقف الجزائري من إيران تجاه تهديداتها المستمرة لمنطقة الخليج العربي.

وتحدثت العديد من التقارير عن تأجيل زيارة لولي العهد السعودي خلال الأشهر الماضية إلى الجزائر عدة مرات بسبب الخلافات المذكورة، وحملت المقاطعة غير المعلنة لقادة عرب من منطقة الخليج العربي للقمة العربية التي احتضنتها الجزائر مطلع الشهر الماضي، موقفا دبلوماسيا تجاه خياراتها في ما يتعلق بالقطيعة مع المغرب، والعلاقات مع إيران ودعم النظام السوري.

وكانت الجزائر على لسان الرئيس تبون قد رفضت بشكل قطعي أي شكل من أشكال التطبيع مع إسرائيل، واعتبرت القضية الفلسطينية قضية محورية في أجندتها، واحتضنت لقاء مصالحة فلسطينية – فلسطينية توج بإعلان الجزائر، كما ظلت ترافع لصالح عودة سوريا إلى موقعها في الجامعة العربية، فضلا عن إدراجها لعلاقاتها مع إيران في نطاق سيادتها الوطنية.

ملفات سياسية ثقيلة ينتظر أن يفتحها العاهل الأردني في زيارته إلى الجزائر من أجل تجاوز حالة البرود التي تخيم على العلاقات بين الطرفين، خاصة وأن التطورات المستجدة في المنطقة والعالم تكون قد بلورت مقاربة لدى القيادات العربية لحشد العمل العربي لمواجهة التحديات القائمة، ولذلك لا يستبعد أن تكون حلحلة الخلافات الثنائية خاصة بين الجزائر والرباط في صدارة الأجندة المذكورة.

ويكون محور الجزائر – المشرق العربي بصدد تلقي دفع دبلوماسي لافت في الآونة الأخيرة، فبالموازاة مع الزيارة التي يقوم بها الملك عبدالله الثاني، تحدثت تقارير عربية عن زيارة مرتقبة للأمير محمد بن سلمان إلى الجزائر قريبا، لتنهي حالة التردد التي لازمت البلدين في الآونة الأخيرة، واحتواء أزمة صامتة بينهما.

> ملفات سياسية ثقيلة ينتظر أن يفتحها العاهل الأردني في زيارته إلى الجزائر لتجاوز حالة البرود في علاقات الطرفين

ولفتت إلى أن الموقف العربي المشترك تجاه التطورات المستجدة في المنطقة والعالم، واشتداد أزمة الطاقة باتا يفرضان اهتماما متزايدا لقادة المنطقة العربية، خاصة وأن الجزائر والرياض تجمعهما إلى جانب القواسم القومية، العديد من القواسم الاقتصادية والإستراتيجية المشتركة على غرار الانتماء إلى منظمة أوبك وتحالف أوبك+، ورغبتهما في الانضمام إلى منظمة "بريكس"، فضلا عن رغبة في حشد موقف عربي في القمة المنتظرة مع الصينيين.

وبالموازاة مع الأجندة السياسية للزيارة، يرى الخبير السياسي عبدالقادر سليماني أن "التعاون الاقتصادي حاضر بقوة في لقاءات الملك عبدالله الثاني وتبون، حيث ينتظر التخطيط العملي لعقد اللجنة الجزائرية – الأردنية المشتركة لبحث آفاق التعاون الاقتصادي والتجاري وكذلك الاستثماري والسياحي والتعليمي".

كما ينتظر التطرق إلى العديد الاتفاقيات التي بدأ الحوار حولها لإيجاد مساحة أوسع للتعاون سواء في مجال التعليم أو الاستثمار والربط بين القطاع الخاص في كلا البلدين إلى جانب التعاون الطبي وغيره من المجالات، وذلك من خلال التوجه نحو تفعيل اتفاقية التجارة الثنائية الموقعة بين البلدين العام 1997 بشكل أكبر وزيادة دور اللجنة الفنية التجارية المشتركة.

والتوجه نحو وضع خارطة طريق لتنويع قاعدة السلع المتبادلة بين الجانبين وتقليل المعيقات الجمركية وغير الجمركية لتسهيل انسيابية السلع، خاصة وأن حجم التبادل التجاري وكذلك الاستثماري ما يزال أقل من مستوى الطموحات.

العاهل الأردني في جولة من مصر إلى الجزائر

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

البحرية الأميركية تعترض سفينة على متنها ذخيرة في طريقها إلى اليمن

الولايات المتحدة تضيّق الخناق على الحوثيين لإيقاف تزويدهم بأسلحة «فتاكة»

أعلنت البحرية الأميركية السبت عن اعتراض سفينة صيد في خليج عمان تحمل على متنها أكثر من خمسين طنا من "طلقات الذخيرة وصمّامات ووقود للصواريخ" في طريقها إلى اليمن. وليست هذه المرة الأولى في الآونة الأخيرة التي يجري فيها اعتراض مسار سفن وقوارب متجهة إلى موانئ اليمن لإمداد الحوثيين، غالبا ما تكون قادمة من إيران.

إيران مستمرة بتهريب المساعدات العسكرية وزعزعة استقرار المنطقة

المنامة - قال الأسطول الخامس الأميركي ومقرّه البحرين في بيان إن أفراد البحرية الذين يعملون من قاعدة لويس بي بولر "إي.إس.بي 3" البحرية الاستكشافية اكتشفوا شحنة غير مشروعة، بعد أن تم اعتراض سفينة صيد محمّلة بالذخائر في الأول من ديسمبر الجاري، خلال عملية التحقق من العلم، مما يمثل ثاني أكبر مصادرة ينفذها الأسطول الخامس لأسلحة غير قانونية في غضون شهر.

ونقل البيان عن نائب الأدميرال براد كوبر قوله إن هذه العملية "تظهر بوضوح استمرار نقل إيران غير القانوني للمساعدات الفتاكة وسلوكها المزعزع للاستقرار".

وكانت البحرية الأميركية اعترضت في نوفمبر الماضي سفينة صيد تحمل على متنها "كمية ضخمة من المواد المتفجرة" آتية من إيران. وعثرت القوات الأميركية في حينه على أكثر من 70 طنا من كلورات الأمونيوم ومئة طن من سماد اليوريا الذي يمكن استخدامه لصنع المتفجرات. وقامت القوات الأميركية بعدها "بإغراق السفينة".

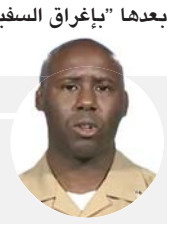

تيم هوكينز

الولايات المتحدة ملتزمة بأمن مضيقي هرمز وباب المندب

وقبل نحو أسبوعين أكد المتحدث باسم الأسطول الخامس في البحرية الأميركية تيم هوكينز أن الولايات المتحدة جاهزة لمواجهة التهديدات الإيرانية للمنطقة. وأضاف خلال مقابلة تلفزيونية أن "الولايات المتحدة ملتزمة بالحفاظ على أمن منطقة مضيقي هرمز وباب المندب".

وفي يوليو أعلنت البحرية البريطانية عن ضبط أسلحة إيرانية في وقت سابق من العام الجاري، بما في ذلك صواريخ أرض جو ومحركات لصواريخ كروز على متن قوارب تهريب سريعة في المياه الدولية جنوب إيران.

وكانت الأمم المتحدة قد كشفت في وقت سابق، عبر لجنة خبراء في مجلس الأمن الدولي معنية باليمن، أنه من المرجح أن يكون ميناء إيراني هو مصدر الآلاف من الأسلحة التي صادرتها البحرية الأميركية في بحر العرب.

وقوارب نقل الأسلحة، وفقاً للخبراء، مصدرها ميناء جاسك الإيراني على بحر عُمان، بحسب اعترافات أفادت بها الطواقم، بالإضافة إلى بيانات الأجهزة الملاحية، فيما تستمر طهران بنفي تزويدها للحوثيين بالأسلحة والذخائر، زاعمة أنها تقوم بدعمهم سياسياً.

وفي مثل هذه الشهر من العام الماضي أعلنت البحرية الأميركية أيضاً عن ضبط شحنة أسلحة من إيران إلى الحوثيين على متن سفينة صيد في مياه الخليج.

وقال بيان الأسطول الخامس الأميركي حينها، إن الشحنة تتألف من نحو 1400 رشاش من طراز "أي.كي – 47" وأكثر من 226 ألف طلقة ذخيرة، مؤكداً أن العملية جرت في شمال بحر العرب.

وبيّنت البحرية الأميركية أنّ سفنها عثرت على الأسلحة أثناء عملية تفتيش أجراها أفراد من خفر السواحل الأميركي، وتم نقل الأسلحة والذخيرة غير المشروعة في وقت لاحق إلى مدمّرة، ليتم التخلص منها نهائيا.

وسبق للبحرية الأميركية أن حدّدت مصدر السفن التي تزود الحوثيين بالعتاد، عبر ممر بحري قالت إنه "يُستخدم تاريخيا لتهريب الأسلحة بشكل غير قانوني". وتم تصنيف السفينة وقتها على أنها "تشكل خطرا على الملاحة والشحن التجاري"، وبناء عليه تم إغراقها.

ويعدّ التشابه بين المواد المنقولة عبر خطوط التهريب إلى أذرع إيران العسكرية مؤشراً على طبيعة التصعيد الإيراني المتواصل في نقاط التوتر في المنطقة؛ سواء للحوثيين في اليمن عبر إرسال كلورات الأمونيوم، أو في حالة حزب الله اللبناني والذي شكّل انفجار شحنة كبيرة من نيترات الأمونيوم في مرفأ بيروت كارثة على كل المستويات في لبنان، وخلّف انفجار الكميات المخزنة منها في ميناء بيروت أكثر من 150 قتيلاً، ونحو 6 آلاف جريح، وتمّ تدمير نصف العاصمة اللبنانية بيروت.

وكانت الأمم المتحدة قد أصدرت في العام 2011 لائحة تنظيمية لنقل المواد الخطرة، ومن بينها البيركلورات التي تستخدم في صناعة الصواريخ من بينها كلورات الأمونيوم، وسماد الأمونيوم، بالإضافة إلى الغازات اللهوبة القابلة للانفجار بدرجة شديدة، والأيروسولات، والسوائل المؤكسدة.

ويستمر النزاع في اليمن منذ العام 2014 بين الحوثيين المدعومين من إيران وقوات الحكومة يساندها تحالف عسكري بقيادة السعودية. وتسبّبت الحرب في مقتل مئات الآلاف من الأشخاص بشكل مباشر أو بسبب تداعياتها، وفق الأمم المتحدة.

وفيما لا يزال الحل السياسي متعثراً في اليمن، يحتاج الآلاف، بينهم الكثير من سكان المناطق الخاضعة لسيطرة الحوثيين، إلى علاج طبي عاجل غير متوافر في البلد الذي تعرّضت بنيته التحتية للتدمير. ويعتمد نحو 80 في المئة من سكان اليمن البالغ عددهم 30 مليون نسمة على المساعدات للاستمرار. ويعتبر تهريب الأسلحة والذخائر إلى الحوثيين انتهاكا لحظر الأسلحة الذي فرضته الأمم المتحدة على الجماعة المسلحة المرتبطة بإيران منذ العام 2015، وهي الدولة الوحيدة التي تعترف بسلطة الحوثيين في اليمن.

آلاف المحاصرين في تعز يطالبون بحشد الإمكانات لمواجهة الحوثيين

عدن - طالب الآلاف من اليمنيين السبت المجلس الرئاسي وحكومة بلادهم بدعم الجيش وتسخير الإمكانات للمعركة مع جماعة الحوثي.

وجاء ذلك خلال مسيرة حاشدة شهدتها مدينة تعز تلبيةً لدعوة مجلس المقاومة الشعبية (تكتل قبلي داعم للقوات الحكومية). ورفع الآلاف من المتظاهرين في شارع جمال عبدالناصر وسط تعز لافتات كتب عليها عبارات مثل "الجيش والأمن رافعتان للتحرير والدولة"، و"الحوثي مشروع تدمير وانتقام من الشعب اليمني"، و"المقاومة مستمرة ضد كل ما يهدد اليمن ونظامه الجمهوري".

وقال مجلس المقاومة الشعبية في بيان تُلي على هامش المسيرة، إن "المسيرة تأتي للتأكيد على استمرار معركة التحرير ضد الحوثيين، وللمطالبة بدعمها وتسخير كل الأسباب لانتصارها".

وطالب المجلس مؤسسة الرئاسة والحكومة بدعم الجيش الوطني بكل متطلباته لخوض معركة التحرير خاصة بعد رفض ميليشيا الحوثي تجديد الهدنة وحشد عناصرها ضد المحافظة.

من جهة أخرى، قالت جهات حزبية وشعبية في تعز إن الجيش اليمني يعاني من نقص في العتاد والإمكانات اللازمة لخوض معركة شاملة مع الحوثيين.

وفشلت الأطراف اليمنية في تمديد هدنة بالبلاد لمرة ثالثة بدأت في الثاني أبريل الماضي وانتهت بانتهاء آخر تمديد في الثاني أكتوبر السابق. كما دعا بيان مجلس المقاومة الشعبية "كافة القوى السياسية والاجتماعية إلى نبذ أي خلاف وتسخير كل الطاقات وتوحيدها لمعركة التحرير".

ووصف الناشط الإعلامي في تعز زكريا الشرعبي المسيرة بأنها "رسالة للحوثيين بأن تعز متمسكة بخيار التحرير ولن تقبل بوجودهم العسكري في أي شبر منها".

وتتقاسم الحكومة اليمنية وجماعة الحوثي السيطرة على مناطق تعز، وتتهم منظمات حقوقية وإنسانية الحوثيين بفرض حصار على مركز المحافظة الذي يخضع لسيطرة الحكومة منذ اندلاع النزاع في 2015. وكانت 16 منظمة حقوقية قد طالبت الحوثيين في وقت سابق هذا العام بإنهاء حصارهم لثالث أكبر مدينة بالبلاد.

وقالت المنظمات، ومن بينها هيومن رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية، في بيان مشترك إن حصار الحوثيين لمدينة تعز "قيّد بشدة حرية الحركة، وعرقل تدفق السلع والعقاقير والمساعدات الإنسانية الرئيسية إلى سكان المدينة".

وأفاد مايكل بيج نائب مدير قسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في هيومن رايتس ووتش أن "القيود التي فرضها الحوثيون أجبرت المدنيين على استخدام طرقات جبلية خطيرة ووعرة، وهذه الطرقات هي حلقة الوصل الوحيدة بين سكان مدينة تعز المحاصرين وبقية العالم".

يذكر أن نقاط التفتيش التي يقيمها الحوثيون منعت السكان من جلب المواد الأساسية كالفاكهة والخضروات وغاز الطهي وأسطوانات الأكسجين، فيما تعد إعادة فتح طرقات تعز والمحافظات الأخرى جزءا من هدنة توسطت فيها الأمم المتحدة بين الحوثيين والحكومة المعترف بها دوليا. وقد رفض الحوثيون اقتراحا للأمم المتحدة في يوليو الماضي بإعادة فتح تدريجي لطرقات تعز، بحسب بعثة الأمم المتحدة في اليمن.

واشنطن تحذّر أنقرة من تعطيل مكافحة تنظيم داعش في سوريا

واشنطن - قال المتحدث باسم مجلس الأمن القومي الأميركي في البيت الأبيض جون كيربي إن "القصف التركي للمناطق التي يسيطر عليها الأكراد في شمال شرق سوريا مستمر"، موجّهاً تحذيراً مباشر لتركيا من تعطيل عمليات القوات الأميركية والكردية ضد تنظيم داعش في سوريا، على الرغم من إقرار واشنطن بمخاوف أنقرة الأمنية في المنطقة.

وتؤكد الحكومة التركية أن عمليتها العسكرية تأتي ردا على الهجوم في إسطنبول والذي حمّلت مسؤوليته لمنظمات مسلحة كردية نفت الأخيرة تورطها فيه.

ونفى كيربي أي دليل حتى الآن على عملية برية وشيكة عبر الحدود التركية السورية، حيث تنتشر قوات أميركية إلى جانب قوات سوريا الديموقراطية.

وأضاف أن "تركيا لها الحق في الدفاع عن نفسها" لكن عمليات القصف تنطوي على مخاطر جسيمة. وتابع "ندرك مخاوفهم الأمنية المشروعة للدفاع عن أنفسهم"، مضيفاً قوله "ما لا نريد رؤيته هو عمليات في سوريا يمكن أن تتسبب في وقوع إصابات بين المدنيين مرة أخرى، ويمكن أن تتسبب في وقوع إصابات بين أفرادنا ويمكن أن تصرف انتباه شركائنا في قوات سوريا الديموقراطية عن مهمة حقيقية ومهمة للغاية قائمة ضد تنظيم الدولة الإسلامية"، حيث لا تريد واشنطن أن ترى أيّ شيء من شأنه أن يؤثر على قدرتها على مواصلة الضغط على التنظيم الإرهابي، على حد قول كيربي.

فـ"المستوى الإستراتيجي" للتعاون مع قوات سوريا الديموقراطية ليس مهدّدا حسب كيربي، لكن القصف التركي يعني أن القوات الكردية ستكون "أقل استعدادًا لمواصلة المساهمة في مواجهة التنظيم الدولة الإسلامية" بمعدّل يومي.

وكان قائد قوات سوريا الديمقراطية مظلوم عبدي قد صرّح في وقت سابق أنه يطالب برسالة "أقوى" من واشنطن بعد رؤية تعزيزات تركية غير مسبوقة على الحدود. فيما أعلن آرام حنا المتحدث باسم هذه القوات الجمعة أن "كل عمليات التنسيق والعمليات المشتركة لمكافحة الإرهاب مع التحالف" الذي تقوده الولايات المتحدة وكذلك "جميع العمليات الخاصة المشتركة التي كنا ننفذها بانتظام" قد توقفت.

من جانبها، كثفت تركيا قصفها وضرباتها الجوية على شمال سوريا في الأسابيع الماضية، مكرّرة الإعلان عن استعدادها لشنّ عملية برية وإنشاء منطقة آمنة بعمق 30 كيلومتراً داخل الأراضي السورية.

وكان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قد أكدّ السبت أن بلاده ستكمل الشريط الأمني الذي تقوم بإنشائه على حدودها الجنوبية. وقال في كلمة ألقاها خلال مشاركته في حفل افتتاح مجموعة من المشاريع التنموية في ولاية شانلي أورفة جنوب البلاد "حتما سنكمل الشريط الأمني البالغ عمقه 30 كيلومترا والذي نقوم بإنشائه على طول حدودنا الجنوبية".

وشدد أردوغان على أن "الهجمات التي تتعرض لها تركيا لن تتمكن من ثنيها عن تحقيق هذا الهدف".

> الولايات المتحدة تقول إن لتركيا الحق في الدفاع عن نفسها، لكن عمليات القصف تنطوي على مخاطر جسيمة

وتأتي تصريحات الرئيس التركي بعد إعلان مسؤولين أتراك أن الجيش لا يحتاج إلا إلى أيام قليلة ليكون جاهزا لعملية توغل بري في الشمال السوري، فيما تقوم القوات التركية بقصف يومي ضد قوات سوريا الديمقراطية. حيث تقصف مدافع هاوتزر أهدافا لوحدات حماية الشعب الكردية منذ أسبوع، بينما تنفذ طائرات حربية غارات جوية.

ووفقاً للمسؤولين الأتراك فإن الجيش التركي يحتاج إلى بضعة أيام فقط ليصبح جاهزاً بشكل كامل تقريبا، والعملية لن تستغرق وقتا طويلا حتى تبدأ. وهي متوقفة الآن على أمر عمليات يصدره أردوغان.

وتعتبر تركيا أن قوات سوريا الديمقراطية التي تقودها وحدات حماية الشعب جناح سوري لحزب العمال الكردستاني التركي الذي تصنّفه تركيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي كجماعة إرهابية.

واستأنفت القوات الأميركية السبت دورياتها المشتركة مع قوات سوريا الديمقراطية، بعد أيام من وقفها عقب التهديدات التركية الأخيرة، وبعد مطالبة أنقرة للولايات المتحدة بما قالت إنه "وفاء بالتزاماتها بموجب التفاهمات المتعلقة بشمال سوريا".

يأتي ذلك بالتوازي مع تواصل المفاوضات بين روسيا وقوات سوريا الديمقراطية الرامية لدفع الأخيرة إلى التخلي عن بعض مناطق سيطرتها، وإحلال قوات الجيش الحكومي السوري محلها، في محاولة لإقناع تركيا بالتراجع عن خيار العمل العسكري.

وكان البيان الختامي لاجتماع مجلس الأمن القومي التركي قد أكّد الأسبوع الماضي على "عدم السماح بوجود نشاط أيّ تنظيم إرهابي في المنطقة، واتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق ذلك". وأضاف البيان في نهاية اجتماع ترأسه أردوغان، استمر أكثر من 3 ساعات، "تم تقديم إحاطة إلى المجلس بشأن العمليات المستمرة بحزم وإصرار ونجاح داخل البلاد وخارجها ومناقشة التدابير الإضافية الممكنة".

وعلى الرغم من التصريحات الكثيرة التي صدرت عن أردوغان في السابق حول عملية برية سيقوم بها جيشه في الوقت المناسب لتأمين حدود تركيا الجنوبية إلا أن هذه العملية لم تنفذ حتى الآن، وغالباً ما كانت أنقره تقايضها بمكاسب سياسية في ملفات أخرى.

استعدادات عسكرية تركية ومفاوضات روسية - كردية

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

اتفاق إطاري في السودان بلا ضمانات سياسية كافية لصموده

كل الطرق تؤدي بالمكونين العسكري والمدني إلى الانحناء للعواصف حاليا

حوارات تحيط بها الشكوك

ينظر السودانيون بأمل إلى الاتفاق الإطاري الذي سيتم توقيعه بين المكونين العسكري والمدني، لكنه يظل اتفاقا أوليا يحتاج إلى اتفاق نهائي، وهذا أمر معقد بسبب الشكوك المتبادلة بين طرفي الأزمة، وفي ظل غياب ضغوط من الوسطاء والمجتمع المدني لفرض تسوية نهائية.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

يمثل اتفاق قوى مدنية وعسكرية على توقيع اتفاق إطاري بين الجانبين الاثنين أول خطوة ملموسة منذ انهيار التحالف بينهما قبل حوالي عام، وتعول عليه أطراف عديدة في الداخل والخارج لوضع حد لأزمة سياسية كادت تعصف بكل المكتسبات التي تحققت بالثورة على نظام الرئيس السابق عمر البشير، بعد أن حدثت تجاذبات بسبب رغبة الطرفين الرئيسيين في الاستئثار بالسلطة دون الآخر.

وأخفقت مناورات المكون العسكري في إبعاد القوى المدنية الرئيسية عن الحكم، وفشلت محاولات الأخيرة في تهميش المؤسسة العسكرية تماما، وعاد الطرفان إلى النقطة الأولى المتعلقة بالشراكة كحتمية سياسية تفرضها الأوضاع الراهنة في البلاد مع توزيع نسبي للمهام يؤدي إلى توازن لا يجعل طرفا مهيمنا على السلطة بمفرده، فلا يوجد طرف يستطيع القيام بهذه المهمة.

وكانت فترة العام المنقضي الذي أعقب رحيل الحكومة المدنية برئاسة عبدالله حمدوك كافية لتأكيد أن الحكم العسكري في السودان حظوظه ضئيلة ما لم يظهر تعاونا ملموسا مع القوى المدنية، وتكون سياساته واضحة ولا التباس فيها.

وبذلت لجان الوساطة الإقليمية والدولية جهودا للوصول إلى الاتفاق الإطاري المنتظر التوقيع عليه الاثنين، بما يوفر الحد الأدنى لمطالب كل طرف، وكي لا تنهار العملية السياسية برمتها بعد أن تنامت الاحتجاجات في الشارع وزادت المطالب الفئوية وعادت بعض الأقاليم لتمثل منغصا في خاصرة الدولة عندما تأكدت أن جزءا من تطلعاتها لم يتحقق بعد رحيل نظام البشير، وتنذر الأوضاع بما هو أقسى في الهامش.

تفاهم إقليمي ودولي

هذه واحدة من المرات القليلة التي تتعاون فيها قوى عديدة لمنع انفلات الأوضاع في السودان، حيث بذلت اللجنة الثلاثية المكونة من بعثة الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي وهيئة إيغاد جهدا للتوصل إلى صيغة تفاهم عملية، بعيدة عن الاستقواء الذي حاول الجيش ممارسته، ومتجنبة الاستجابة التامة للشعارات التي رفعتها القوى المدنية.

وأثمر التنسيق بين اللجنة الثلاثية مع الرباعية الدولية المكونة من الولايات المتحدة وبريطانيا والسعودية والإمارات في تذويب الهوة بين الطرفين العسكري والمدني.

وأسهمت الترويكا الأوروبية المكونة من بعثة الاتحاد الأوروبي وممثلي الدول الأعضاء فيه بدور بارز في تقريب المسافات لحث الجميع على التيقن من أن التفاهم الطريقة الوحيدة لإنقاذ البلاد في ظل صعوبة أن يحصل طرف واحد على كل شيء.

ويحدد الاتفاق الإطاري مهام كل طرف من دون إقصاء للآخر، وبموجبه قد تنتهي فترة قاسية على السودان، لكن الفترة المقبلة لن تقل صعوبة لأن الاتفاق الجديد الذي منح القوى المدنية صلاحيات كبيرة واستجاب لجزء معتبر من أهدافها لا يزال محل اختبار، فالجيش لن يتنحى عن ممارسة أدواره المدنية ولن يتوقف دوره في النواحي الأمنية، ولا يزال الشيطان يكمن، كما يقال، في التفاصيل.

في النهاية هو اتفاق إطاري أو عام، يحتاج إلى بنود تبلور ما جاء فيه ليعرف كل طرف حقوقه وواجباته، ودفعت نحوه القوى المعنية في الداخل والخارج لأجل التأكيد أن المساعي السياسية التي انطلقت عقب الانقلاب أصبحت ناضجة ومنتجة وأثمرت اتفاقا يمكن تطبيقه على الأرض، حيث ساد التشاؤم فترة طويلة من الزمن، وبدأت بعض الأطراف لا تثق في إمكانية التفاهم بين المكونين العسكري والمدني.

لم تعلن الكثير من القوى المدنية عن الانضمام إلى الاتفاق حتى الآن، فبعضها رفض مبدئيا الطريقة التي تم بها ويريد تقويض دور الجيش في الحياة المدنية وإلغاء أثره المادي، والبعض الآخر ينتظر ما سيمر به من اختبارات الفترة المقبلة، وهناك شريحة تعتقد أن القدر لن يمهل أطرافه للتفاهم إلى حين تحويل الاتفاق الإطاري إلى نهائي، فالخلافات التي تعتمل بين قوى متعددة لن تمهل القائمين عليه لتطبيقه.

خيارات غامضة

لا توجد ضمانات حقيقية تجبر كل طرف على الالتزام بما تعهد به، وعدد كبير من المشاركين الثقة بينهم منعدمة، لكن لأن الخيارات المتاحة كلها غامضة ولا أحد يريد تحمل مسؤولية حدوث المزيد من الانهيار في البلاد تمت الموافقة على اتفاق إطاري يمكن أن يوفر واقعا جديدا يفرض معطياته على الجميع، فالقوى الدولية التي هندست الاتفاق غير مستعدة لرؤية السودان وهو ينهار أو يدور في فلك روسيا.

وخشيت القوى الدولية التي لعبت دورا مهما في الوساطة الفترة الماضية من انفراط عقد المؤسسة العسكرية وما يجلبه ذلك من انعكاسات أمنية، وخشيت أكثر من عدم الاتساق مع شعاراتها التي أكدت عزمها على تسليم السلطة لحكومة مدنية، وحاولت قطع الطريق على مناورات الجيش عقب عزفه على وتر توطيد التعاون مع روسيا.

وتمثل ورقة موسكو نقطة محورية حركت قوى كبيرة للاهتمام بالسودان مع أن لديها ما يشغلها من هموم على امتداد الساحة الدولية، لكنها لم تعد قادرة على الانتظار لترى بلدا آخر يختطف ويدور في فلك روسيا، بكل ما ينطوي عليه ذلك من تداعيات إقليمية ودولية، ما جعلها تظهر قدرا من المرونة في التسامح مع دور الجيش المدني.

وكان دور الجيش في المجال الاقتصادي عنصرا خلافيا في المفاوضات التي جرت على مدار الأشهر الماضية، حيث تمددت أذرعه بصورة كبيرة في مجالات عديدة، مكنت الجيش من تكوين ما يشبه الإمبراطورية الاقتصادية كي لا يصبح رهينة لحكومة مدنية أو تحت رحمة قوى يمكن أن تنقلب عليه في أي لحظة.

تم تجاوز هذه المسألة أو العبور فوقها لضمان عدم تخريب الحوارات والمفاوضات، لكنها ستظل مطروحة لاحقا ويمكن أن تطل برأسها في بعض المحكات المقبلة، لأن الاتفاق الإطاري ما هو إلا وصفة سياسية للتهدئة، إذ وصل الاحتقان إلى مدى قد لا تستطيع قوى الوساطة الإقليمية والدولية إيجاد وسائل لعلاجه.

ووجدت الأطراف التي ستوقع الاثنين على الاتفاق الإطاري في المنهج البراغماتي "خذ وطالب" مدخلا مناسبا لها للمضي قدما في المفاوضات لأن الإعلان عن اتفاق نهائي في السودان من المستحيلات التي لا أحد يتوقع حدوثها حاليا بعد أن بلغت الشكوك بين القوى المدنية والعسكرية مدى بالغ الخطورة، ونخرت الخلافات داخل كليهما أيضا، بحيث لا أحد يستطيع الإشارة إلى وجود كتلتين متقابلتين فقط.

وهناك شروخ كبيرة داخلهما بدأت تخرج إلى العلن، لو ترك لها المجال لن يلتئم جرح السودان أبدا، وكان المبدأ التوافقي الذي رفعت من شأنه جهات الوساطة عملا جيدا في هذه المرحلة، لكن لا توجد ضمانات لاستمراره في المستقبل، ففي لحظة معينة عندما يجد أحد الأطراف نفسه في موقف ضعف يمكن أن يقلب الطاولة على خصومة.

ولذلك فعدم وجود ضمانات من قوى الوساطة أو تعهدات حاسمة من القوى الموقعة على الاتفاق الإطاري يشير إلى وجود أزمة كامنة قد تنفجر في منتصف الطريق، خاصة أن القوى المحسوبة على كل طرف ولم تشارك في التحركات الأخيرة يمكنها أن تظهر غضبها ورفضها، ويمكنها أيضا أن تقوم بخطوات تهدم المعبد على رأس من فيه، فهناك قائمة تباينات يصعب احتواؤها بمسكنات أو وعود براقة.

ويمثل التوقيع على الاتفاق الإطاري خطوة لن يكتب لها النجاح ما لم تظهر جميع الأطراف حسن نواياها، وتتسق تصوراتها المعلنة مع ما تضمره من توجهات تعتمد على الانحناء للعواصف إلى حين هدوئها، فالسودان لن يتحمل نقضا جديدا للوعود والعهود التي أدمنها على مدار تاريخه الحديث.

> دخول الإسلاميين على خط الأزمة يزيد من التعقيدات التي تعترض حوار المكونين العسكري والمدني

البرلمان المصري يبدأ أولى خطوات تسوية ملف المحبوسين احتياطيا

أحمد حافظ
كاتب مصري

القاهرة - يشير عزم مجلس النواب في مصر على التحرك لمناقشة تعديل قانون الإجراءات الجنائية وما يتضمنه من مواد خاصة بالحبس الاحتياطي إلى أنه حصل على ضوء أخضر من دوائر رسمية لفتح ملف المحبوسين بالتزامن مع طلبات برلمانية أخرى تتعلق بتعديل بعض أحكام قانون العقوبات المعني أيضا بالحبس.

وتصاعد الجدل السياسي حول الحبس الاحتياطي على خلفية رفض نقابة الأطباء مشروع قانون المسؤولية الطبية الذي يجيز حبس الأطباء احتياطيا حال ارتكب أيّ منهم خطأ طبيا، وأعلنت النقابة رفضها المطلق لهذا النص.

وتعقد لجنة الشؤون التشريعية بمجلس النواب المصري اجتماعات موسعة هذا الأسبوع لمناقشة تعديلات على قانون الإجراءات الجنائية الذي تقدمت به الحكومة.

وتحدث أعضاء في البرلمان حول عدم وجود ممانعة لتعديل نصوص الحبس الاحتياطي، إذا اقتضت الضرورة ذلك، وهي إشارة تحوي موافقة مبدئية على التعديل.

ويبدو أن الحكومة حصلت على موافقة مؤسسة الرئاسة على ذلك بعد أن أدركت حتمية إجراء تعديلات تشريعية مرتبطة بقانون الحبس الاحتياطي لما له من أهمية سياسية للتخفيف من آثار ملف تحول إلى منغص في أيدي منظمات وحكومات أجنبية.

وتتعامل قوى سياسية وحقوقية في مصر مع ملف المحبوسين احتياطيا كأولوية خاصة، وكل فصيل حصل على تعهد شفهي من دوائر قريبة من الحكومة قبل المشاركة في الحوار الوطني الراهن بوجود توجه لتعديل نصوص الحبس الاحتياطي.

وتدرك الأحزاب المعارضة التي قبلت المشاركة في الحوار الوطني أن الإصلاح السياسي يبدأ من الإفراج عن سجناء الرأي بلا قيود أو شروط، في إشارة إلى حتمية إزالة العراقيل القانونية أمام لجنة العفو الرئاسي لتوسيع قاعدة صلاحياتها.

وأمام استمرار التعقيدات القانونية المرتبطة بالحبس الاحتياطي، فإن إخلاء سبيل المحبوسين على ذمة قضايا يكون من السلطة القضائية وحدها، ولا يستطيع رئيس الدولة التحرك للعفو عن باقي فترة العقوبة قبل صدور حكم قضائي يثبت الإدانة.

وقال طارق رضوان رئيس لجنة حقوق الإنسان بمجلس النواب إن مصر دولة تحترم المعاهدات الدولية "ومادة الحبس الاحتياطي قابلة للتعديل"، في إشارة إلى عدم وجود موانع رئاسية لإدخال نصوص جديدة استجابة لقوى المعارضة.

وأكدت مصادر برلمانية لـ"العرب" أن الاتجاه نحو تعديل النصوص القانونية الخاصة بالحبس الاحتياطي "لا يعني أنها تقتصر على النشطاء والسياسيين وسجناء الرأي، فالأمر سيتم تطبيقه على كل من تتم محاكمتهم في تهم مختلفة دون انتقاء أو إقصاء".

ويقول مراقبون إن الدولة مطالبة بتحجيم دور الأجهزة الأمنية في الملف الحقوقي، سواء وافق مجلس النواب على تعديل نصوص الحبس الاحتياطي أم أن الأمر محاولة شكلية لترضية المعارضة، لأن مشاركة الأمن تعرقل التحركات الإيجابية للحكومة.

وهناك قناعة لدى دوائر قريبة من الحكومة أن أي زخم سياسي تريد الدولة تحقيقه يرتبط بمدى الاستجابة للقوى المدنية في قضايا لا تؤثر على الأمن القومي، على رأسها السجناء المفرج عنهم، فلم يتسبب أي منهم في أزمة بعد خروجه من الجبس.

ولم تعد الحكومة المصرية ترغب في استمرار الثغرات التي تتسلل منها قوى معارضة وجهات أجنبية إلى ملف السجناء والمعتقلين في قضايا رأي وحريات، حتى لا تظل هناك ضغوط تحاصرها في وقت تتزايد فيه التحديات الاقتصادية.

وكشف مصدر مطلع بالمجلس القومي لحقوق الإنسان لـ"العرب" أن التعديلات المرتقبة على تشريعات الحبس الاحتياطي هي جزء من المطالب التي رفعها المجلس للحكومة لتوصيل رؤيته حول خطوات الإصلاح السياسي، لأن هذا الملف مطلب عام.

وأشار المصدر ذاته إلى أن "تصويب مسار الحبس الاحتياطي يحجم دور الأمن في هذا الملف، والفصل في يد الجهات القضائية، وتتجه النية إلى وضع حد أقصى لمدة الحبس الاحتياطي دون تركها مفتوحة، وقد لا تتجاوز عامين، لأنه لا يجوز تقييد حرية متهم".

وتعاني الحكومة من وجود فهم خاطئ لصلاحيات الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي في مسألة العفو الرئاسي عن المحبوسين، فهي ليست مطلقة، وقوى المعارضة غير مكترثة بتعقيدات تسوية ملف المطلوب الإفراج عنهم من سياسيين وأصحاب رأي.

> الأحزاب المعارضة التي قبلت المشاركة في الحوار تدرك أن الإصلاح السياسي يبدأ من الإفراج عن سجناء الرأي

وأكد طلعت خليل أمين عام حزب المحافظين وجود توافق بين قوى عديدة على أن الإصلاح السياسي يبدأ بالإفراج عن المحبوسين احتياطيا من النشطاء وأصحاب الرأي، ولم يعد هناك بديل عن تبني حل قانوني وسياسي لمسألة الحبس الاحتياطي.

وأضاف لـ"العرب" أن طول فترة الحبس الاحتياطي تتعارض مع حق الإنسان في العيش بحرية طالما لا يزال متهما، والحكومة مطالبة بأن تتعامل بشكل واقعي مع ملف السجناء وتؤمن بأنه لا ميزة لها من بطء التحرك فيه، إذا كانت لديها نية للإصلاح.

ومن المقرر أن يناقش مجلس النواب استبدال الحبس الاحتياطي بعد وضع سقف زمني له بتطبيق "السوار الإلكتروني" الذي يوضع في قدم المتهم وتزويده بتقنية ليقضي الفترة بعيدا عن السجن، فالمهم أن يكون تحت الرقابة الأمنية طوال نظر القضية.

وعلمت "العرب" أن المجلس القومي لحقوق الإنسان اقترح أن تكون فترة الحبس الاحتياطي سنة واحدة على أقصى تقدير، مع تسريع إجراءات التقاضي دون أن تظل هناك قضايا بدون محاكمات لفترة طويلة، بما يؤدي إلى إطالة الحبس الاحتياطي.

وتسعى الحكومة من خلال عدم ممانعتها اتخاذ إجراءات إيجابية في ملف المحبوسين احتياطيا لوضع حد بشأن نشر الأرقام المغلوطة بحق المحتجزين على ذمة قضايا مختلفة دون محاكمات، وهو أمر تستغله منظمات حقوقية لتوجيه انتقادات للسلطة.

خطوة مهمة لامتصاص مخاوف النشطاء

أوكرانيا... أفغانستان بوتين!

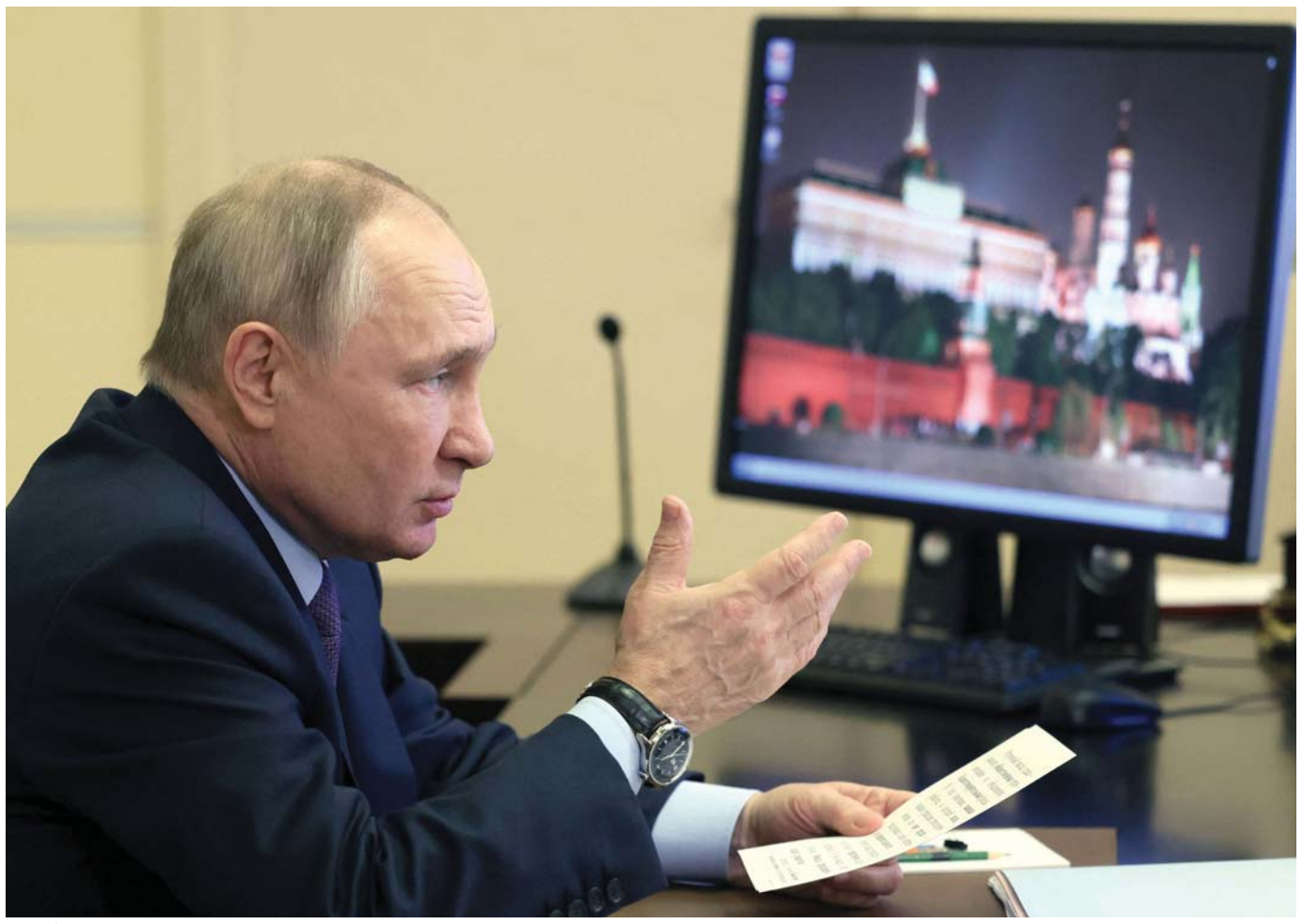

الحنين إلى الإمبراطورية القديمة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

لا فلاديمير بوتين يستطيع التراجع وليس هناك من هو على استعداد للقبول بشروطه وبالأمر الواقع الذي يريد فرضه على العالم، بما في ذلك عودة الحياة إلى ما كان يمثله الاتحاد السوفياتي. يعني ذلك وقوع قسم من أوروبا تحت نفوذ الكرملين مجددا.

يستحيل في الظروف الراهنة العثور على مخرج يحتاج إليه العالم لسبب في غاية البساطة. لا يمكن للرئيس الروسي تقديم أي تنازل. في المقابل، لا تستطيع أميركا وأوروبا القبول باحتلال روسي لأوكرانيا أو لجزء منها كون ذلك سيفتح شهيّة الرئيس الروسي في كلّ أوروبا. بكلام أوضح، لا يستطيع فلاديمير بوتين الاعتراف بأن مستقبله السياسي على المحكّ. إلى إشعار آخر، ليست لدى فلاديمير بوتين أيّ رغبة في اعتزال السياسة.

ما حصل في أوكرانيا مخيف جدا. يعود ذلك إلى غياب أي رادع للعدوانيّة الروسيّة ورغبة بوتين في فرض أمر واقع على الأرض بالقوّة العسكرية

يطوي دخول روسيا إلى أوكرانيا عسكريا صفحة في العلاقات الدوليّة في ظلّ إدارة أميركيّة لم تعد تكتفي بالتفرّج على ما يدور في العالم. وجدت إدارة جو بايدن نفسها مُجبرة على المزيد من التدخل في أنحاء مختلفة من العالم، خصوصا في أوكرانيا التي صارت بمثابة أفغانستان بوتين. نتيجة ذلك، بات على العالم البحث عن نظام دولي جديد مبنيّ على نظام سقط قبل أن تتبلور ملامحه.

كان مفترضا أن يكون هذا النظام، الذي لم تتبلور ملامحه، نظام القطب الواحد، بزعامة الولايات المتّحدة التي هزمت الاتحاد السوفياتي في الحرب الباردة. لكنّ شيئا من ذلك لم يحدث. ستسعى الولايات المتحدة ومعها أوروبا إلى التعاطي مع ما فرضه فلاديمير بوتين في أوكرانيا الدولة المستقلّة التي لم يستطع أحد حمايتها.

في مرحلة ما بعد سقوط جدار برلين، واستعادة ألمانيا لوحدتها، كان الأمل في قيام نظام دولي مختلف في عالم تسود فيه مبادئ الحرّية والعدالة، خصوصا بعدما تحرّرت دول أوروبا الشرقيّة من الهيمنة السوفياتيّة. بقيت مرحلة ما بعد سقوط جدار برلين محصورة، إلى حد كبير، بأوروبا التي توسعت بفضل الاتحاد الأوروبي، لكنّها باتت الآن في مواجهة تحديات جديدة.

ما حصل في أوكرانيا مخيف جدا. يعود ذلك إلى غياب أيّ رادع للعدوانيّة الروسيّة ورغبة فلاديمير بوتين في فرض أمر واقع على الأرض بالقوّة العسكرية وبفضل ما يمتلك من صواريخ وقنابل نووية. لعلّ أخطر ما في الأمر، أنّه كان في استطاعة الرئيس الروسي تحقيق جزء أساسي من مطالبه في أوكرانيا بمجرّد حشد قوّاته على حدودها. كان العالم مستعدا للأخذ والردّ مع الكرملين، بما في ذلك النظر في امتناع أوكرانيا عن دخول حلف شمال الأطلسي (ناتو). لكنّ السؤال – اللغز يظلّ لماذا كلّ هذا الإصرار لدى الرئيس الروسي على تغيير النظام في أوكرانيا وإلحاقها بروسيا بالقوّة؟

قد يكون الجواب في أنّ بوتين أراد تعويد العالم على التعاطي مع روسيا من منطلق جديد يتلخص بعبارة أنّ الاتحاد السوفياتي لم يمت. مع احتلال روسيا لجزء من أوكرانيا عادت روسيا على تماس مباشر مع دول مثل بولندا وهنغاريا وسلوفاكيا ورومانيا. لا شكّ أن هذه الدول ستعيد حساباتها في ضوء ما حل بأوكرانيا من جهة واستعداد الرئيس الروسي للتسبب بحرب عالميّة جديدة من جهة أخرى.

في كلّ الأحوال، تبيّن أن أوروبا مفككة وأنّها لا تمتلك أيّ أنياب تمكّنها من مواجهة روسيا عسكريا، على الرغم من كل ما يعانيه جيشها وانكشاف مستوى سلاحها. أكثر من ذلك، لا وجود حاليا لزعماء أوروبيين حقيقيين. ألمانيا نفسها تبدو ضائعة بوجود مستشار جديد اسمه أولاف شولتس بات في بحث دائم عن بديل من الغاز الروسي. أمّا فرنسا، فقد فقدت توازنها منذ فترة طويلة. لن تنفع زيارة إيمانويل ماكرون لواشنطن ومحادثاته مع الرئيس جو بايدن في استعادة فرنسا لتوازنها. كان جاك شيراك آخر رئيس فرنسي يمتلك شيئا من ملامح الزعامة...

ستكون هناك حاجة إلى بلورة نظام دولي جديد في عالم تسوده الفوضى. لا شكّ أن الأمم المتحدة فقدت الكثير بعدما تبيّن أنّ لا دور لها في معالجة أزمة في حجم الأزمة الأوكرانيّة. تبدو الأمم المتحدة، التي يعطلها الفيتو الروسي، أقرب إلى جامعة الدول العربيّة التي ظهر عجزها منذ وقت طويل...

كانت نقطة البداية للتراجع الأميركي في سوريا حيث ظهر أن باراك أوباما ليس سوى سياسي فاشل لا يهمّه سوى تفادي أيّ مواجهة من أيّ نوع. تراجع الرئيس الأميركي الأسبق، بعد استخدام بشّار الأسد السلاح الكيميائي في حربه على شعبه صيف العام 2013. قبل ذلك هرب من العراق. استكمل في 2011 الانسحاب العسكري من معظم العراق بعدما عقد صفقة مع إيران تسمح لنوري المالكي بتشكيل حكومة.

لم يكن تراجع أوباما في سوريا في العام 2013 حدثا عاديًا. لا يمكن تجاهل أنّه استمع، وقتذاك، إلى نصائح فلاديمير بوتين الذي أقنعه بأنّ من الأفضل إيجاد طريقة كي يتخلّص النظام السوري من مخزون الأسلحة الكيميائية... بدل ضربه.

نجح فلاديمير بوتين في مناورته تلك. ارتاح باراك أوباما بعدما نجح في العام 2015 في التوصل إلى اتفاق مع إيران في شأن ملفّها النووي.

نرى الآن إيران، التي عمل باراك أوباما على تقويتها، تهبّ لنجدة فلاديمير بوتين في أوكرانيا. تردّ له الجميل بعدما أنقذ النظام السوري من السقوط في خريف العام 2015.

في انتظار بلورة نظام دولي جديد، هناك عالم يعيش في حال من الفوضى والضياع. لا يدل على الفوضى والضياع أكثر من استحالة إيجاد مخرج من الأزمة الأوكرانية. لا بدّ من مخرج في ضوء ما يعانيه العالم، إن على صعيد الغذاء أو على صعيد الطاقة، بسبب تهوّر فلاديمير بوتين. يُعتبر بوتين حالة مرضية أكثر من أيّ شيء آخر... تماما كما كانت حالة أدولف هتلر. هل يمكن إيجاد مثل هذا المخرج عندما يتعلّق الأمر برئيس روسي يرفض أخذ العلم بأنّه خسر حربه ويرفض الاعتراف بذلك؟

جمهور كرة القدم يخلط المزاج الكروي بالمشاعر الوطنية

فاروق يوسف
كاتب عراقي

فاز الفريق التونسي على فريق فرنسا وفاز قبله الفريق المغربي على فريق بلجيكا في مونديال قطر.

حدثان شكّلا واحدة من أهم المفاجآت الصادمة مثلها في مثل المفاجأة التي انطوى عليها فوز المنتخب السعودي على الفريق الأرجنتيني.

من حق المغاربة المقيمين في بلجيكا أن يحتفلوا بفوز فريقهم، ومن حق التونسيين المقيمين في فرنسا أن يحتفلوا بدورهم بفوز فريقهم.

ولكنّ الاحتفالين يقامان على أراضي الفريقين المهزومين وفي ذلك نوع شديد الضغط من الحرج. وإذا ما عرفنا أن المغاربة المحتفلين يحملون الجنسية البلجيكية والتونسيين المحتفلين يحملون الجنسية الفرنسية فإن الحرج يصل إلى ذروته.

جمهور كرة القدم يخلط المزاج الكروي بالمشاعر الوطنية. غالبا ما تُغني أعلام الدول عن اللغة. فالعلم هو في حد ذاته إشارة لغوية تنطوي على الكثير من الدلالات المعنوية.

وحين تمتلئ شوارع المدن البلجيكية بالأعلام المغربية وشوارع المدن الفرنسية بالأعلام التونسية فإن ذلك يشكل استفزازا صريحا لا لمشجعي الفريقين المهزومين وحسب، بل وأيضا لسلطات الأمن في البلدين.

غير أن المثير في الموضوع أن مشجعي الفريقين الفائزين هم من مزدوجي الجنسية والوجود الواقعي. مغاربة في بلجيكا وتونسيون في فرنسا. في الوقت نفسه هم بلجيكيون في المغرب وفرنسيون في تونس.

لعبة هي أكثر إثارة من لعبة كرة القدم لما تتضمنه من احتيال على الذات ومخاتلة مع الواقع غير أن خسائرها غير مرئية.

تلك الخسائر في حقيقتها غير مرئية بالنسبة إلى البسطاء الذين يغلّبون خرافة "موطني موطني" على الواقع الحي الذي هو واقع العيش المباشر.

لقد شعر البلجيكيون والفرنسيون بشيء من إنكار الحقيقة حين رأوا الشماتة في عيون المحتفلين بهزيمة فريقيهما. ربما بالغوا في تلك النقطة. فالعنصرية لا تحتاج إلى مَن يوقظها وبالأخص إذا ما تعلق الأمر بأبناء المستعمرات السابقة الذين يقيمون في الضواحي التي تدير ظهرها للمدن.

لم يكن منصفا أن يُنظر إلى تلك الاحتفالات باعتبارها أحداث شغب وفي المقابل كان على المحتفلين أن يتذكروا أن الفوز الرياضي ليس مناسبة لإعلان موقفهم الغاضب من البوليس مثلا.

في كل الأحوال هناك مفارقة وقعت لأنها كانت في انتظار الحدث الذي يكشف عنها. فمغربيو بلجيكا هم بلجيكيون وهم أيضا ليسوا كذلك وتونسيو فرنسا هم فرنسيون وأيضا هم ليسوا كذلك.

وتتسع المفارقة لتظهر بشكل هزلي حين يصطدم مغربيو بلجيكا بهويتهم الأصلية التي فارقوها ليكتشفوا أنهم غير قادرين على أن يكونوا مغربيين في الوقت الذي تقع فيه حياتهم الحقيقية في بلجيكا. يصح ذلك على تونسيي فرنسا الذين يزورون بلادهم الأصلية بين حين وآخر باعتبارهم سياحا.

وإذا ما أدركنا أن المادة البشرية هنا تتعلق بالجيل الثاني أو الثالث من المهاجرين يمكننا أن ندرك عمق المشكلة. فالهوية التي تُكتسب أوراقها مع الزمن لن يتمكن الزمن من فرض ثقافتها. والانتماء إلى الأرض هو شيء يقع خارج الموقف السياسي.

مع تلك الاحتفالات العفوية انفتحت الأبواب من الجانبين على مشكلات الهجرة التي وضعتها الأحزاب اليمينية في أوروبا على قائمة مشاريعها لتصفية حساباتها مع الماضي وهي مهمة عسيرة لن يتمكن أحد من القيام بها إلا إذا تخلت أوروبا عن موقعها الرائد في احترام حقوق الإنسان. وذلك هو المستحيل بعينه.

غير أن ذلك المستحيل ينبغي ألاّ يكون بالنسبة إلى المهاجرين حبل الغسيل الذي يعلّقون عليه ثيابهم المتسخة. فشلت سياسات الاندماج التي اتبعتها الحكومات الأوروبية عبر الأربعين سنة الماضية. ذلك صحيح.

جمهور الكرة يخلط المزاج الكروي بالمشاعر الوطنية. غالبا ما تُغني أعلام الدول عن اللغة. فالعلم هو إشارة لغوية تنطوي على الكثير من الدلالات

غير أن ذلك الفشل يقع جزء من مسؤوليته على المهاجرين الذين لم يسعوا إلا فيما ندر إلى اختراق المجتمعات الأوروبية وبالأخص في عالمي السياسة والاقتصاد وهما أكثر يسرا من عالمي الأدب والعلوم الإنسانية.

ما من أحد في أوروبا يحق له أن يمنعك من التعبير عن فرحك بفوز الفريق الرياضي الذي تناصره، ولكن فرحك سيكون ملغوما إذا انطوى على نوع من الشماتة بالبلد الذي يؤويك، وطنك البديل الذي منحك هويته وجعل منك كائنا حرا تتحرك بخفة وراحة واطمئنان حتى في بلدك الأصلي.

تلك هي الإشكالية التي حاول البعض أن يلبسوها ثيابا عنصرية مستفيدين من صعود اليمين المريض بقلق الهجرة إلى الحكم في عدد من الدول الأوروبية. في حقيقتها فإن تلك الإشكالية تسلط الضوء على الفخ الذي يمكن أن تمثله الهوية المزدوجة إذا لم يتم الفصل بين الخرافة والواقع.

فرح المغاربة بالفوز يثير البلجيكيين

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

تناقض الأجندات يحفّ بمراهنة تونس على حل من الجزائر وليبيا

الجزائر تريد رئيسا تونسيا مواليا وحليفا تابعا لحلفها الإقليمي مع تركيا

ماذا وراء الحفاوة؟

الحراك الثلاثي بين تونس والجزائر وليبيا يوحي برغبة في دعم قيس سعيد لمواجهة الظروف الصعبة التي يمر بها، لكن إلى حد الآن لم تصدر عن الزيارات والاجتماعات سوى وعود عامة وتعهدات قد لا ترى النور، فيما يريد الرئيس التونسي دعما عاجلا.

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

كثرت التأويلات بشأن تتالي الزيارات بين تونس والجزائر وليبيا. خلال أيام قليلة قام وزير الخارجية الجزائري رمطان لعمامرة بزيارة خاطفة إلى تونس حاملا رسالة من الرئيس عبدالمجيد تبون إلى الرئيس التونسي قيس سعيد. وبعدها توجهت رئيسة الحكومة التونسية نجلاء بودن إلى الجزائر في زيارة بيوم واحد. ثم استقبلت تونس رئيس حكومة الوحدة الليبية عبدالحميد الدبيبة، بالرغم من التوتر بين حكومته وبين تونس.

وجاءت الزيارات في وقت مهم بالنسبة إلى تونس، وإلى قيس سعيد بالذات، قبل أيام قليلة من الانتخابات، وفي ظل وضع اقتصادي وسياسي صعب، وعجز الحكومة عن مواجهة موجة الغلاء في الأسعار، وخاصة جلب قروض أو ودائع خارجية من دول شقيقة وصديقة كان يمني النفس أن تقف إلى جانبه مثلما وقفت إلى جانب مصر.

يواجه قيس سعيد يوميا حملات من المعارضة تتهمه بالعجز عن تغيير واقع الناس، ويواجه كذلك استعراضا خطابيا من اتحاد الشغل وأمينه العام نورالدين الطبوبي الذي وجد أن الظرف ملائم للعودة إلى الواجهة ولعب الدور السياسي الذي منعه منه الرئيس سعيد لأشهر. كما يواجه، وهذا الأهم، موجة تذمر شعبية بدأت في التصاعد بسبب ندرة بعض المواد الأساسية، وغلاء الأسعار، وعودة لوبيات الاحتكار بقوة بالرغم من تهديداته المستمرة بمواجهتها.

كل هذا الوضع يمكن أن يؤثر على الانتخابات التي راهن عليها قيس سعيد لتجديد شرعية المؤسسات التي سيعمل من خلالها على إقناع الخارج، وبالذات صندوق النقد الدولي، أن لا وجود لفراغ سياسي من أي نوع، وأن هناك جهة منتخبة شعبيا ستتولى التوقيع على القرض الذي يفترض أن تحصل عليه تونس مباشرة بعد تجديد شرعية البرلمان، ويبدو هذا شرطا من الصندوق لضمان أمواله.

لكن هل فعلا يمكن أن يجد قيس سعيد حلا لأزماته لدى الجزائر أو حكومة غرب ليبيا؟

بالنسبة إلى الجزائر، هناك مفارقة كبيرة، طرفها الأول أن الشارع التونسي يعتقد أن الجزائر هي الطرف الوحيد الذي قلبه على تونس، وأنها ستدعم قيس سعيد لضمان استقرار تونس، وفي ذلك ضمان لأمن الجزائر وتأمين لحدودها.

الطرف الثاني هو الجزائر التي تريد رئيسا تونسيا مواليا لها وحليفا تابعا لحلفها الإقليمي الجديد الذي يضم تركيا وحكومة غرب ليبيا، وقيس سعيد كان يعتقد في البداية أنه مدعوم من الحلف الإقليمي المقابل، الذي كان ينشط في ليبيا، ولهذا كانت مواقفه حاسمة في موضوع الإسلاميين في الداخل.

وبعد زيارته إلى مصر في أبريل 2021، عاد قيس سعيد أكثر حزما في مواجهة الإسلاميين. وقال في كلمة له بمناسبة دخول شهر رمضان، وفي جامع الزيتونة ذي الثقل التاريخي، إن "القرآن توجّه للمسلمين وليس للإسلاميين ولا لجمعية علماء المسلمين"، في إشارة إلى الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الواجهة السياسية لجماعة الإخوان.

> تونس تطرح علامات استفهام تجاه مواقف الدبيبة وتصريحاته السابقة وعلاقته بتركيا

وتحدث الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي وقتها عن "تعاون مصري – تونسي لتجفيف مصادر تمويل الإرهاب ومواجهة الفكر المتطرف"، وهو ما فهم منه وبشكل واضح أن قيس سعيد قد التحق بالحلف المعارض للإسلاميين. ومهدت هذه الزيارة وتفاعلات المناخ الإقليمي من بعدها لإجراءات قيس سعيد في 25 يوليو 2021 بإقالة البرلمان ووقف عمل الحكومة المدعومة من الإسلاميين.

وخلال تلك الفترة، تركت الجزائر قنوات التواصل مفتوحة مع قيس سعيد، وأطلقت عنان الإشاعات لمعلومات أمنية عن نجاحها في منع استهداف قيس سعيد أو الانقلاب عليه، وهي إشاعات تنتشر بسرعة كبيرة عن طريق أذرعها في تونس. وتهدف بالأساس إلى الإيحاء بأن قلبها على قيس سعيد، وأن لها فضلا في بقائه في السلطة.

وبعد التطورات الإقليمية النوعية التي انتهت إلى انسحاب الحلف، الذي يفترض أن قيس سعيد يستند إليه، من ليبيا ومن التشابكات الإقليمية المرتبطة بملف الإسلاميين، وما تلاها من مصالحات، استلمت الجزائر الرئيس سعيد خاصة بعد أن نجحت في إقناعه بأنها في صفه، لكنها ظلت من ذلك الوقت تمنيه بالوعود والمشاريع والتمويل من دون أن يحصل على شيء ظاهر بالرغم من الحفاوة التي استقبل بها في الجزائر والتصريحات التي تتحدث عن العمق الإستراتيجي والمصير المشترك.

وضمن إشاعات جلب قيس سعيد إلى صف الجزائر وتثبيت قناعة لديه بأنها هي المنقذ يمكن أن نضع الحديث عن أن رمطان لعمامرة جاء برسالة خاصة لقيس سعيد بشأن "مؤامرة فرنسية" تستهدفه، ضمن ما يعرف بمجموعة الخمس والعشرين التي تضم سياسيين وإعلاميين معروفين بدعم إجراءات قيس سعيد في يوليو 2021، وفق ما تشير إلى ذلك وثيقة قضائية مسرّبة.

الآن، صار قيس سعيد في صف الجزائر وهي حليفه الوحيد، لكن متى يأتي الدعم لإنقاذه وتمكينه من رد حملات التشكيك والاستهانة بقدراته؟

من الصعب أن يحصل الرئيس التونسي على دعم جزائري عاجل، أي قبل الانتخابات، وستظل تعتمد الخطاب المعوّم الذي يعد ولا ينفّذ شيئا إلى أن تمر الانتخابات، وهو ما يعني أنها لا تريد قيس سعيد الذي تتعامل معه قويا كما بدأ بشعبية كبيرة.

كل المؤشرات تقول إن نسبة المشاركة في الانتخابات ستكون ضعيفة، ولن تعكس ما يريده الرئيس سعيد من تأكيد لشعبيته وشعبية البرلمان الذي يريده بجانبه. وهذا يفيد الجزائر لاحقا في فرض توليفة من توليفات "لم الشمل" التي ترفعها هذه الأيام، من خلال الدفع إلى "مصالحة تونسية" تكون برعايتها وتمثل بوابة لعودة حركة النهضة إلى الواجهة، وذلك ضمن الشروط التي يطلبها رئيس التحالف الإقليمي رجب طيب أردوغان الذي يريد أن تكون مصالح بلاده محمية بالإسلاميين.

وبالنتيجة، فإن مراهنة الرئيس التونسي على الجزائر تبدو مراهنة محفوفة بالمخاطر، إما أن يكون في صفها وحلفها بشكل واضح، أو أنها ستتركه معلقا بين الوعود والتعهدات وخطاب المشاعر الأخوية، أو أنها ستوكله لوعود رئيس حكومة الوحدة الوطنية الليبية الذي لدى تونس علامات استفهام تجاه مواقفه وتصريحاته السابقة.

لم تكن زيارة الدبيبة إلى تونس إلا بإشارة جزائرية تهدف إلى إفهام قيس سعيد أن مصيره مرتبط بحماسه لهذا الحلف، ومدى استعداده للسير فيه بالرغم من أن قيس سعيد سبق أن رفض الأحلاف، ولديه خلاف شخصي مع أردوغان كان ظهر على السطح خلال استقبال تونس للرئيس التركي نهاية 2019.

ويعرف التونسيون أن الدبيبة لا يتحرك ضمن رؤية ليبية خالصة، وأن زيارته تأتي ضمن مقاربة جزائرية – تركية للوضع في تونس، وهو ما قد يجعل أي دعم يمكن أن يصدر عنه مشروطا بمواقف تونسية خاصة تجاه تركيا التي فتحت قنوات التهدئة مع دول المنطقة عدا تونس بسبب رفض الرئيس سعيد القاطع دخول لعبة المحاور.

الدبيبة أطلق الوعود خلال هذه الزيارة، وتعهد بخلاص ديون تونسية لدى ليبيا تراكمت منذ 2011، لكن لا شيء على أرض الواقع، ولم يبادر الدبيبة ولا الجزائر إلى وضع وديعة في البنك المركزي التونسي، ولا الإعلان عن قرض لتمويل مشاريع، ولا عن بيع النفط لتونس بأسعار تفاضلية.

ما يهم تونس الآن ليس الشعارات ولا المشاعر الأخوية، ما يهمها هو الحصول على الدعم السريع من جيرانها خاصة من ليبيا التي ظلت تونس لسنوات بوابتها نحو العالم سواء في عهد العقيد الراحل معمر القذافي أو بعد ثورة فبراير، حيث وجد الليبيون في تونس ملاذا لهم في خضم الفوضى الأمنية والسياسية التي عاشتها بلادهم. والآن تونس تطالب برد الجميل، خاصة أن عدم استقرارها سينعكس بالسلب والإيجاب على الوضع في ليبيا.

مونديال قطر: ازدواجية المعايير في تطبيق حظر السياسة بالملاعب

الدوحة - متى يكون مقبولا أن تُرفع لافتة سياسية في كأس العالم في قطر؟ ومتى لا؟ تعتمد الإجابة فيما يبدو بدرجة كبيرة على فحوى الرسالة السياسية، حيث ينتقد بعض المشجعين ما يعتبرونه اختلافا في المعايير عند تطبيق البلد المضيف للوائح الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا).

ولم تكن البطولة، وهي أول كأس للعالم تقام في منطقة الشرق الأوسط، بمنأى عن مشاكل المنطقة المضطربة، إذ تأتي على خلفية احتجاجات مناهضة للحكومة في إيران وتصاعد للعنف بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

لكن في الوقت الذي سُمح فيه ببث مظاهر التعاطف مع الفلسطينيين، حتى أن البعض كانوا يوزعون قمصانا مكتوبا عليها "الحرية لفلسطين" قبل مباراة الأرجنتين مع بولندا يوم الأربعاء، طاردت قوات الأمن مشجعين أرادوا إظهار تأييدهم للمحتجين الذين يطالبون بإنهاء حكم رجال الدين في إيران.

وظهر التناقض جليا خارج ملعب الثمامة هذا الأسبوع. ففي يوم الخميس سمح الأمن بالدخول لمئات من المشجعين الذين لفوا أجسامهم بالأعلام واعتمروا القبعات ولبسوا أوشحة تظهر التأييد لفلسطين قبل مباراة المغرب وكندا.

وقبلها بليلتين صادر الأمن في نفس الملعب أشياء تظهر تأييدا للمحتجين الإيرانيين مما اضطر مشجعين إلى خلع قمصانهم والتخلي عن بعض الأعلام قبل مباراة مهمة للمنتخب الإيراني أمام نظيره الأميركي.

ومع تفرق الجماهير بعد هزيمة إيران بهدف نظيف ظهر الحراس وهم يلاحقون رجالا يرتدون قمصان النشطاء في المنطقة المحيطة بالملعب حيث أوقعوا أحدهم على الأرض وهو يكرر نفس هتاف المحتجين المناهضين للحكومة في إيران "المرأة. الحياة. الحرية".

وكانت إدارة حقوق الإنسان بالفيفا وجهت قبل المباراة رسالة إلكترونية إلى المشجعين الذين اشتكوا من أسلوب المعاملة في مباراتي إيران السابقتين أشارت فيها بالسماح برفع شعار "المرأة. الحياة. الحرية" أو اسم مهسا أميني، وهي الشابة التي أشعلت وفاتها في حجز الشرطة شرارة الاحتجاجات، أو صورتها داخل الملعب.

وقال منظمو كأس العالم في قطر إن "السلطات الأمنية تدخلت لمنع تصاعد التوتر وإعادة الهدوء". ولم يرد المكتب الإعلامي الحكومي القطري على طلب للتعليق.

وفي حين يرى المشجعون ازدواجية في المعايير، يقول محللون إن ذلك النهج يعكس الأولويات السياسية لقطر البلد المسلم المحافظ الذي لطالما قامت حكومته بموازنات دبلوماسية دقيقة.

فقطر تتمتع بعلاقات طيبة مع إيران في الوقت الذي تستضيف فيه أكبر قاعدة عسكرية أميركية في المنطقة، وتستضيف حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس) بينما أقامت في السابق بعض العلاقات التجارية مع إسرائيل، وسمحت للإسرائيليين بالسفر المباشر إلى الدوحة في سابقة لم تحدث من قبل من أجل حضور مباريات كأس العالم.

أما بالنسبة إلى المشجعين فإن عدم الاتساق في تطبيق القواعد يمثل "مشكلة حقيقية"، وفقا لرونان إيفين المدير التنفيذي لرابطة مشجعي كرة القدم بأوروبا الذي قال "ما نراه في نهاية الأمر هو أن الفيفا فقد السيطرة على بطولته".

وأضاف أن هناك عدم اتساق "صادما" بشأن الشعارات الإيرانية، موضحا أن المشجعين ارتدوا قمصانا تعلن تأييد الاحتجاجات في بعض المباريات لكنهم واجهوا مشاكل عند ارتدائها في مباريات إيران.

ولاحظ إيفين حالات مماثلة من عدم الاتساق في ما يخص مظاهر التأييد لحقوق مجتمع الميم، التي تسببت لقطر في انتقادات حادة نتيجة حظرها للعلاقات المثلية.

وقال إنه بالرغم من أن رايات قوس قزح مسموح بها نظريا إلا أنه "عند التطبيق نرى أن الأمر مختلف تماما". وأضاف "هذه الحالة من عدم الاتساق (...) تعرض المشجعين للخطر".

وتحظر مدونة السلوك بملاعب كأس العالم في قطر الرايات والأعلام والمنشورات والملابس وأي مقتنيات أخرى ذات "طبيعة سياسية أو مسيئة أو تمييزية".

وقال متحدث باسم الفيفا إن الاتحاد الدولي لكرة القدم "يعلم ببعض الحوادث التي مُنع فيها إظهار بعض العناصر غير المحظورة داخل الملعب"، وإنه يواصل العمل عن كثب مع قطر للتأكد من التطبيق الكامل للوائحه.

وقال مشجع أميركي من أصول إيرانية يدعى سعيد كاماليني إنه ارتدى قميصا يحمل شعار "المرأة. الحياة. الحرية" في ست مباريات لكنه أخفاه أثناء اجتياز التفتيش الأمني في اثنتين من مباريات إيران وقرر عدم ارتدائه في مباراة الولايات المتحدة خشية التعرض للملاحقة.

> في حين يرى المشجعون ازدواجية في المعايير، يقول محللون إن ذلك يعكس أولويات قطر كبلد محافظ

وعلى النقيض من ذلك، يمكن رؤية شعارات تأييد الفلسطينيين على نطاق واسع. وقال مشجع فلسطيني يدعى سعيد خليل "شعرت بالترحيب من الشعب القطري ومن جميع المتواجدين هنا (...) الناس يحيوننا بهتاف 'فلسطين فلسطين'".

وقالت القطرية مريم الهاجري العضو بمجموعة شباب قطر ضد التطبيع، وهي جماعة معارضة للتطبيع العربي مع إسرائيل، إن التعاطف مع الفلسطينيين يثبت أن "فلسطين ما زالت قضية العرب الأساسية".

وطبّعت دول عربية منها الإمارات والمغرب، الذي هتف له كثير من المشجعين العرب لبلوغ دور الستة عشر، علاقاتها مع إسرائيل في 2020.

وقال مهران كامراوا أستاذ أنظمة الحكم بفرع جامعة جورجتاون في قطر إن السماح بتأييد الفلسطينيين هو بالنسبة إلى قطر جزء من "إستراتيجية تحوط".

وأضاف أن قطر "تسمح للسكان بالتنفيس عن غضبهم والتعبير عن تأييد رمزي لفلسطين بينما تمهد الحكومة في نفس الوقت لتحسين العلاقات إن لم يكن تطبيعها معهم (الإسرائيليين)".

حضور مباح لعلم فلسطين وممنوع لرموز وأعلام أخرى

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

شبح مسعود أوزيل يطارد الألمان في الملاعب وخارجها

قانون المواطنة الجديد لن يبطل عنصرية يواجهها الألمان من غير البيض

غادر المنتخب الألماني المونديال، مبكرا، رغم فوزه أمام كوستاريكا، لتتحول بطولة كأس العالم هذه إلى النسخة الأسوأ في تاريخه. إلا أن شبح نجم المنتخب الألماني السابق مسعود أوزيل ظلّ يطارد لاعبيه وإداريه حتى آخر لحظة لهم على أرض الملعب، معيداً فتح جدل واسع حول الهوية والعنصرية داخل العملاق الاقتصادي الأوروبي.

أوزيل في تركيا ليس تركيا بما فيه الكفاية، وفي ألمانيا ليس ألمانيا بما فيه الكفاية

برلين - تعرّض المنتخب الألماني لانتقادات حادة بسبب إدانته المنفردة لسجل قطر في مجال حقوق الإنسان، فقبل مباراة الـ23 من نوفمبر ضد اليابان، قرر أعضاء الفريق تكميم أفواههم احتجاجا على قاعدة في الدقيقة الأخيرة تنص على أن الذين يرتدون شارة لدعم حقوق مجتمع الميم، كما خطط حارس المرمى الألماني مانويل نوير، سيُعاقبون ببطاقة صفراء. وبدلا من ذلك، ارتدت وزيرة الداخلية الألمانية نانسي فيزر شارة "حب واحد" للتعبير عن دعمها للمثليين أثناء جلوسها بجوار رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم "فيفا" السويسري جياني إنفانتينو، وفقاً لأليسون ميكيم في دورية "فورين بوليسي".

وقد انتقد المقاطعون لقطر والمدافعون عنها على حد سواء صورة المنتخب الذي غطى أفراده أفواههم. وكتب أحد المعلّقين الألمان أن الحركة كانت محرجة. وكان التوقيت محرجا أيضا، حيث جاء في الوقت الذي انتهت فيه حكومة نانسي فيزر من صفقة الغاز الطبيعي المسال مع قطر.

> أوزيل استقال من المنتخب الألماني عام 2018 بعد أن اشتكى من العنصرية، معلنا أنه لم يعد يريد تمثيل دولة لا تحترمه

وتساءل آخرون عمّا إذا كانت خطوة ألمانيا قد غذّت أداءها الكارثي من خلال تشتيت انتباه اللاعبين عن المباراة الحالية. واتهمت مجموعة ناشئة موقف البلاد المناهض للتمييز بالنفاق، مستشهدة بما شهده اللاعب السابق مسعود أوزيل الذي استقال من المنتخب الألماني في 2018 بعد أن واجه حملة انتقادات بسبب أدائه في كأس العالم في ذلك العام. بينما اعتبر أوزيل أن تلك الانتقادات نشأت عن دوافع عنصرية وقال إنه لم يعد يريد تمثيل دولة لا تحترمه.

ورفع بعض المشجّعين، خلال مباراة ألمانيا ضد إسبانيا، صورا لأوزيل وهم يغطّون أفواههم بأيديهم. وليس من الواضح ما إذا كانوا قد قرروا ذلك بشكل مستقل أم أنه عمل أوسع نظمه المسؤولون القطريون، أو ربما كان الأمر مزيجا من الاحتمالين. ومع ذلك، لاقت الخطوة دعما حقيقيا من العديد من المراقبين، لاسيما في العالم الإسلامي.

إخفاقات ألمانيا التاريخية في كأس العالم 2018 أصبحت صدمة دائمة للكثيرين بسبب كيفية تصاعد الأحداث بمجرد وصول الفريق إلى الوطن. حيث تلا ذلك تبادل إلقاء اللوم بين المشجعين والنقاد وقيادة المنتخب الألماني لكرة القدم، وتم التركيز، على عجل، على أداء أوزيل كمصدر لمشاكل المنتخب بغض النظر عن كونه بطل العالم الذي خلق سبع فرص قياسية خلال مباراة ألمانيا ضد كوريا الجنوبية، دون أن يستغلها زملاؤه في الفريق.

وكان هؤلاء غاضبين حتى قبل البطولة. ففي مايو 2018، التقى أوزيل، وهو ألماني – تركي ومسلم متدين، بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان في لندن قبل شهر واحد فقط من سباق تركيا الانتخابي. وحضر اللقاء اللاعب التركي الألماني إلكاي غوندوغان. وأهدى اللاعبان قمصان فريقيهما لأردوغان والتقطا صورا أحدثت ضجة في ألمانيا.

وأدان المنتخب اللقاء قائلا إن "الاتحاد الألماني لكرة القدم يمثل القيم التي لا يحترمها أردوغان بشكل كاف". وعاد الاتحاد إلى هذه النغمة بعد كأس العالم. وقال أوليفر بيرهوف، مدير فريق الاتحاد الألماني لكرة القدم، إن ألمانيا "كان ينبغي أن تفكر في التخلي عن أوزيل" بعد صورة أردوغان، مما يعني أنها قلّلت بطريقة مّا ولاءه لألمانيا.

استحوذ الغضب من أوزيل على الجمهور الألماني. وبدا الدفاع عنه من المحرّمات تقريبا حيث أمكن تفسير ذلك على أنه تأييد لأردوغان وسياساته الاستبدادية. وكانت المناقشة الوطنية تفتقر تماما إلى التوازن.

أعلن أوزيل استقالته من المنتخب على وسائل التواصل الاجتماعي، وكتب قائلاً إن "الناس استخدموا صورتي مع الرئيس أردوغان كفرصة للتعبير عن ميولهم العنصرية التي كانت مخفية سابقا". وتساءل لماذا لم يُطلب من زملائه الألمان البولنديين ميروسلاف كلوزه ولوكاس بودولسكي التحدث عن وارسو. وأشار إلى أن قائد منتخب ألمانيا السابق لوثار ماتيوس، وهو أبيض اللون، لم يواجه انتقادات كثيرة بعد أن التقى بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين خلال البطولة التي استضافتها روسيا.

وقبل الغزو الروسي لأوكرانيا في فبراير، كانت علاقات القادة الألمان مع موسكو ودية بشكل عام، وإن كانت متوترة في بعض الأحيان. وتمتع المستشار الألماني السابق غيرهارد شرودر بعلاقات ودية شهيرة مع بوتين وأردوغان، لكنه لم يواجه ردود فعل عنيفة على نطاق واسع حتى هذا العام. ومع ذلك، رفض الحزب الاشتراكي الديمقراطي طرده من صفوفه.

قال أوزيل "أنا ألماني عندما نفوز، لكنّني مهاجر عندما نخسر". وأصبح منذ ذلك الحين، وهو أيضا صريح في دعمه للفلسطينيين والإيغور، إلى حد مّا شخصية مقاومة بطولية في معظم أنحاء العالم الإسلامي.

هكذا عاقبت الدولة الأوروبية التي تشكّل ديمقراطية تمثيلية اللاعب المهاجر لفشله في اتباع خطها السياسي.

وترتبط تجربة أوزيل بالعنصرية في ألمانيا ارتباطا وثيقا بقوانين الجنسية القديمة في البلاد. وهو ينتمي إلى أكبر أقلية عرقية في ألمانيا، فقد وقعت تركيا وألمانيا الغربية اتفاقية العمالة المهاجرة في العام 1961، وكان جد أوزيل من بين المستفيدين. وأصبحت ألمانيا اليوم موطنا لحوالي 3 إلى 4 ملايين شخص من أصل تركي.

أهمل السياسيون الاعتراف بالتعددية الثقافية الناشئة في البلاد، وحُرم الألمان الأتراك من الحصول على الجنسية، ولم يساعد كونهم مسلمين بأغلبية ساحقة مساعهم. وأخبر المستشار السابق هيلموت كول نظيرته البريطانية، مارغريت ثاتشر، أن ليس لديه مشكلة مع المهاجرين الأوروبيين ولكن "الأتراك يأتون من ثقافة مختلفة".

ولم تفتح ألمانيا طريقا للحصول على الجنسية للألمان غير العرقيين الذين عاشوا في البلاد لمدة 15 عاما على الأقل حتى التسعينات. وقد تقرّر مؤخراً تخفيض هذا الشرط إلى ثماني سنوات لمن تتراوح أعمارهم بين 16 و23 عاما. وكتبت فيردا أتامان التي تشغل الآن منصب المفوضة الفيدرالية لمكافحة التمييز في الحكومة الألمانية "حتى نهاية التسعينات، كنت إما ألمانيا أو أجنبيا".

وكان على الحزب الديمقراطي الاجتماعي الألماني تقديم تنازل لصياغة القانون الجديد للجنسية، بموافقة المحافظين في حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي والحزب الديمقراطي الحر، الذين أكدوا أن السماح للألمان المتجنسين أو المستفيدين من قانون المواطنة بالحفاظ على جنسيتهم السابقة كان "عملا استفزازيا" يمكن أن يخلق فئة جديدة.

وغالبا ما كانت معارضة ذلك عنصرية صريحة، فقد أطلق الاتحاد الديمقراطي المسيحي التماسا ضد ازدواج الجنسية حصل على 5 ملايين توقيع، ثم وجّه حكومة الحزب الديمقراطي الاشتراكي والخضر لتضيف بندا ينص على أن الأطفال الذين أصبحوا مواطنين ألمانا بسبب حق المولد ولهم جنسية ثانية يجب أن يختاروا جنسية واحدة عند بلوغ سن الرشد. ولم ينطبق هذا الإجراء على البيض الذين تصادف أنهم مواطنون مزدوجو الجنسية من بلدان أخرى.

وكان هذا الإجراء موجها عمليا ضد الألمان الأتراك وغيرهم من المهاجرين المسلمين.

ومن المهم الخوض في هذه التفاصيل القانونية لسببين. الأول هو ارتباطها بقصة أوزيل، حيث ولد بطل كرة القدم في الجيل الثالث من عائلة من أصل ألماني – تركي في العام 1988 وأصبح مواطنا ألمانيا فقط في سن السابعة عشرة. واضطر إلى التخلي عن جواز سفره التركي بعد ذلك بوقت قصير.

وعلى الرغم من أن أوزيل يعيش في إسطنبول مع زوجته التركية، إلا أنه لا يزال يواجه اتهامات بأنه ليس تركيا بما فيه الكفاية.

منذ ذلك الحين، أصبحت ألمانيا تتصالح ببطء مع مجتمعها المهاجر. وتسارعت عملية الانتقال بسبب تدفق اللاجئين في 2015 واستقالة أوزيل.

لقد مثّل رحيل أوزيل ضربة للتماسك الوطني لدرجة أنه أجبر العديد من الألمان البيض على مواجهة حقيقة أن بلادهم لم تكن مرحّبة بالآخر كما كانوا يعتقدون. ووصفت السياسية الفلسطينية الألمانية سوسن شبلي اللحظة بأنها "لائحة اتهام لبلدنا".

هذا العام، اختار المستشار أولاف شولتس ريم العبالي رادوفان وزيرة دولة برلمانية للهجرة واللاجئين والاندماج، وفي الأسبوع الماضي، أكدت حكومته أن وزارة الداخلية برئاسة نانسي فيزر بصدد صياغة إصلاح جديد للجنسية.

لا يمكن لقانون المواطنة الذي اقترحه شولتس أن يبطل بمفرده الإساءات العنصرية التي واجهها أوزيل وعدد لا يحصى من الألمان من غير البيض، ولكنه يمكن أن يعالج أحد مظالم أوزيل الرئيسية من خلال إعادة تعريف ما يعنيه أن تكون ألمانيا في مجتمع حديث متعدد الثقافات.

واشنطن تواجه إستراتيجية أوروبية جديدة تقلقها

واشنطن - يُعتبر المستشار الألماني أولاف شولتس صوتا دائما للمصالحة مع روسيا، بما في ذلك الدعوة إلى حرية نقل البضائع بين دول البلطيق الثلاث، وجميعها من أعضاء الاتحاد الأوروبي، وروسيا.

ويبرز تيار قلق إزاء موقف أوروبا بالنسبة إلى التنافس الأورو – آسيوي أكثر من أي وقت مضى، ومن دلائل ذلك الزيارة التي قام بها شارل ميشال رئيس المجلس الأوروبي إلى الصين مؤخرا، يضاف إلى ذلك موقف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي على الرغم من كونه أظهر ثباتاً حيال الحرب الروسية – الأوكرانية في الشهور الأخيرة، إلا أنه اختلف مرارا وتكرارا مع الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، وكثيراً ما نصح بأن يكون هناك نوع من المصالحة مع روسيا.

ويرى الباحث الأميركي سيث كروبسي مؤسس ورئيس معهد يوركتاون للدفاع ونائب وكيل وزارة البحرية الأميركية الأسبق، في تقرير نشرته مجلة "ناشونال إنتريست" الأميركية أن تصريحات بوريس جونسون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق بأن فرنسا وألمانيا لا تؤمنان جدّيا بالتهديد الروسي، تتلاءم مع هذا النمط من السلوك واسع النطاق. فألمانيا في حقيقة الأمر تأمل في أن تنتهي الحرب في أوكرانيا بانتصار سريع لروسيا للتخفيف من الأضرار الاقتصادية.

ومن الواضح، كما يشير كروبسي، أن الدول الأوروبية الغربية ما زالت غير مستعدة للمشاركة في تنافس أوروبي – آسيوي مطول. ومن ثم فإنه يتعين على الولايات المتحدة أن تدرس كيفية الاستفادة من الأهمية الإستراتيجية الأوروبية بأكبر قدر من الفعالية، وبحث ما إذا كانت أوروبا الجديدة ستكون شريكا أكثر فعالية على المدى الطويل من الدول التقليدية في أوروبا القديمة.

إن مراوغة أوروبا الغربية وعدم وضوحها بالنسبة إلى سياسة الصين يعدان تتويجا لاتجاهات جغراسياسية طويلة المدى. وفي حقيقة الأمر، فإن سياسات فرنسا وألمانيا، وبدرجة أقل بريطانيا، تجاه الصين نابعة من خيارات إستراتيجية واضحة بالمثل في سياسة أوروبا تجاه روسيا. فهي تتبع مجموعة من الافتراضات الإستراتيجية الخاطئة بدرجة كبيرة أسهمت في غزو روسيا لأوكرانيا وفي التوسع الصيني الكبير.

أما السعي الفرنسي الألماني للاستقلالية فلم ينته مع نهاية الحرب الباردة. والدولتان استغلتا قوتهما الاقتصادية والسياسية لتفادي الولايات المتحدة. ولم تكن الخلافات بين برلين وباريس ولندن وواشنطن بشأن يوغوسلافيا والعراق تتعلق بسياسة موضوعية ولكن كانت بشأن تأكيد وضعهما السياسي.

لقد سارت أوروبا القديمة في طريق العولمة ليس بسبب أحلام ديمقراطية مؤجلة ولكن من أجل أهداف سياسية تقليدية. فقد كانت العولمة طريقا نحو الاستقلالية، ومن خلال تقسيم القوة الاقتصادية وإضعاف موقف الولايات المتحدة، يمكن للدول الأوروبية أن تجد لها دورا كدول مهمة إستراتيجيا.

وبدوره، تغيّر التعريف المعروف للإستراتيجية. فلم تعد هناك حاجة إلى القدرات العسكرية التقليدية، حيث أثبت ليل الحرب الباردة الطويل أن القدرات العسكرية التقليدية عديمة الجدوى. وبالنسبة إلى ألمانيا بوجه خاص كانت "سياسة التقارب" هي التي أنهت الكابوس، وليست الأسلحة النووية أو التقليدية.

ومع ذلك، فإنه رغم هذا التفكير الإستراتيجي الخاطئ، لا تستطيع الولايات المتحدة التخلي عن أوروبا ببساطة. فهناك قدر كاف من القوة الاقتصادية، والرصيد السياسي، والإمكانيات الفنية، والمزايا الجغرافية في القارة الأوروبية مما يبرهن بصورة غير مباشرة أنها مهمة بالنسبة إلى أي تنافس صيني – أميركي. فأوروبا كانت ولا زالت تمثل نصف المسألة الأورو – آسيوية: فهي لا يمكن فصلها عن التوازن الهندي – الهادئ.

> مراوغة أوروبا الغربية بخصوص الصين وعدم وضوح موقفها يعدّان تتويجا لاتجاهات جيوسياسية مستقبلية

وأوروبا الجديدة واعدة بدرجة كبيرة للغاية. وتدرك دول أوروبا الشرقية ما بعد العهد السوفييتي مخاطر الحرب الروسية – الأوكرانية، كما تدرك بصورة متزايدة التهديد الذي تمثله الصين للنظام الأورو – آسيوي. وتضع دول البلطيق بحذر الأساس للمزيد من الاتصال الدبلوماسي والتعاون الاقتصادي مع تايوان. ووقعت بولندا عدة صفقات عسكرية كبيرة مع كوريا الجنوبية.

وإذا ثبتت صحة التقارير عن أن هناك تعاونا عسكريا مباشرا بين أوكرانيا وكوريا الجنوبية، فسوف تكون الولايات المتحدة هي الوسيط للحفاظ على الافتراض القانوني بأن كوريا الجنوبية لن تدعم أوكرانيا عسكريا. كما أن أوروبا الشرقية تعيد تسليح نفسها وتتقدم إلى الأمام.

كما أن أوكرانيا تبتعد عن الصين؛ فقد تخلى الرئيس فولوديمير زيلينسكي بهدوء عن سياسته التحوطية الأورو – آسيوية التي كانت تسعى لجذب الاستثمارات الصينية، بعد إدراكه أنه ليست لدى الصين رغبة في التدخل لحساب كييف.

ولذلك يتعين على الولايات المتحدة بحث السبل التي يمكنها بها دمج أوروبا الشرقية في سياستها الخاصة بالصين. وأوضح أن خطوة لتحقيق ذلك ستكون التسريع بالتعاون العسكري والصناعي. وينبغي تشجيع دول أوروبا الشرقية على التعاون مع الدول الآسيوية التي توفر المعدات العسكرية، بما في ذلك كوريا الجنوبية واليابان. وسوف يوفر ذلك لحلفاء الولايات المتحدة الآسيويين الاستقرار في الانتاج المطلوب لتوسيع نطاق الإمكانيات، وبالتالي إيجاد نظام دفاعي – صناعي أورو – آسيوي مشروع لمواجهة جيش التحرير الشعبي الصيني.

وفي ختام تحليله يوضح كروبسي أنه ليس هناك أي شيء يدفع الدول الأوروبية الغربية إلى الانصياع لما ترغبه الولايات المتحدة، ولا حتى الحقائق التي تتكشف في أوكرانيا. ومن ثم، يتعين على السياسة الأميركية أن تتكيف.

السياسة الأميركية أمام خيار التكيّف مع توجهات أوروبية جديدة

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

جنرال تستدعيه الدولة المصرية لمكافحة الفساد

هشام آمنة

وزير تنمية محلية في مهمة حلحلة العُقد

● تحركات آمنة تختلف عما سبق وأن قام به جنرالات جيش وشرطة استعانت بهم الحكومات المصرية

● عمله السابق في رئاسة الجمهورية ساعد آمنة على تنمية شخصية صارمة

أحمد حافظ
كاتب مصري

طوال سنوات عديدة مضت، كانت غالبية استطلاعات الرأي في مصر التي تتحدث عن الجهة الأكثر فسادا وبيروقراطية، تشير إلى أن المحليات هي أكثر البؤر الحكومية إثارة لاستفزاز الناس باعتراف مسؤولين ومواطنين على حد سواء.

احتاجت المحليات في مصر إلى أن يكون الوزير المسؤول عن إدارتها من الشخصيات الصارمة التي تضع جملة من الخطوط الحمراء أمام كل من يفكّر في الانحراف والسرقة والفساد المالي والإداري وتعطيل مصالح المواطنين.

ولهذا بدت الاستعانة باللواء هشام آمنة ليكون مسؤولا عن حقيبة التنمية المحلية في التشكيل الوزاري الذي جرى في أغسطس الماضي، نقطة انعطاف شعر الكثير من المواطنين معها بأن هناك تغييرا حقيقيا يحدث في ملف المحليات، بحكم السمات الشخصية المعروفة عن الرجل.

ثورة على الفساد

صحيح أن الحكومات المصرية المتعاقبة اعتادت الاستعانة بجنرالات من الجيش والشرطة لشغل منصب وزير التنمية المحلية، لكن المتابع لتحركات الجنرال آمنة يدرك أنه يختلف عن معظم من سبقوه في المهمة، فهو صارم وحاسم إلى أقصى درجة، وجاء في مهمة محددة بتكليف من الرئيس عبدالفتاح السيسي لاجتثاث جذور الفساد.

ارتاحت شريحة كبيرة في الشارع المصري لما يفعله آمنة في الآونة الأخيرة بعد قيامه بإجراء أكبر حركة تنقلات في تاريخ المحليات، حيث قام بتغيير العشرات من المسؤولين في أقاليم مختلفة وإقالتهم، وتعهد بإقصاء كل قيادة تفكر في الانحراف.

> آمنة لم ينتظر طويلا لوضع القيادات المحلية أمام اختبارات لقياس أدائها، فهو يُدرك جيدا أن الوضع مهلهل وفي حاجة إلى تدخل جذري باقتلاع رؤوس الفساد

أقدم على تنظيم تدريبات مكثفة للموظفين والقيادات المحلية في عموم البلاد للقيام بمهامهم بشكل عصري، بحيث يكون الموظف المحلي ملما بكل أبعاد المسؤولية الموكلة إليه والتعامل مع المواطن لإنجاز المهام دون شبهات أو خروقات. وفتح الباب أمام أيّ كادر ليتقدم لشغل منصب قيادة محلية ثم أجرى اختبارات وتدريبات لتولي المهمة دون وساطة أو محسوبية، وأبلغ كل المسؤولين أن وجودهم في مناصبهم لن يكون دائما، بل سيتم تقييم أدائهم كل فترة.

يُدرك آمنة أنه مسؤول أمام مؤسسة الرئاسة والحكومة بملفات أقرب إلى قنابل موقوتة، فالأهم بالنسبة إلى السلطة أن يكون المواطن راضيا عن الخدمة المقدمة له، لأن الدولة مهما فعلت من إنجازات والمواطن ناقم على الأداء فلا قيمة لكل ذلك.

لم ينتظر طويلا لوضع القيادات المحلية أمام اختبارات لقياس أدائها، فهو يُدرك جيدا أن الوضع مهلهل وفي حاجة إلى تدخل جذري باقتلاع رؤوس الفساد والمحسوبية من مناصبهم وتكليف آخرين على قدر من النزاهة والأمانة لتنفيذ تكليفات رئيس الدولة، وإحساس المواطنين بأن تغييرا يجري على الأرض.

الرجل مكلف بمهام جسيمة للتخلص من المخالفات التي تنتشر في عموم الجمهورية، سواء أكانت مباني على أراض زراعية أو عقارات تم إنشاؤها دون تراخيص، إضافة أنهاء ظاهرة تهالك البنى التحتية وبطء تنفيذ بعض المشروعات القومية وانتشار المشاهد السلبية في الشوارع والميادين، وعلى رأسها القمامة والمواقف العشوائية.

أهم ما يميزه أنه شخصية لا يستهويها العمل المكتبي، ولا تلقّي التقارير التي يتم رفعها إليه لرصد الواقع على الأرض، فهو رجل مكّوكي يتجول في كل مكان ليشاهد بنفسه ما يجري، إدراكا منه لصعوبة أن يكتب أيّ مسؤول تقريرا يدين نفسه، لذلك لا يكل من الجولات.

عندما كان مسؤولا عن محافظة البحيرة، في شمال القاهرة، قبل توليه حقيبة التنمية المحلية في التعديل الحكومي الأخير، استطاع أن يترك بصمة جعلت البعض من المواطنين يغضبون بسبب رحيله عن المحافظة، فقد كان ينزل إلى الشوارع والميادين في أوقات متأخرة من الليل ويفاجأ الناس به وهو يتجول أمامهم دون ترتيب مسبق.

ورغم أن البحيرة من أكبر المحافظات مساحة، لكنه كان يقطع مسافات طويلة ويصل إلى المواطنين في أبعد نقطة ليسألهم عن أحوالهم وشكاواهم ورأيهم في أداء موظفي الأحياء، وبعدها يبدأ في محاسبة المقصرين بناء على ما نقله الناس إليه، فهو يؤمن بقيمة المواطن في الرقابة والإصلاح.

يمكن من خلال الفترة التي قضاها محافظا الحكم على شخصيته الإدارية، فهو جنرال لا يهاب أيّ مسؤول يخطئ، وعنيف ضد كل من يستغل منصبه ونفوذه، لدرجة أن بعض نواب البرلمان كانوا يجدون صعوبة في الحصول على توقيعه الشخصي على طلبات الناخبين طالما أنها مصالح شخصية. يسير على عكس العديد من المسؤولين في مصر، فهناك وزراء ومحافظون يستهويهم التقارب مع نواب البرلمان على وجه الخصوص لنيل رضاهم وتجنب أن يتقدموا ضدهم باستجوابات، ولا يرضخ للتهديدات طالما أنه يسير في الطريق الصحيح.

ساعدته السنوات التي قضاها في مؤسسة رئاسة الجمهورية في أن تكون شخصيته صارمة لا يهاب أحدا، فقد كان قريبا من رئيس الدولة، حيث كان مساعدا لرئيس شرطة الحرس الجمهوري بالقصر الرئاسي وقريبا من دوائر صناعة القرار.

عقب حصوله على البكالوريوس في العلوم العسكرية، شغل آمنة العديد من المناصب، منها قائد سرية مدفعية صاروخية، وضابط بأمن الحرس الجمهوري، وقائد سرية بشرطة الحرس الجمهوري، ومدير شرطة الحرس الجمهوري ثم أصبح مساعدا لرئيس شرطة الحرس الجمهوري.

كما تولى عددا من المهام خلال فترة عمله بالحرس الجمهوري، منها أعمال التأمين والحراسة لرئيس الجمهورية داخل البلاد وخارجها، والتأمين والحراسة لملوك ورؤساء الدول العربية والأجنبية أثناء زياراتهم إلى مصر، ضمن فرق الحراسات المكلفة بتأمينهم.

وكان أيضا ضمن المسؤولين عن المراسم والتشريفات بمؤسسة الرئاسة، بالإضافة إلى أعمال أخرى مرتبطة بالتدريب والعلاقات العامة للضباط المنتدبين للحرس الجمهوري، والإشراف على مشكلات أفراد الحرس في النيابات العامة والعسكرية وأقسام الشرطة المدنية والعسكرية. وقضاياهم.

من المركز إلى الأقاليم

أولى المهام المدنية التي تم تكليفه بها هي رئاسة مدينة القصير، ثم مدينة سفاجا بمحافظة البحر الأحمر، وهما من المناطق الحدودية التي تتعامل معها الحكومة بطبيعة خاصة تتطلب أن يكون المسؤول عنها شخصية عسكرية، ونجح في هذه المهمة باقتدار، ما أهّله إلى أن يشغل بعدها محافظ البحيرة.

بحكم أنه اقترب من القصر الرئاسي وانخرط في العمل بالقرب من الرئيس عبدالفتاح السيسي حين كان وزيرا للدفاع، أو بعد توليه رئاسة الدولة، بات آمنة قارئاً جيداً لما يشغل بال الرئيس، وهو يعي ماذا يريد الرجل من ملف المحليات، ويدرك تماما طبيعة التحديات الموجودة على الأرض.

لدى السيسي رؤية خاصة تجاه المحليات نجح آمنة في تطبيقها إلى حد بعيد، تتلخص في أن تصبح الأحياء لامركزية ولديها صلاحيات واسعة بعيدا عن احتكار الحكومة لكل كبيرة وصغيرة فيها، وهي قضية يدعمها آمنة، لذلك بدأ باختيار الكفاءات التي ستتولى تطبيق اللامركزية.

الملف الأهم بالنسبة إليه أن ينجح في تنفيذ المشروع القومي "حياة كريمة" باقتدار وحكمة وفي توقيت قياسي، لأنه يستهدف تحسين قرى الريف والقضاء على الفقر والعشوائيات والسلبيات التي شوهت صورة النسبة الأكبر من مساحة مصر.

ولأن مصر تعاني من كثرة التعديات على الأراضي الزراعية بما أثر بشكل بالغ على المساحات المزروعة، تعامل الجنرال آمنة مع الملف باعتباره مسألة مصيرية، وتعهد بمحاسبة أيّ مسؤول عن ترك أيّ حالة تعدّ دون إزالة أو تصالح وفق شروط الحكومة لعودة هيبة الدولة مجددا.

يُدرك المتابع للرجل أنه يتعامل بعقلية رئاسية بحتة في إدارة ملف المحليات، فهو مطلع على بواطن الأمر، ثم أنه لم يهبط على وزارة التنمية المحلية فجأة، بل شغل أولا منصب رئيس مدينتين في محافظة حدودية، ويعرف جيدا كواليس العمل بالمحليات ودهاليزه.

تعول الحكومة عليه لإقناع الشارع بتطبيق لامركزية المحليات، لتكون هناك صلاحيات أكبر للمحافظين ورؤساء الأقاليم، لكن المهم تمهيد الأرض بإقناع الناس بمزايا الخطوة، ولن يتحقق مراد الدولة في هذا الشأن قبل شعور المواطن البسيط بأن المحليات لن تظل على فسادها للأبد.

شكّل الرجل لأول مرة لجانا في كل محافظة مهمتها الكشف عن وقائع المخالفات والفساد لتطهيرها من المتجاوزين، كخطوة نحو ترضية الشارع وإقناعه بأن هناك شيئا إيجابيا يحدث على الأرض، كما حدد مهلة شهر للتصديق على أيّ مشروع أو طلب استثماري من دون تعقيدات إدارية.

كانت حلول الحكومة لمواجهة العراقيل والفساد في المحليات وتعطيل كل تحرك تنموي أن تستعين بالقوات المسلحة لتنفيذ المشروعات وإنجازها بشكل سريع، لكنها عالجت العرض وليس المرض، حتى أصبحت الأجهزة المحلية طاردة للاستثمارات وعاجزة عن تحقيق أهداف الدولة.

> شريحة كبيرة في الشارع المصري تبدي ارتياحها لما فعله آمنة في الآونة الأخيرة بعد قيامه بإجراء أكبر حركة تنقلات في تاريخ المحليات، حيث قام بتغيير العشرات من المسؤولين في أقاليم مختلفة وإقالتهم

العشرات من المسؤولين في أقاليم مختلفة وإقالتهم

وكثيرا ما ضبطت الأجهزة الرقابية موظفين لارتكابهم مخالفات مالية جسيمة، وظهر ذلك عندما فتحت الحكومة ملفات العقارات المخالفة فتبين حصول البعض من مسؤولي المحليات على مبالغ مالية نظير منح تراخيص غير قانونية وجرى ضبط رشاوى لمسؤولين كبار في الأحياء.

يدعم آمنة تطبيق اللامركزية لتسريع التنمية والقضاء على البيروقراطية بعيدا عن تعطيل مصالح الناس، لذلك يتحرك في الملف بخطى محسوبة من خلال فرض الرقابة على المحليات وإعادة هيكلتها قبل أن تضع الحكومة في مواجهة شارع وصل غضبه من موظفي المحليات للذروة.

محليات بلا انتخابات

يظل أكبر تحدٍ أمام آمنة أنه منذ ثورة يناير 2011 لا توجد في مصر مجالس محلية شعبية منتخبة، بعدما قرر القضاء حلها في يونيو من نفس العام، لذلك أصبحت الأعباء كثيرة، وهو مطالب بتمهيد الأرضية سياسيا واجتماعيا وأمنيا لإجراء انتخابات حقيقية.

والحكومة تتلكأ في عقد انتخابات المحليات كي لا تتحول المجالس المحلية إلى برلمانات صغيرة للمعارضة في كل إقليم وحيّ، ودون القضاء على الفساد وتلبية مطالب الناس بشكل يجعلهم في صف الحكومة سوف يتسلل منتمون لتيارات مناوئة للسلطة.

صحيح أن الأجهزة الرقابية اعتادت توجيه ضربات قوية لموظفين وقيادات بالمحليات، متهمين بالفساد المالي والإداري، لكن يُحسب لآمنة أنه لا يكتفي بتتبع تحركات القيادات الكبيرة وقراراتها من دون النظر إلى كوارث الصفين الثاني والثالث من المسؤولين.

يفهم ويعي جيدا أن بعض الموظفين الصغار يمارسون إرهابا نفسيا على المواطنين ويشحنون غضبهم تجاه صانع القرار، لذلك يطاردهم بالعزل والعقاب.

وإذا كانت الحكومة تعاني من صعوبة استمالة المواطنين على وقع الأزمات المعيشية، يظل آمنة من الوزراء القلائل الذين نجحوا في إقناع المواطن العادي بأنه شريك في القضاء على الروتين والفساد المالي.

ويواجه اعتماد الرئيس السيسي على الجنرالات في مناصب مؤثرة بتحفظ البعض، لكن هناك ملفات معقدة تتطلب شخصيات تمتلك المزيد من الحسم والصرامة والانضباط وتكون شجاعة في اتخاذ القرارات بعيدا عن الأيادي المرتعشة.

ورغم أن آمنة لم يقض في منصبه كوزير لأحد أهم الحقائب الوزارية المرتبطة بالشارع سوى نحو أربعة أشهر، لكنه أثبت للكثيرين أنه شخصية مؤهلة للنجاح في الوظيفة المدنية الأصعب، ويتمتع بسمات تجعله قادر على فهم مطالب الناس وتحقيقها.

كانت صنعاء ولايته الشعرية

عبدالعزيز المقالح

شاعر التنوير الذي انتهى إلى الرثاء

عينا المقالح حين أغمضتا للمرة الأخيرة، انتبه كثيرون أنهم من خلال رثائه إنما يرثون اليمن

المقالح سفير اليمن الشعري، ولم يكن الاختلاف في الأفكار ليشكل حاجزا بينه وبين أحد

فاروق يوسف
كاتب عراقي

"لا بدّ من صنعاء" ذلك هو عنوان كتابه الشعري الذي صدر عام 1972 أي قبل خمسين سنة. و"لا بدّ من عبدالعزيز المقالح" لكي تكون اليمن موجودة على خارطة الشعر العربي بل وخارطة الوعي الثقافي العربي.

كان المقالح سفير اليمن الشعري إلى الخارج وممثل الشعر العربي في اليمن. لذلك كان الشعراء العرب بمختلف مستوياتهم وتوجهاتهم يتوافدون على عدن وصنعاء كما لو أنهم يذهبون إلى بيوتهم.

كان المقالح صديق كل الشعراء العرب. ولم يكن الاختلاف في الأفكار السياسية ليشكل حاجزا يقف ما بينه وبين أحد. كان الشعر وحده هو بوصلة صداقاته الممتدة من المحيط إلى الخليج.

انفتاح المقالح على أساليب التعليم الجامعي الحديث ووسائله وتقنياته ومقوماته، وكونه واضع أسسه، يترافقان مع ريادته للحداثة الشعرية في اليمن

في الوقت نفسه كان المقالح حاضرا في الأوقات التي سبقت الانقلاب الحوثي في المشهد السياسي فهو صديق الرؤساء، من عبدالسلال إلى علي عبدالله صالح. الأهم من ذلك أن التعليم في اليمن شهد تطورا نوعيا كبيرا أثناء رئاسته للجامعة. فالرجل كان منفتحا على أساليب التعليم الحديث ووسائله وتقنياته ومقوماته. ومثلما كان رائد الحداثة الشعرية في اليمن فإنه كان واضع أسس التعليم الجامعي الحديث.

المعلّم بثوبه الأكاديمي

استقبلت الجامعة اليمنية يوم كان رئيسا لها كبار المدرسين العرب، سواء من خلال ضمهم إلى كادرها التعليمي الثابت أو من خلال استضافتهم زوارا مؤقتين.

"الشعر هو البقية الباقية التي تحفظ لأرواحنا شفافيتها ورؤيتها الصحيحة". هذا ما قاله رائد التنوير الذي صار يرى بلاده تعود إلى العتمة التي يُفترض أنها غادرتها بعد التحرر من نظام الإمامة.

لقد شعر الرجل في لحظة يأس أنّ لا شيء سوى الشعر سيبقيه على قيد التنفس في بلاد تلوث هواؤها بالأفكار والطقوس والسياسات الظلامية التي لا يمكن للشعر سوى أن يقاومها. كانت صنعاء وهي المدينة التي عاش فيها الجزء الأكبر من حياته تختفي تحت غبار العمائم لذلك صار يكتب لها ومن أجلها النشيد تلو الآخر.

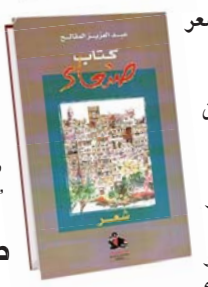

بالنسبة إليه وهو الذي عمل على الارتقاء ببلاده حضاريا ما من صنعاء أخرى. صنعاؤه هي الـ"صنعاء" الوحيدة التي يمكن أن تكون شاهدا على يوم القيامة. كانت صنعاء هي مختبره الشعري وهي قيامته.

حين أغمض المقالح عينيه للمرة الأخيرة يوم 28 نوفمبر الماضي انتبه الكثيرون أنهم من خلال رثائه إنما يرثون اليمن، وبالذات صنعاءه التي عمل من أجل إضاءة أرواح سكانها بنور الشعر.

ولد عام 1937 في قرية المقالح بمديرية السدة من أعمال محافظة إب جنوبي اليمن. تعلم هناك مبادئ القراءة والكتابة وانتقل بعدها إلى صنعاء ليدرس على أيدي كبار علمائها ويتخرج عام 1960 من دار المعلمين. غادر بعد ذلك إلى القاهرة وحصل عام 1977 على شهادة الدكتوراه من جامعة عين شمس بعد أن كان قد حصل على الماجستير من الجامعة نفسها عام 1973.

ما بين عامي 1982 و2001 ترأس المقالح جامعة صنعاء بعد أن كان مدرسا فيها. كما تولى رئاسة المجمع اللغوي اليمني وكان عضوا في المجمعين اللغويين في القاهرة ودمشق. وأخيرا أصبح مستشارا ثقافيا في رئاسة الجمهورية وهو منصبه الأخير.

أصدر 33 كتابا توزعت بين الشعر والنقد والبحوث الأكاديمية. انطلاقا من العام 1972 عندما أصدر كتابه الأول "لا بدّ من صنعاء" وحتى العام 2018 حين أصدر كتابين؛ الأول شعري هو "بالقرب من حدائق طاغور" والثاني كتاب نقدي هو "ذاكرة المعاني".

طوق نجاة

حاز على وسام فارس في الآداب والفنون من فرنسا. وقبلها نال جائزة أحمد شوقي من اتحاد الكتاب في مصر. وقد منحته مؤسسة العويس في الإمارات عام 2010 جائزتها.

لم يعد الشعر طوق نجاة
في قصيدته "آه" يقول المقالح:
"آه يا وطني
الشعراء في ذرى الأوليمب عند قوس النصر
يغرقون في الكؤوس
يفتشون عن أغاني الحب
عن فينوس
وأنت مصلوب وليلك العبوس
ينام في العيون
أشباحه المدى
تداعب الأعناق تحصد الرؤوس
تحترق النجوم في سماك تطفئ الشموس
والشعراء صامتون
على مشانق الحروف ميتون".

حين انهارت الدولة الحديثة في اليمن أدرك رجل الحداثة والتنوير أن في صدره "آه" بحجم وطن ضائع، غير أنه في الوقت نفسه كان ينظر بأسى إلى الفشل الذي انتهت إليه محاولات أجيال من الشعراء من أجل أن يكون لهم محل في إعراب البناء الإنساني الذي أثبت أن مقاومته أضعف من أن تقف أمام رياح التخلف بظلاميتها. لقد أطبق المقالح عينيه على اليأس، حيث صار الخراب يحيط به من كل الجهات. حتى الشعر لم يعد طوق نجاة.

لقد عاش المقالح كل التحولات السياسية التي شهدها اليمن عبر الانقلابات العسكرية التي كانت تنطوي على رغبة مضللة في التحرر من القيم العشائرية وفي الوقت نفسه كان يكتب شعرا ويرعى شعراء، هم أبناء زمن آخر. فإذا به في نهاية حياته يكتشف أن في إمكان الصدام بين القوتين أن يدفع بمحاولات التحديث كلها إلى الهاوية. وهو ما لم يكن مهيئا لملاقاته. لم تعد اليمن يمنه ولا صار في إمكان الشعر أن ينوء بحمل ذلك الشعور بالأسى.

شعر المقالح ظل وفيا لمواصفات القصيدة الحديثة كما انتهى إليها رواد الشعر العربي الحديث، وبالأخص بدر شاكر السياب وعبدالوهاب البياتي

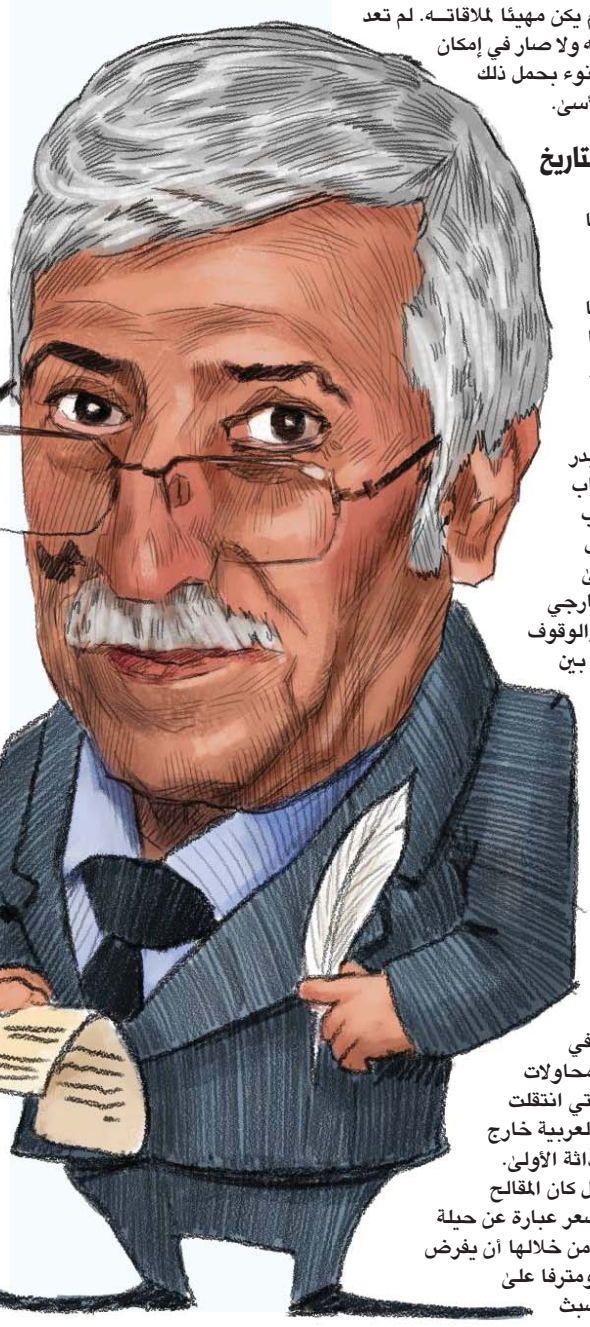

خشونة التاريخ

ظل وفيا لمواصفات القصيدة الحديثة كما انتهى إليها رواد الشعر العربي الحديث، وبالأخص بدر شاكر السياب وعبدالوهاب البياتي. ظل حريصا على الإيقاع الخارجي والوصف والوقوف عند القافية بين حين وآخر. غير أن المقالح بالرغم من أنه لم يخرج بموهبته من تلك المنطقة فإنه لم يكن محافظا أو متشددا في تعامله مع محاولات التحديث التي انتقلت بالقصيدة العربية خارج منطقة الحداثة الأولى.

ولكن هل كان المقالح يدرك أن الشعر عبارة عن حيلة مؤقتة أراد من خلالها أن يفرض حلا ناعما ومترفا على مجتمع متشبث بمشكلاته التي تمتد بجذورها إلى عصر ما قبل الدولة؟

بالنسبة إلى المقالح وهو رجل شعر وسياسة كان الشعر رهانا يتخطى المسلمات الثقافية السائدة ومن خلاله استطاع أن يحرك الواقع الثقافي الراكد. كانت السياسة هي الحائط الذي استند إليه المقالح في تنفيذ مشروع انفتاحه الشعري على العالم. أما وقد سقط ذلك الجدار بطريقة رثة تتضمن الكثير من عناصر الفوضى فقد لجأ الشاعر إلى كتابة المرثيات.

يقول المقالح:
"وطني
مغلقة أبواب الله
ولم يبق سوى باب مفتوح
ذلك باب السلم
وآن لنا أن ندخله طوعا أو كرها
ولنعلن للملأ الحائر
أن ثلاثة أعوام
من عمر الدم النازف
تكفي".

لم يكتف برثاء الوطن بل رثى أيضا مشروعه الشعري الذي كان في أساسه مشروعا تنويريا وطنيا. يقول:

"أبعدوا الشعر عني
خذوه بعيدا
بعيدا
فقد رابني
أثقلت روحيَ الكلمات
وأجهدني البحث عن لغة
لا تموت إذا هطلت
في سطور الكتابة
من فضلكم
أبعدوا الشعر عني
لقد حال بيني
وبين الفضاء الذي
كنت أمشي عليه بقلبي
واصطاد ما أشتهي
من نجوم
ومن سحب شاردة"

السياسة هي الحائط الذي استند إليه المقالح في تنفيذ مشروع انفتاحه الشعري على العالم. أما وقد سقط ذلك الجدار فقد لجأ الشاعر إلى كتابة المرثيات

لقد اصطدم عبدالعزيز المقالح بجدار الوطن. سالت لغته على ذلك الجدار كما لو أنها كانت دائما بقعة دم.

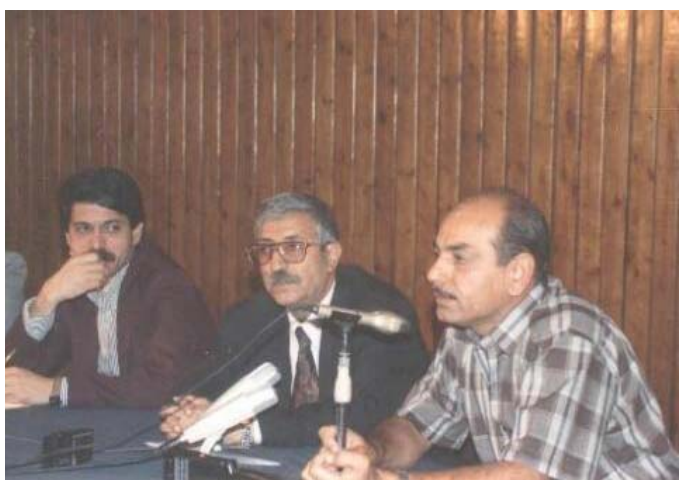

اصطدام المقالح بجدار الوطن جعل لغته تسيل كبقعة دم

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

ما نراه في المرآة لا حقيقة له

الفلسفات الحديثة تحولت إلى برامج مؤدلجة لتمرير وضع سياسي خاص

تغيير العالم يبدأ بتغيير فكرة اللاهوت، والناس من بعده، عن إشكالية وفعل الموت. وهذا يعني أو يتضمن رفض بعض القيم التي اكتسبت مشروعيتها من التقادم، وليس من عملية قبول تقوم على الاقتناع المعمق. وهذا يعني أيضا، أن نكف كأشخاص عن أن نكون كينونات منفعلة/انفعالية، لا يقع عليها سوى أداء ردود أفعال الاستجابة، كما سنبين مرة أخرى في هذا المقال.

قبول بوحش فتاك (لوحة للفنان سمير الصفدي)

سامي البدري
باحث وروائي عراقي

الإنسان هنا يُحارب.. الإنسان هنا، في هذا الوجود، يهترئ حتى الموت.. الإنسان على الأرض موجود ليقمع ويُبخس ويُحط من قدره. الإنسان هنا لينظر في المرآة دون أن يعلن أنه يرى شيئا... دون أن يرى وجهه.

الإنسان هنا ليسمع ما لا يريد: كلا ليس هكذا.. كلا لا تقل هذا.. كلا ليست هذه الفلسفة.. كلا أنت تنظر إلى الأمر بالمقلوب. ومنذ سقراط العزيز والفلاسفة ينظرون إلى الأمر بالمقلوب وغيرهم ينظر إليه بطريقة غير مقلوبة، ولكن هؤلاء (الغيرهم) لم يحققوا الوصول إلى "مدينة أين"، (بلغة الشاعر العراقي سركون بولص)، بل لم يحددوا وجودها على الخارطة من الأساس.

هل ثمة من سيقول هذه مبالغة؟ بالتأكيد، ومن يقولونها يبحثون عن الإناء دون التفكير أو الرغبة في أن يكون له قعر.

إلى «مدينة أين»

لنعد إلى "مدينة أين"، (بحسب رؤية سركون الشاعر) وهنا هي ليست يوتوبيا، بل هي القاعدة التي يتخيل الاتفاق البورجوازي أنه يستند عليها: أين هي؟ الاتفاق وحده الذي يراها، نحن لا نراها؛ وطبعا نحن لا نراها، ليس بسبب قصر نظرنا، بل لأنها كبقية الأوهام التي صنعها العقل البشري طلبا للتصالح مع حالة العجز التي عاناها، لا وجود لها إلا ضمن هيكلية رؤية "طلب السلامة" التي نسجتها الأيديولوجيات والرؤى الطقوسية، التي تسمي نفسها أديانا، لأنها أرادت أن ترى ظلالا في المرآة. هل بقاء المرآة شاغرة، (دون ظلال أو أشباح تعكسها) هي معضلة العقل الجمعي أو المجموع الاجتماعي؟ التهويمات الأيديولوجية والغيبية، بل وحتى بعض الفلسفات، تقول نعم.

هل هي معضلة الخوف من الاهتراء المجاني (الموت دون هدف منظور)، فلجأت الكثرة الكاثرة إلى رسم، ولو ظلال وهمية (في المرآة)، ورغم الاختلاف على رؤيتها من قبل الآخرين، لتطمين مخاوفها من المجهول، وإقناع نفسها بمبرر غيبي (ضروري) لموتها؟ هل كانت هذه الظلال هي التي تقف خلف نشوء فكرة الآخر؟

> **الإنسان كوجود ووعي وإرادة، عاش ومازال يعيش مناقضا لفرضية هيدغر وكثير غيره من الفلاسفة الوجوديين**

بالتقادم والتراكم الكمي والزمني، وبحكم رغبة الإنسان وحاجته إلى المتجسد الملموس، اختزلت تلك الظلال (التهويمات الفكرية والأساطير) بأشخاص مخترعيها، أو بقبورهم، بعد موتهم، لتتحول إلى الظل الوحيد الذي يرى في المرآة.

ولكن الإنسان ظل محاربا ومقموعا ويمتهن ويحط من قدره، بموت مجاني غير مبرر، وأجبر على النظر في المرآة وأن يرى ما ليس له وجود، في غير رؤوس من صنعوا الظلال، وأن يؤمن بوجودها، وأن يراها أيضا، دون أن يمنع هذا الإيمان عنه، شعور الامتهان والموت. تلك المرآة كانت تلوّح له بالسرج واللجام دون أن تريه الحصان، ولكنه أجبر على ترديد رؤية الحصان في كل وقت. وبالتقادم أيضا، تحول السرج واللجام إلى بديل مقدس عن الحصان عند البعض، وإلى الحصان ذاته عند البعض الأكبر المتبقي.

هل منح هذا التسويق مبررا للموت أو قناعة بأحقيته؟ كلا وبالمطلق؛ فقد ظل الموت فعلا رديئا ووحشيا ومستهجنا ومرفوضا، بل وطارئا، يقتحم دورة حياة الكينونة الذاتية وقداسة فردية الفرد (بالنسبة إلى ذاته وإيمانه بها) بغير وجه حق.

وهذا يعني أن أغلب ما بني من قناعات ميتافيزيقية، لم يكن سوى أوهام لم تجب على أي سؤال، وظل السرج مجرد سرج واللجام مجرد لجام، يبحثان عن حصانهما الذي بلا وجود أو المختفي في مدينة (أين) الشاعر، التي لا وصول إليها، رغم اختراع ظلال المرآة لها، وتأكيدها على خارطة مخترعيها.

إذا كانت بداية الفلسفة قد حكمتها محددات، معرفية وأخلاقية (بحسابات وأوضاع عصورها الأولى) فإن الفلسفة الحديثة، أو أنساقها المؤدلجة، قد حولت (وهم المرآة) إلى كيس ووضعت فيه مشتقات وأدوات مرتجلة أو فرضتها أوضاع شاذة، كأوضاع وأيديولوجيات ومهيمنات سياسية واقتصادية صرفة، وهذا ما حوّل المرآة إلى وهم مركب، يستمد من عدم القدرة على تفكيك أحجياته، قدرة مضافة على مضاعفة الوهم وتشعيبه في مسارب مصطنعة، وإلى حد تيئيسي، الأمر الذي ضاعف عدد الظلال والأشباح في المرآة إلى حد بلوغها مرحلة القبول، يأسا وتعبا ومللا لا قناعة.

وهذا طبعا ما أوصل الكثرة الكاثرة لقبول أو التعايش مع فكرة الوصول إلى مدينة أين والعيش في ربوع دهشتها، ليس لأنهم وجدوها وعاشوا فيها، بل تحت ضغط القوة والسلطات المهيمنة، وأولها السلطات الأكاديمية والإعلامية التي سوغتها بالترغيب، ومررتها بالترهيب السلطوي، تحت مسمى قانون.

ولكن مدينة أين هذه، وعلى عكس تبشير أصحابها، لم يتوقف أو يتعطل الموت على سورها الخارجي، كما هو المفترض، بل كان الموت يسكنها أكثر مما يسكن الغابة، بل وكان موتها أكثر فظاظة وألما. لماذا؟ لأن الفلسفات الحديثة تحولت إلى برامج مؤدلجة أو تنسج من أجل تمرير وضع سياسي خاص جدا وبأهداف بعيدة المدى والآفاق.

ضد فرضية هايدغر

إن فعل الموت عملية قطع عنيفة وطارئة على فعل الحياة، الذي يولد الإنسان من أجله ومن أجل تحقيقه والتمتع به، ثم يأتي فعل الموت المناقض والقاطع له ليلغي كل جهده ويحيله إلى مجرد جيفة لا تطاق، فكيف يكون أو يمثل هذا الفعل – الموت – وضع أو حالة انتقال إلى حالة وجود ممكنة ودائمة؟ هذه الفكرة لم يتقبلها أو يتصالح معها لا عقل الإنسان يوما، ولا طبيعة وجوده ولا شعوره الذاتي بحقوقه الكيانية والوجودية، وحالة الوعي بهذه الحقوق هي جوهر الذات الفاعل والممثل للكيان الإنساني.

الإنسان، في واقع حياته ووعيه، لا يريد الموت ويرفضه رفضا قاطعا، ولم يتصالح معه إلا في حالات نادرة، مثل حالات البطولة الوطنية التي تدفع بعض الجنود إلى قتل أنفسهم دفاعا عن أوطانهم، وحالات الانتحار يأسا أو احتجاجا على وضع شاذ، أما الوضع الطبيعي للإنسان فهو التمسك بحياة ذاته تمسكا تاما والدفاع عن وجوده حد القتال، وهذا يعني رفض الموت رفضا قاطعا.

وبداهة الوعي الذاتي والإنساني معا تقول: ليس من المنطق أننا نولد ونكابد من أجل أن نحقق ذواتنا لنموت. منطق العقل ومنطق وجودنا يقول إننا نفعل هذا من أجل أن نحيا ونعيش بلا نهاية، فمن أين جاء هذا الفعل القبيح الطارئ، الموت، ليخطف حياتنا ووجودنا بفجاجته ووحشيته التي نراها؟ وتكمل الذات والكينونة الفردية هنا بالقول: لا بد أن ثمة خطأ في الأمر... أو في مكان ما من العملية!

هل يوجد خطأ في العملية؟ أين، ومن المسؤول عنه في نظام الحياة، وقبلها الوجود وسيرورته؟

وإذا ما عدنا من جديد إلى المرآة لننظر فيها بحثا عن تفسير لهذه النقطة، سنجدها خاوية من أيّ إشارة تدلل على الكد في هذا الجانب، بل هي تزوق وتسوق الموت على أنه مسلمة ونهاية واقعية ومنطقية من أجل العبور إلى حالة الوجود الثابت أو الحياة الخالدة.. ماذا كنا نفعل هنا إذاً؟ كنا نكد ونتعب من أجل أن نموت بأبشع طريقة؟ ومن نافلة القول أن نذكر هنا أن موت التتفيه والتحقير والازدراء هذا، الموت اللاإرادي، هو غير القدرة على الموت، التي يجب أن يمتلكها الفرد كفعل تغيير إرادي.

ربما هذه هي الحالة التي وصفها الفيلسوف كارل ياسبرز بالإخفاق المطبق، رغم أنه يعود ويناقض هذا المفهوم، تحت عجزه عن إيجاد الحل لهذه الإشكالية، بنكوصه إلى تهويمات رجال المعابد، وحديثه عن إمكانية أن يكون الموت أحد شروط الحياة الصالحة؛ وكلام العجز هذا، الذي يشبه كلام الرهبان والنساك والوعاظ، إنما كان بمثابة إعلان فشله، لأن أهم شروط الحياة الصالحة هو الحياة في الحياة التي وجدت من أجلها كينونة الذات، لا في موت أعمى ومجهول، أو في حياة تليه أو وجود ثابت يليه، لأن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: ماذا كنا نفعل هنا، أمن أجل تعلم الموت لنحقق حياة صالحة، كما ادعى ياسبرز في لحظة عجزه؟ كلا بالتأكيد، لأن هذا الفرض التسطيحي يناقض مبدأ الوجود المتحقق: وجد الكائن ليحيا، لأن بحياته وحدها يتحقق فعل الوجود الملموس، وهو مبدأ الوجود وطريقة تحقيقه التي يقبلها منطق العقل.

إن الإنسان كوجود ووعي وإرادة، عاش ومازال يعيش، مناقضا لفرضية هيدغر، وكثير غيره من الفلاسفة الوجوديين، في أن الإنسان موجود من أجل الموت، بل لعل هذه الفرضية هي الأكثر سذاجة وتناقضا في طروحات هيدغر، لأنها تناقض إيمان الإنسان بذاته، الذي ينبني عليه تطلعه، هذا التطلع الذي وقف ويقف وراء كل منجز الإنسان العلمي والتكنولوجي والحضاري، الذي هو ليس سوى عملية سعي دؤوبة لوقف الموت عند حد، والصراخ في وجهه، كسطوة غاشمة، أن قف عند حد أنت تغتصب وجودي وكينونتي بلا وجه حق، وهما هويتي وأغلى ما أملك.

إذن الموت حادث اعتداء قهري على الحياة ككل وعلى عملية الإيمان العادلة بكيان الذات، بصفتها وحدة الوجود الأولى التي تؤسس لفعل وكيان الوجود وصيغة تمثله وقيامه، كمنظور ملموس وقيام فعلي مدرك، وعليه فإنه يبقى فعلا دخيلا ومقحما مادام مفروضا من الخارج وليس خيارا ذاتيا؛ ومن هنا تأتي رؤيتنا في كون الفرد، الإنسان، كوحدة تكوينية موحدة قائمة بذاتها وأن عملية شطرها إلى نصفين أو مكونين، جسد وروح، إنما هي تندرج تحت عملية تبرير لقبول وقوع الموت، كفعل مازال غير مفهوم ويعجز الإنسان عن رده. وعليه، واستنادا إلى هذه الصورة، لا يمكن اعتبار الموت كشيء ذاتي لصيق إلا في حالة الانتحار الإرادي وحدها، وفيها وحدها يمكن للذات أن تسمي فعل الموت (موتي الذاتي أو موتي أنا).

ولعل اكتشاف مومياءات الفراعنة (بما يمثله من إصرار على رفض الموت) أنصع دليل على أن الموت لا يمكن أن يكون غير عملية محق للحياة.

ووفق هذا التصور تكون المرآة قد تم حشوها بصور تبريرية وخيالات ترهيبية لتمرير وقبول صيغة الموت الواقعة، وكأنها – المرآة – كيس نفايات وليست وسيلة تفكير، أو واجهة لعكس صور التفكير، ولهذا أصرت على أن تكون صورة الموت البشعة أول ما يطفو على سطحها، من أجل توطين الذات على قبول فعله الشاذ المناقض لرغبة الحياة والوجود، لا لشيء سوى لعجز الذات عن رده أو إيقاف فعله عند حد.

علمنة الأدب

مجموع التصورات الاستسلامية عن هذا الوحش الفاتك، الموت، وبتحولها إلى ثقافة لاهوتية واجتماعية، كرست وضعا ثقافياً مختلاً، فرض نفسه بالتقادم، وفرضته المؤسسات الاجتماعية والمعبدية بالترديد المتواصل، إلى مسلمة ثقافية، أخذت تفرض نفسها على النصوص الأدبية، في عهود ما بعد ظهور الأديان خاصة؛ وإلا فإن بداية التفكير الإنساني، وفي انطلاقته التدوينية الأولى، وصلنا بصيغة نصوص شعرية رافضة تمام الرفض للموت، ولعل ملحمة جلجامش، وهي من أول الأساطير المدونة على ألواح الطين التي وصلتنا أو تم اكتشافها، تظهر لنا بطل تلك الأسطورة وهو خارج للبحث عن عشبة الخلود، تعبيرا عن رفضه للموت، بعد أن فجعه الموت بفقد صديقه أنكيدو.

ولكن الموت وبدوام هيمنته وعجز الإنسان عن رد هذه الهيمنة، فرض نفسه على آليات تفكير أو لاوعي منتجي الأدب، شعراء وقصاصين وكتاب مسرح، وفي ما بعد، روائيين، بتوالي تمردهم على التصورات المعبدية الجاهزة.

وهذا ما أدى إلى تحوله إلى مهيمنة رؤيوية، داخل تفكير منتج النص، وهو ما يجب أن يدخل تفكير ورؤى النقاد من بعده، وهو ما يجب أن يدفع النقاد إلى تأطيره بالمفاهيم وقولبته بقواعد بنائية، داخل النص الأدبي/الثقافي، وهو ما سيكرس، بالتالي، جهد الأساطير والأدب الغرائبي والفنتازي، داخل الدرس النقدي الحديث، لأن النقد، سيجد أخيرا، طريقة لتفهم هذه "الأعاجيب" التي تكرس فكرة شذوذ الموت، في المدونة الأدبية/ الثقافية، وأيضا لتفهم عودة بطل رواية إلى الحياة بعد دفنه تحت التراب، رغم أن مثل هذه "الأعاجيب" كانت واردة ومشاعة في الأساطير القديمة، واليونانية على وجه التخصيص، حتى عهد ظهور الفلسفة اليونانية.

أي أن التداول النقدي لفكرة شذوذ وطارئية الموت، ستحرض منتجي النصوص على المزيد من جهد التفكير والإنتاج الثقافي المحرض على تجاوز ونزع القدسية عن سلطة الموت، وبالتالي البحث عن طرق لرد سطوته وكبحها. علينا أن نؤكد هنا أن الفلسفة كانت ومثلت أول مشاريع النقد الثقافي وانطلقت منه، وبهذا فإنها تكون أول المشاريع النقدية التي كان يجب أن يخرج منها الدرس النقدي الأكاديمي، سواء كان أدبيا أو ثقافيا، إلا أن هذا لم يحدث إلا مؤخرا (قياسا إلى عمر الفلسفة الطويل)، بظهور المناهج النقدية الحديثة (لم تعد حديثة نسبيا) التي قامت أو تبلورت كنتيجة لرؤى فلسفية متكاملة، كالبنيوية والتفكيكية وغيرها، قبل أن تنكص وتتخلى عن مشاريعها الفلسفية الشاملة، لتحصر النقد في زاوية أحادية ضيقة من معمار المنهج الفلسفي الذي انطلقت منه أو تأسست عليه؛ وقبل أن تحول جهدها من البحث الفلسفي/النقدي الجاد إلى (اللهو غير المسؤول) المتمثل في بناء الهياكل الفسيفسائية التجميلية للأطر الخارجية المظهرية لرؤاها النقدية، وعلى حساب جهدها الفلسفي وطرق تعميقه، من أجل منحها الفخامة التي تقنع الغير بأهميتها.

> **هل خدم توجه الدرس الأدبي الأكاديمي النقدي، باتجاه علمنة الأدب، عملية الإنتاج الأدبي وخلقه، باعتباره سابقا للفلسفة**

بل إن الدرس الأكاديمي الأدبي، الذي قاده مبدعو تلك الرؤى أو المناهج، والممثل بالواجهة النقدية، على وجه الخصوص، توجه باتجاه علمنة الأدب ككل (جعله علما)، والمناهج النقدية على وجه الخصوص وخاصة في ما يخص أدوات التعامل مع النص الأدبي بعد إنتاجه.

ولهذا فإن الأدباء، وخاصة في حالة عدم فهم المتصدين للعملية النقدية، يعدون العملية النقدية عامل تعطيل وكبح للعملية الإبداعية، وخاصة عندما يكون النص الأدبي كاسرا للقوالب ومحلقا في فضاءات الخيال، بحثا عن كوة للنظر البعيد والتهويم حول ما يقلق الإنسان، مما خرج عن سيطرة العلم، أو عجز العلم عن تفسيره، وأولها الموت طبعا، الذي ظل سيفا مسلطا على وجود الكينونة الإنسانية، المحكومة بالاحتجاج والرفض لتسلط هذا الوحش الماحق، العاجز عن تقديم مبررات مقنعة لفعله.

ص10 وص11 تنشران كاملتين على الموقع الإلكتروني بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الثقافية اللندنية

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

المهاجر المعاصر الفقير والمحتقر هو أوليسيس الجديد

قصائد ترفع أصوات المهاجرين من أوروبا المخطوفة وأوديسيوس إلى الإيطاليين

إن التعامل مع موجات الهجرة التي تتقدم باتجاه أوروبا في السنوات الأخيرة هو ما يشبه التاريخ القديم الذي يعيد نفسه، والذي ينكره الكثيرون، ووحدهم الشعراء يعودون إلى الأساطير الأولى ليربطوها بواقع اليوم، ويذكرون مهاجري الأمس من الغربيين بمهاجري اليوم من الهاربين، ويرسمون بجرأة حقائق البشر المشينة ويواجهونهم بها.

يوسف وقاص
روائي سوري

حركة الهجرة بعد وجودي للإنسان (لوحة للفنان سامر طرابيشي)

الميثولوجيا اليونانية أرادت أن تكون القصة سابقة لعصرها، قصة "يوروبا" أو "عروبة"، الفتاة الفينيقية، ابنة أجينور ملك صور، التي خطفها الإله زيوس متنكرا في زي ثور أبيض، وهو ما فتح المجال لتعدد النظريات بقدر ما يمكن أن يجنح إليه الخيال، على حد سواء، في الأسطورة أو ما يتفتق عنه العقل من اعتقادات وفرضيات، بيد أن الاسم ما زال يخال لغزا محيرا.

فهناك علماء اتبعوا المنهج اللغوي، وانتهوا إلى القول إن اسم أوروبا هو اسم وصفي، ويرجعون إلى اللغة اليونانية القديمة لتحليل جذورها، وذلك بجمع كلمتي eurys التي تعني "واسع"، وكلمة ops بمعنى "الوجه" أو "العين"، بغية الوصول إلى معنى "النظر الواسع"، كوصف لخط الساحل العريض لأوروبا كما كان يراه البحارة اليونانيون من سفنهم أثناء رحلاتهم المتكررة من ساحل إيجه إلى أعمدة هرقل.

بينما رأى علماء آخرون أن أصل اسم أوروبا موجود في اللغة الأكادية السامية التي كانت شائعة في بلاد ما بين النهرين القديمة، ويشيرون إلى أن الكلمة الأكادية erebu تعني "غروب الشمس"، والسبب، من منظور بلاد ما بين النهرين، أن الشمس تغيب في الغرب، فوق أوروبا، ويستشهدون بالكلمة الأكادية لشروق الشمس asu التي يعتقدون أن اسم آسيا مشتق منها. فمن منظور شعوب بلاد ما بين النهرين، كانت الشمس تشرق من آسيا.

والحال، نحن ما زلنا أمام اسم يؤجج تخيلنا ويدفعنا إلى البحث عن فحواه ودلالته، حتى لو كلفنا ذلك عبور البحر على متن زورق مطاطي، وليس على ظهر ثور فتي كما فعلت سالفتنا البعيدة. ويبدو أن الشعراء، برهافة النفس وبذلك الهوس الذي لطالما دفعهم إلى التعمق في الأشياء وسبر أغوارها، هم الوحيدون الذين تمكنوا، على مختلف مشاربهم، أن يمنحوا هذه الرواية دفقا من الإلهام تتجاوز فيه الشاعرية حدود الالتباس وتنقلنا إلى عوالم أبعد من المجاز، لتخلق منه، من بين الأشياء الأخرى، رمزا معاصرا لمأساة باتت اليوم تشغل العالم برمته، أي الهجرة الكثيفة من دول العالم الثالث إلى القارة العجوز.

قصائد الهجرات

كتب العديد من الشعراء قصائد حاولوا من خلالها ربط هذه الأسطورة بموضوع معاصر، مثل قصيدة "قصة أوروبية: أصل الابتسامة الساخرة" لجاي فوكس الواردة في هذا المقال المترجم، وقصيدة الشاعر السوري، المولع بالأساطير، نوري الجراح، الذي يتوجه مباشرة إلى الإغريق متسائلا في "أنشودة أوروبا"، كيف تخيلوا، بل كيف تجرؤوا على الخيال بأن زيوس، ذلك الذي ابتلع زوجته ميتي خشية أن تنجب له ابنا أعلى منزلة منه، أن يغري أميرة من صور، ويشير عليهم، حتى بعد قرون، أن يلجؤوا إلى لقيانوس السميساطي (سميساط، سورية 125 – 180 ميلادية)، ألم يكن هو القائل لو نتجاهل الأسطورة الإغريقية الدينية لما بقي للإغريق شيء واحد يفتخرون به ولماتوا جوعا.

وجاء في قصيدة "أنشودة أوروبا": "ما الذي جعل الإغريق يتخيلون أن ثورا / أعرج يمكنه أن يغري أميرة من صور، لأبحر برفقته مطلع الشمس إلى أرض/ الظلمات، وبباب قصر أبي يركع البحر، وتنزل السماء لتملأ الحدائق بالأنجم والكواكب. يا للخيال الإغريقي الجامح / حتى الحداد الذي ولد في ميلوس/ ولم يسمع بجزيرة اسمها ميكونوس/ لن يقبل بهذه الفكرة../ إيسوبوس أيها البارع في تلفيق الحكايات/ ارو لنا عن أميرة في الشرق حكاية أخرى! / ولو اضطررت إلى مثال / عليك بأبوليوس وجحشه الذهبي / ولو أردت شيئا مجربا حقا، ويمكن له أن يبقى في ذاكرة الإغريق/ وأسلافهم الفينيقيين / عليك بلقيانوس السميساطي فهو سيد الكلمات".

أسئلة ربما نجد بعض أجوبتها في مقال للكاتب الإيطالي صامويل ريت سولي، المختص في الأدب المتعلق برحلات الأمل المعاصرة والقديمة في البحر الأبيض المتوسط، والتي غالبا ما انتهت، وما زالت، بكوارث مأساوية.

أدب الهجرات من خلال النصوص الشعرية إذا ما أردنا تحليل الشعر المهاجر حول رحلات الأمل، في النصوص الواردة هنا، يمكننا تحديد ظاهرة أدبية تستجيب مباشرة للوقائع في البحر الأبيض المتوسط. فنرى أن هذه الوقائع أصبحت الموضوعات الرئيسية التي يبنى عليها الخطاب الشعري من خلال كتابة قصيدة حضرية تهدف إلى إعطاء مغزى للواقع الراهن. وبالفعل، تمكنت محتويات هذه القصائد من تحديد الخطوط العريضة لسرد الهجرات في البحر الأبيض المتوسط، التي تركز وتتوقف عند المراحل الفردية والجوانب واللحظات التي تكون الرحلة.

من خلال استعادة الموضوعات الموجودة في المادة الشعرية، من الممكن تتبع القيمة السردية والاجتماعية للأحداث التي يذكرها المؤلفون، وبالتالي استكشاف رحلات الأمل من منظور، بالتوازي مع التحليل النقدي لمراحل الهجرة، يصف جوانبها بشكل أعمق وأكثر إنسانية. مقارنة بسرد الوقائع المأساوية، ينجح الشعر في تقديم تفسير قادر على تمثيل الإنسانية في حالة الهجرة التي لا مفر منها، مما يوحي بإدراك متواصل للهجرات المعاصرة من خلال نظرة إلى الماضي.

النموذج الأسطوري للمهاجر

تميل القصيدة الشعرية إلى إفادة مهاجرين يتجاوزون السياق التاريخي والجغرافي، وينفتحون على تأمل وجودي يوسع النظرة إلى الإنسانية التي هي بطبيعتها مهاجرة. في هذا الصدد، نلاحظ كيف أن العديد من القصائد التي تم اختبارها تستحضر قصصا وشخصيات من الأساطير، مما يؤكد كيف أن حركة الهجرة كانت دائما بعدا وجوديا للإنسان نفسه.

"هيكوبا توقف عن البكاء" لسيباستيان أ. باتانيّ فرو، "أنثيغون في أبوليا" لبريندا بورسر، ونجد المهرب الذي يقارَن بـ"كارون"، وكذلك شخصية ثيتيس، الحوريات السماوية، لإينيس، طالوس، ولاوكون، جميعها تكرر وتمثل هذا الاتجاه.

ونشير إلى رمزية قصيدة "قصة أوروبية: أصل الابتسامة الساخرة" لجاي فوكس، حيث يعود نفس تاريخ أوروبا وأساطيرها، فيما يتعلق بالهجرات المعاصرة، لخلق تجانس بين العصور القديمة الأسطورية والحاضر.

وتذكر الأسطورة اليونانية عن اختطاف الفتاة أوروبا على يد زيوس، "الثور الجاث"، برؤية القارة التي تعود أصولها إلى أفريقيا وهي "فرع من آسيا" و"حفيدة ليبيا".

إعادة إصدار الأسطورة التي تصف التاريخ الحالي لمنطقة البحر الأبيض المتوسط بأنه تدفق للشعوب نحو أوروبا "المغلقة" الآن أكثر من أي وقت مضى، "مذعورة من وصول الآخر"، "حارسة الضفاف". وهكذا تستمر تحركات الناس "بعد آلاف السنين" في إثارة الصراعات والمخاوف، ويعود المهاجر إلى كونه "الآخر"، و"المهاجر غير الشرعي القديم".

يقول جاي فوكس في قصيدته "لقد اختطفها الثور الأبيض الفتي الجاث / الفتاة اللطيفة / التي انحنت لتداعب خطم الحيوان الوديع / ابنة ثيتيس وأوقيانوس/ شقيقة آسيا، حفيدة ليبيا. بلا جدوى كانت الصرخات الملتاعة / ولا الإيماءات/ المحمومة طلبا للعون/ بسرعة البرق/ انساب على الأمواج / من وسط البحر. جرها الثور العظيم / إلى جزيرة كريت / وهناك/ على هيئة نسر/ نال من عفتها / شقيقة آسيا، الحورية اللطيفة / يا له من فراق لا يطاق / كان هناك (لاحقا) من زعم نسبها / للغرب القصي. يوروبا حبيسة في جزيرتها / أنثى بالغة / والدة ملوك المستقبل وقضاة العالم السفلي / مذعورة من وصول / "الآخر"، ربما أناس من سردينيا / من الغزوات المخيفة / توسلت إلى هيفايستوس ليصوغ لها / عبدا أمينا من البرونز / لحراسة الضفاف / ومن المعدن ولدَ طالوس/ السلف من سلالة الآلات/ الجد الأكبر للمتمرد غولم/ عملاق من الصلصال./ طالوس، المتوهج/ كان يهاجم من تسوله نفسه/ الدنو من الشاطئ/ يمد ذراعه / ولما يشدهم إلى صدره يحرقهم / ويلوي فمه من الألم. هؤلاء المهاجرون غير الشرعيين القدامى / ترتسم على الشفاه ضحكة ساخرة / مرت آلاف السنين/ أعيد تكوينهم مرات لا تحصى / أراضي آسيا وأوروبا وليبيا".

بين الأساطير والحاضر، أصبحت الهجرات رحلات رجال شجعان ويائسين، في إشارة إلى النموذج الأصلي التأسيسي للثقافة الغربية الكلاسيكية، والتي، بالنسبة إليها، تمثل الرحلة التجربة التعليمية بامتياز. رمزية هي شخصية أوليسيس، الشخصية الأسطورية للمسافر والأجنبي، التي تذكرها تشامبرز كمرجع مؤسس للثقافة الغربية وبالتالي كنموذج للتاريخ القادم: إذا كان أوليسيس هو الشخصية الأسطورية للمسافر والأجنبي الذي تبدأ معه تلك القصة (الأوروبية)، فلا تزال هذه القصة مستمرة مع شخصية المسافر والأجنبي.

من خلال التناقض الخطابي بين المهاجر المعاصر، الفقير والمحتقر، والطابع الأسطوري لأوليسيس، البطل الكوني، ينتجه الشعر كتغير في المنظور وفي تصور الهجرة. إن المهاجر غير الشرعي، وهو استعارة للبطل المعاصر، ينطلق ويجسد رحلة الذاكرة والرغبة نحو وطن باسم وعالم بلا حدود.

تم التعبير عن هذا المفهوم بشكل جيد في قصيدة "مخيم اللاجئن" التي كتبها ف. فيراريسو والتي يتم فيها تمثيل المهاجر غير الشرعي على أنه أوليسيس المعاصر.

يقول فيراريسو "أوليسيس مجهول الاسم الذي ليس لديه / إيثاكا أو زوجة / يطلب حق اللجوء / ويريد أن يذهب إلى البحر، وإذا نظرت إليه / ستجده / مضاعفا في كل الوجوه / مليونان أو ستة ملايين مهاجر غير شرعي".

كما يستخدم الشعراء شخصية أوليسيس لتذكر حالة عالمية لا تتعلق فقط بالمهاجرين، بل ينظر إليها الشاعر نفسه على أنها حالة وجودية من الغرابة، كلجوء من قبح العالم المحيط ووحشيته.

كما يتذكر دوناتو دي بوتشِهْ، في مقدمة أنطولوجيا "مهاجِرون غير شرعيين"، فإن المهاجر غير الشرعي هو أيضا الشاعر "الذي يكافح ضد تناقضاته واختلافاته، ومصيره وشبكة علاقاته الخاصة مع الآخرين ومع العالم"، العالم الذي يشعر منه بأنه مجبر على النأي بنفسه، ولذا فهو يعتر نفسه منفيا منه.

> مهاجرو اليوم هم تذكير تاريخي بحقيقة أن المتوسط، وهو أصل أوروبا والغرب، هو دائما جزء من مكان آخر

رحلات الأمل

يتطابق استحضار الشعر الغنائي للماضي التاريخي القريب بالتوازي مع الماضي الملحمي البعيد. تروى قصص الرحلات البحرية، والتي تظهر كيف كانت الهجرات دائما، عبر التاريخ، تتسم بالمعاناة والظلم.

في هذا الصدد، تذكر كلمات تشامبرز كيف يظهر ذلك التأمل في تاريخ الهجرة. إن مهاجري اليوم، رغم أنهم غالبا ما يبعثون على الخشية، ومحتقرون، وعرضة للعنصرية، هم تذكير تاريخي بحقيقة أن البحر الأبيض المتوسط ، الذي يعتبر أصل أوروبا والغرب، هو دائما جزء من مكان آخر، تماما مثل قصصها وثقافاتها وشعوبها، بما في ذلك 27 مليون إيطالي الذين هجروا باستمرار شواطئهم إلى أماكن أخرى. هنا مرة أخرى، يظهر اهتمام خاص بمنطقة البحر الأبيض المتوسط كمساحة تمثيلية، تتجاوز إحداثيات الزمان والمكان المعاصرَيْن.

> الشعراء برهافة النفس وهوس سبر الأغوار تمكنوا بجرأة من أن يمنحوا روايات الأساطير والهجرات دفقا من الإلهام

باختصار، "النزوح، الهجرة، التواجد في المنفى والتشتت، ليست قضية حديثة، لأنها تؤثر على كامل النطاق الزمني للحداثة، من لحظة اكتشاف العالم الجديد إلى وصول المراكب على السواحل الشمالية للبحر المتوسط في أيامنا هذه".

يتجسد الفكر الشعري في تذكر الهجرة الإيطالية، على وجه الخصوص، باعتبارها لحظة مقارنة أساسية لفهم نقدي لرحلات الأمل. تهدف الإشارة المستمرة إلى الهجرة الإيطالية إلى التأكيد على فقدان الذاكرة التاريخية للشعب الإيطالي، الذي ترك أرضه لقرن كامل بحثا عن آفاق أفضل للحياة.

قبل أن تصبح إيطاليا بوابة لأوروبا، كان "المهاجرون غير الشرعيين" الذين هربوا هم بالضبط الإيطاليون، الذين كانت رحلاتهم أيضا رحلات أمل، والذين، كما يتذكر جان أنطونيو ستيلا، كانوا "يخزنون في الدرجة الثالثة"، في ظروف مروعة من "البؤس والتدهور الصحي والصحي والمعنوي". "هجرة جماعية" حقيقية شهدت من عام 1876 إلى عام 1915 خروج مهاجرين إيطاليين إلى البحر على متن قوارب عرفت آنذاك بأنها سفن الموت، والتي على الرغم من أنها تتسع لـ700 شخص، كانت تبحر وعلى متنها أكثر من 1000 شخص.

كانت حالة سفينة ماتيو بووتسو رمزية، في عام 1884، "تم رفضها من قبل سلطات ميناء أوروغواي حيث تفشى وباء أثناء الرحلة أدى إلى موت وإصابة 1333 شخصا يائسا بالعدوى".

كان هذا النزوح، الذي يشبه الهجرة الحالية، قد ترافق مع قصائد شعرية، مثل قصيدة "المهاجرون" التي كتبها إدموندو دي أميتشيس في عام 1882، حيث يبدو وصف ظروف الرحلة آنيا بشكل هائل.

كتب دي أميتشيس "مكدسون هناك مثل الخيول / في جليد مقدمة السفينة الواجفة من الرياح / يهاجرون إلى أراضٍ مجهولة وبعيدة / رَثون وسقماء / يعبرون البحار للبحث عن لقمة العيش. مخدوعون من متاجِر أفاك / يمضون، محط هزء للأجنبي، دواب للحمل، أقنان محتقرون، لحما للمقبرة / يروحون ليرتزقوا الكربة في ضفاف/ مجهولة".

رحلات الأمل، تلك التي قام بها المهاجرون الإيطاليون بأعداد كبيرة دون أن يملكوا أدنى يقين من وصولهم إلى وجهتهم، وتعرضوا هناك لحالات عديدة لغرق السفن، مثل حادثة يوتوبيا في عام 1891 بالقرب من ميناء جبل طارق حيث مات 576 مهاجرا إيطاليا، وكذلك في حادثة غرق سفينة بورغوني في عام 1898 بالقرب من مقاطعة نيو سكوتلاند الكندية، و550 قضوا حتفهم في غرق سفينة سريوس في عام 1906 على صخور قرطاجنة في جنوب شرق إسبانيا، وأيضا الأميرة مافالدا، السفينة الرائدة في الأسطول التجاري الإيطالي التي غرقت في 26 أكتوبر 1927 ، "غرقت بحمولتها من الفقراء على بعد 90 ميلا من ريو دي جانرو، مما تسبب في مقتل 657 شخصا".

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

«شعر أشقر» قصص مصرية بنهايات مدهشة

عوالم قصصية تسحب القراء للمشاركة في بنائها وتشكيل دلالاتها

فن القصة القصيرة يغري بالكتابة والقراءة على حد السواء، ولكنه بعيدا عن المفاضلات بينه وبين غيره من أصناف السرد كالرواية مثلا، فن صعب يتطلب دقة كبيرة من الكاتب الذي تتاح أمامه مساحة صغيرة للغاية للعب وتحريك شخصياته والتركيز على الحدث في أحاديته، وغيرها من أساليب، لعل أهمها صنع الخاتمة.

أحمد فضل شبلول
كاتب مصري

تقول الناقدة الجزائرية نزهة خلفاوي "إن النص الحقيقي في اعتقادي هو القادر على إدهاش قارئه وسحبه إلى أعمق نقطة فيه، ثم إشراكه في إعادة خلقه، وبغض النظر عن أي وصف أو توصيف لهذا النص".

ومن خلال هذا المفهوم نستطيع أن نتعامل مع نصوص مجموعة "شعر أشقر" للكاتبة عايدة ناشد باسيلي التي تنتمي جميعها إلى النصوص الاجتماعية والعاطفية، أهدتها الكاتبة إلى زوجها الحبيب وإلى قلبه الذي يعيش معها وروحِه التي تقيم في السماء.

الزواج والطلاق

أستطيع أن أقول إن نصوص هذه المجموعة استطاعت أن تسحبني إلى أعمق نقطة فيها، وهي النهاية، فنهايات نصوص "شعر أشقر" هي أهم ما فيها، وهي التي تصنع الدهشة، دهشة الصلصال الذي صنعت منه الكاتبة تلك النصوص ونفخت فيه من الحروف، فتحول إلى كائن أدبي حي وفاعل، باح بمكنون النص في نهاية تشكيله، لذا تجيء نهايات نصوص المجموعة، نهايات فاعلة ومؤثرة، تقول الكلمة الأخيرة التي لا كلام بعدها.

> عوالم القصص تضعنا أمام ما يعرف بالنقد البيئي وهو نابع من تأثير البيئة المحيطة بالشخصية على تكوينها وسلوكها

على سبيل المثال في القصة الأولى "نار الغَيرة" نجد كاتبة صحافية تركت صفحة المال والبورصة، وأكرهت نفسها على تتبع أخبار الفنانين، لتدخل عالم حبيبها الفنان من بوابة الصحافة، ويبدو أنها نجحت في مسعاها، فدخلا معا عش الزوجية. ولكنها لم تستطع أن تتجاهل رسائل المعجبات التي تتوالى على موقع حبيبها الفنان على وسائل التواصل الاجتماعي، فتشعر بالغيرة ويدب الخلاف، وتقرر الاعتذار وتحمل الأزهار إلى موقع التصوير، لكنها تسمع تنهيدة عاملة البوفيه وهي تتأمل مشهدا رومانسيا مع نجمة الإغراء، فتشتعل غَيرة الزوجة مجددا، وتغادر مسرعة وفي يدها باقة الأزهار. وفي كل مرة تواجه نيران غيرتها ولا تستطيع السيطرة على نفسها، وتشتعل لياليها بالاتهامات، وتمطره سبابا لأنه لا يراعي شعورها ولا يأبه لكرامتها كزوجة. ولكنّ زوجَها يقسم لها بأن ما يشاع عنه أكاذيب وفبركات إعلامية، وحتى تبعد عن عالم الفن وأكاذيبه تقرر العودة إلى صفحة المال والاقتصاد، ولكنها تطلّق وتأخذ على نفسها عهدًا بألا تتزوج يومًا من رجل مشهور، أو وسيم، مهما حصل.

وتتزوج من تاجر مكافح كتبت عن طموحه الاقتصادي بالجريدة، وتعيش عالم رجال الأعمال وتتابع أخبار المال، وتتقلب البورصة ومعها يتقلب زوجها بشكل مفجع، وكان هو الذي يغار عليها ويغضب منها إذا رأى رجلا يحييها، فيدخل الشك إلى قلبه، ولكنه يرفض فكرة الطلاق لأنه يحبها ويرجو أن تسامحه، لكنه يعيش الغيرة القاتلة، فلم تجد بُدًا من الإصرار على طلب الطلاق. لكنه يرفض لتجيء الخاتمة المدهشة بأنها تنازلت عن كل حقوقها ونالت حريتها بالخُلع، وتكتب حاليا في صفحة الرياضة.

هذه النهاية المدهشة تجعلنا نفكر تفكيرا آخر، بناء على المعطيات السابقة، مثل هل ستلتقي بطلة القصة شابا رياضيا تحبه ثم تغار عليه من مشجعي كرة القدم، وتعاود الكرَّة مع كل صفحة تعمل بها من خلال الجريدة، فإذا انتقلت للعمل في صفحة الحوادث، هل ستلتقي ضابطا أو مجرمًا تحبه أو يحبها؟ وإذا انتقلت للعمل في صفحة الأدب والثقافة هل ستلتقي أديبا أو مثقفا تمارس معه الحب وتتعلق به أو يتعلق بها ويتزوجان، ثم تدب الغيرة بينهما، وهكذا. ولعلها تقول ما قاله كامل رؤبة لاظ بطل رواية "السراب" لنجيب محفوظ "ليتني لم أُخلقْ فريسةً سهلة لأنياب الغيرة".

إن عالم القصة يضعنا أمام ما يعرف بالنقد البيئي، وهو نابع من تأثير البيئة المحيطة بالشخصية على انتقاءاتها وتصرفاتها وسلوكها، وعلى الرغم من أن الغيرة هي أفكار وأحاسيس وتصرفات تحدث عندما يظن الشخص أن علاقته القوية بشخص ما تُهدد من قبل طرف آخر منافس، وفي عيون الأخبار لابن قتيبة: قال أبوالأسود لابنته "إياكِ والغيْرة فإنها مفتاح الطلاق"، فإننا – في القصة – أمام غيرة خلقتها ظروف العمل، وفي الوقت نفسه نتساءل: لو وضعت تلك الشخصية في ظروف بيئية أخرى، هل تشعر بنفس مشاعر الغيرة التي شعرت بها أثناء عملها الصحفي في صفحة الفنون ثم في صفحة الاقتصاد؟

أعتقد أنها كانت ستسلك السلوك نفسه، ذلك أن الغيرة مرتبطة بعوامل نفسية، وبفهم الشخصية للحياة وتصورها لعلاقاتها مع الآخرين. وعن الغيرة هناك بيتان من الشعر منسوبان إلى ولادة بنت المستكفي (حبيبة ابن زيدون) تقول فيهما: أغارُ عليك مِن نفسي ومني / ومنكَ ومِن مكانك والزمانِ / ولو أني خَبَأتُك في عيوني / إلى يوم القيامةِ ما كفاني. هذا نوع من الغيرة المرضية، التي تصادر على الشخص الآخر تصرفاته وسلوكه الفردي، فيشعر بأنه في سجن الحب، أو واقع في قبضة شخص آخر لا يريد له فكاكا، وهو ما رأيناه أيضا في قصة "نار الغيرة" لعايدة ناشد باسيلي.

وما زلنا مع عالم الزواج والطلاق الذي اتصفت به القصص الأولى لتلك النصوص القصصية في "شعر أشقر"، وفي قصة "السر" يفاجئنا أول سطر بسؤال صاحبة القصة "هل أخطأتُ حين تزوجته؟ أم أخطأتُ حين طلبت الطلاق؟" ثم تجيء تقنية الارتداد إلى الوراء، أو الفلاش باك، فتتحدث الشخصية الأنثوية عن ظروف زواجها بأستاذها في الجامعة الذي يكبرها بخمسة عشر عاما، فانبهرت به، بشخصيته، وبقوة حضوره ووسامته، ويتم الزواج، وتأتي مسألة إنجاب طفل تؤرق الزوجة وأمها، رغم التحاليل السليمة، لنفاجأ بأن الزوج أستاذ الجامعة يرفض الإنجاب خوفًا من مرض متوارث في عائلته دون الوصول إلى العلاج الناجع، فتثور الزوجة لأن الزوج لم يخبرها بهذا الأمر قبل الارتباط والزواج منها، ثم ينهار صاحب الشخصية القوية والحضور والوسامة والكبرياء، فتلى الأحلام السابق، وتتساءل الزوجة: هل لو كان صارحني من قبل كنت سأرفض الزواج منه؟" هي حقا تحبه ولكنها تفاجئنا بطلب الطلاق من خلال عبارة شديدة الوقع والتأثير تختم بها القصة في قولها: طلقني .. أنا أيضا لا أريد ابنا من عائلة مجانين.

وعلى ذلك تتهم زوجها وعائلته بالجنون حين أرجع عدم رغبته في الزواج إلى هذا "السر" الذي كان يخبئه عن زوجته وأهلها، وهو هذا المرض الوراثي الذي جعل أخاه حبيس غرفته طوال عشرين سنة، رافضا الخروج منها ولو إلى دورة المياه.

هل اعتبرت الزوجة هذا جنونا، هل افتقدت مشاعر الإنسانية حين علمت سبب رفض الزوج الإنجاب منها، هل هي تثأر لكرامتها، بسبب عدم اعتراف الزوج بسيرة مرض عائلته، على الرغم من أنه هو شخصيا نجا من هذا المصير، ومن هذا المرض. هل كان الزوج أستاذ الجامعة مطالبًا بعدم الاستسلام لهذه الهواجس والكوابيس التي تفترض في طلفه القادم وقوعه في المرض الوراثي، وأخيرا هل كانت الزوجة محقة في طلبها الطلاق؟

مثل هذه الأسئلة التي تخلفها تلك القصة القصيرة تجعل القارئ أو المتلقي مشاركا في إنتاج الدلالات، ومشاركا في تشكيل الصلصال، والوصول إلى أعمق نقطة في النص، كما أشارت نزهة خلفاوي.

النهاية المنقذة

تأتي قصة "فتاة أحلامي" على لسان أحد الشباب، وتدور في عالم الزواج أيضا، ويأتي فيلم "الوسادة الخالية" ليكون معادلا موضوعيا لمشاعر الشاب الذي يقع في غرام فتاته من أول نظرة، فهو الحب الأول له، وهي القضية التي حاول إحسان عبدالقدوس مناقشتها في روايته "الوسادة الخالية".

ويستخدم الشاب في قصة "فتاة أحلامي" الحيل الظريفة لمعرفة شقة الفتاة في العمارة التي سبق أن دخلتها، ومعرفة اسمها واسم والدها من بواب العمارة، وتحدث بعض المفارقات الكوميدية التي نشاهد مثلها في أفلامنا، لنفاجأ بتورط الشاب في خطبة فتاة لا يعرفها، ولم يرها من قبل، وتأتي النهاية الحاسمة والمدهشة، إذ أن الفتاة التي رآها ووقع في غرامها من أول وهلة هي صديقة فتاته التي خطبها.

القصة تقليدية، ومعالجتها جاءت كذلك تقليدية، وكأننا نشاهد مواقف كوميدية في فيلم مصري كما ذكرت، ولكن النهاية المدهشة هي التي أنقذت تلك القصة من الضعف، حيث تظهر في نهايتها الفتاة الحقيقية التي رآها الشاب أمام المحمصة، فكانت فتاة أحلامه، وصديقة خطيبته في زيارة لها بعد أن اشترت بعض التسالي من المحمصة وهي في طريقها إلى منزل صديقتها، فظن الشاب أنها من قاطني تلك العمارة.

ومن مظاهر ضعف تلك القصة عدم واقعيتها، فأعتقد أن طريق الزواج أو الخطوبة لا يمر الآن بمثل هذه الأساليب الساذجة، وإنما هناك خطوات أكثر جدية من مجرد أن رأى شاب فتاة في طريقه لا يعرف عنها أي شيء، فيصحب والدته لإعلان الخطوبة مباشرة.

ولكن على أي حال تضعنا النهاية المفتوحة أمام عدة تأويلات نشارك كمتلقين في صنعها وفي تشكيل صلصالها، ومنها: هل سيفسخ الشاب خطوبته من سلوى، عندما عثر على فتاة أحلامه الحقيقية، وهي صديقتها ناهد؟ وما موقف سلوى وعائلتها منه بعد أن يكشف لهم الحقيقة، وهل ستوافق ناهد على الارتباط به بعد هذا الموقف الذي أقول إنه كوميدي وساذج في الوقت نفسه؟ وهل ستوافق والدته على هذا العبث بعد أن كانت تردد – بعد أن رأت سلوى – باسم الله ما شاء الله، فينظر إليها ابنها في غيظ، دون أن تدري لماذا؟ وهو يعلم في قرارة نفسه أن هذه العروس ليست هي فتاة أحلامه التي رآها من قبل؟

إن النص يسحبنا إلى أعمق نقطة فيه، عندما ارتعشت يد الشاب وهو يسلم على ناهد فتاة أحلامه الحقيقية، والتي تقدمها له سلوى خطيبته التي لا ذنب لها في كل ما حدث.

وفي قصة "الوعد" نرى أيضا موقفا دراميا، بطلته فتاة انتظرت حبيبها الذي سافر للعمل بالخارج حوالي عشر سنوات، ولما تلكأ في العودة وتخطت عمر الخامسة والثلاثين بشهور، كان لا بد أن تقبل بغيره، وفي يوم خطبتها وإطلاق الزغاريد في بيتها، يرسل لها حبيبها المهاجر باقة ورد كُتب عليها "باقة الورد محظوظة لأنها ستراك قبلي .. انتظريني ووالدي الليلة في السابعة مساء".

وتنتهي القصة عند هذه العبارة لتتركنا الكاتبة نشارك في تصورات وسيناريوهات بعد تلك العبارة المفاجئة، هل سترفض من تقدم إليها وأتى، وتنتظر حبيبها الذي ربما يخلف وعده ولا يأتي في السابعة مساء، هل سيفي بوعده هذه المرة، بعد أن وعدها مرات كثيرة خلال عشر سنوات خلت. ومن المفارقات الفنية في تلك القصة أن والدة العروس شهد هي التي تستلم باقة الورد والورقة، وليست ابنتها شهد. لنعاود التساؤل: هل ستخفي أم العروس على ابنتها أمر هذه الورقة، فعصفور في اليد وحاضر في بيت العروس، خير من عريس لم يأت بعد؟

إن العبارة الأخيرة أو خاتمة القصة هي التي تجعلنا نعاود تشكيل صلصال القصة، ونحاول المشاركة ووضع حلول مناسبة، كل حسب خبرته وثقافته.

وفي قصة "شعر أشقر" التي اختارت الكاتبة عنوانها لتطلقه على مجموعتها ككل، لم تبال بطلة القصة بمشورة مصفف الشعر من أن اللون الأشقر الذهبي لا يناسب بشرتها الخمرية، ولكنها أصرت على اختيارها فهناك خلفيات لا يعرفها مصفف الشعر، ومنها أن زوجها يطيل النظر خلسة من نافذة المطبخ إلى نافذة جارتهم الشابة ذات الشعر الأشقر، ويعجب الزوج بلون الشعر الأشقر الذي اختارته زوجته، وكان في البداية يظن أنها ترتدي باروكة، وعندما أخبرته بأنه شعرها قال لها: جميل جدا، أعجبني اللون. وظنت أنه سيكف عن النظر إلى جارتهم عبر النافذة.

ولكن أم الزوجة لم تعجب بلون شعر ابنتها الجديد، وفي زيارتها قالت لها: ما هذه المهزلة التي صنعتِها بشعرك؟ واكتشفتا أن الزوج لا يزال يختلس النظر عبر النافذة في اتجاه الجيران، وقد حولت جارتهم شعرها إلى اللون الأسود الفاحم.

وتتركنا الكاتبة نقع في الحيرة، كيف ستُرضي الزوجة زوجها، وهي تراه يتلصص على الجارة الأجنبية التي تتلاعب بلون شعرها، وعليه تلجأ الزوجة إلى تعديل اللون كي زوجها يكون راضيا، ولكن ما من سبيل لإرضائه.

كما تتركنا الكاتبة لنتوقع ماذا سيحدث بين الزوجة وأمها بعد اكتشفتا أن الزوج يخونها بنظراته وتجسسه على الجارة.

ومن هنا تأتي النهايات في تلك المجموعة القصصية، نهايات مفتوحة على فضاءات أكثر رحابة، وهذا ما يكسبها حيوية وحضورا وفعالية في عالم القصص القصيرة.

قصص من بيئة مصرية مثيرة (لوحة للفنان طه القرني)

رف الكتب

الكتابة عن الوطن

كتب الأديب الفلسطيني إبراهيم نعوم عبيد سيرته الذاتية "جذوري عميقة في فلسطين" بالإنجليزية قبل أن يقوم بنفسه بترجمتها إلى العربية لتصدر عن دار خطوط وظلال بعمان.

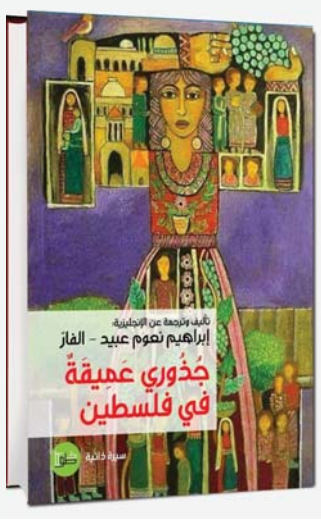

ومن خلال الكتاب نجد أن فلسطين، التي يتجسد فيها وطن الكاتب، تحمل أوجاعه وأفراحه وجروحه ودواءه وذاكرته التي نجد أنها لم تتعب، ولم يصبها غبار البعد، رغم الهجرة منذ أمد بعيد، فالكاتب، كما يظهر من وصفه للأحداث بكل تفاصيلها وبأدق الأوصاف ورسمه لخارطة تامة الأبعاد، كأنه لم يفارق بلاده مطلقا، وهو في الحقيقة لم يفارقها أبدا، إذ بقيت روحه ووجدانه وعشقه راسخة كالجذور في فلسطين.

وإبراهيم عبيد، في كتابه، يحمل الذاكرة على عاتقيه، ويحاول ناجحا أن يتدرج بكل الحقائق.

رحلة إلى آسيا

يتحدث كتاب "لولا قرار ، رحلة في مهب الريح" للأكاديمي والكاتب العماني معتصم بن أنور السالمي عن تجربته في رحلته إلى عدد من الدول الآسيوية مع أصدقائه، حيث اكتنفت الرحلة العديد من التحديات استطاع معتصم تحديدها ضمن فصول هذا الكتاب.

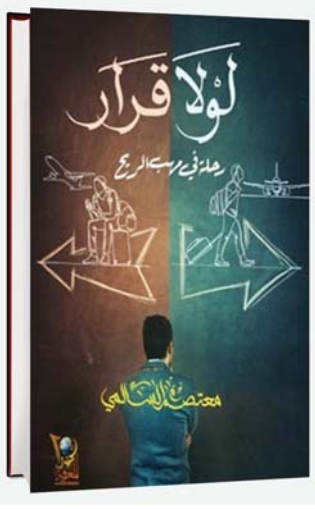

وتميز الكتاب، الصادر عن مكتبة كنوز المعرفة، بالوصف والتحليل العلمي لمجريات الرحلة ووضع الحلول الناجعة لضمان نجاح مخطط الرحلة، وجاء الأسلوب العلمي متمازجًا مع الجانب السردي لتفاصيل الرحلة، ما جعل من الكتاب مادة مرجعية لمحبي السفر للاستفادة من تجربة معتصم وأصدقائه في رحلتهم. وقد طرأت فكرة الكتاب بعد سنوات من القيام بهذه الرحلة، وبالتحديد بعد نجاح تجربة السالمي الأولى في عالم التأليف في كتاب "اربطوا الأحزمة" بالمشاركة مع الرحّالة والكاتب العُماني بدر الوهيبي.

اكتشاف سر الجريمة

تدور أحداث رواية "جُرَّ محراثك فوق عظام الموتى" للكاتبة البولندية أولغا توكارتشوك في قرية بولندية نائية، حيث تقرر البطلة "جانينا" قضاء الشتاء في دراسة علم الفلك وترجمة شعر ويليام بليك، بينما تعتني بالبيوت الصيفية لأثرياء العاصمة وارسو، قبل أن تطرأ أحداث تقلب حياتها.

الطبيعة الغريبة الانزوائية لجانينا جعلت من تفضيلها لرفقة الحيوانات على البشر أمرا مفهوما، إلى أن يأتيها خبر مقتل جارها الملقب بـ"القدم الكبيرة"، وسرعان ما تكتشف جثث أخرى في ظروف غامضة متسارعة. مع تراكم الشكوك تنخرط جانينا في التحقيقات وتعثر على الفاعل، لكن أحدا لا يهتمّ بما تجده.

هي قصة خيالية عميقة ومحفزة على التفكير، بهدف استكشاف الحدود الفاصلة بين صحة العقل والجنون، بين العدالة والعرف والتقليد، بين التحكّم في المصير والقدر.

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

لماذا تتجاهل نوبل وغيرها من الجوائز العالمية الأدب العربي

ما سبب غياب الأدب العربي.. التقزيم والتجاهل أم ضعف الترجمة والحضور

مع اقتراب موعد الإعلان عن الفائز بجائزة نوبل للآداب من قبل أكاديمية ستوكهولم، وككل سنة، تبدأ النخب العربية من قراء وكتاب ومبدعين في الترقب لعلها تكون عربية مرة ثانية بعد نجيب محفوظ، وتخيب الظنون ويتراجع منسوب الأمل في إمكانية أن ينال كاتب عربي هذه الجائزة العالمية الأبرز رغم جودة الأدب العربي المعاصر، ما يطرح السؤال المؤرق: لماذا لا ينال العرب نوبل؟ وهو ما تبحث فيه "العرب" في هذا التحقيق.

ما من كاتب عربي يستحق نوبل بعد محفوظ

محمد الحمامصي
كاتب مصري

على الرغم من تمتع الأدب العربي شعرا ورواية بأعمال تضاهي الأعمال العالمية في معالجاتها للقضايا والإشكاليات الإنسانية، ومتجاوزة على مستوى تكنيكاتها وأساليبها وجمالياتها اللغوية، إلا أن الأدب العربي يعاني من التقزيم في التمثيل الثقافي الإنساني.

ويطرح هذا التجاهل الكثير من التساؤلات حول الجوائز العالمية ومصداقيتها ودور الأدباء والمفكرين والمؤسسات والهيئات العربية المعنية بالأمر: فهل هناك قصدية في الانحياز والتعمية؟ وما هي أسباب قلة تمثيل المنتج العربي الأدبي شعرا ورواية وقصة في المحتوى الإنساني بمعنى قلة وجوده كمترجمات مثلا في مقابل العكس؟ هل يمثل المحتوى المختار من نوبل مثلا الثقافات التي يعبر عنها؟ وما مدى الانحراف المعياري في الكتاب خارج السياق ليشمل الشاذ فقط لإرضاء ذائقة المحكم الذي أصبح يدعم الغريب والشاذ؟ وإلى أي مدى سينجح الأديب العربي في التعبير عن قضايا مجتمعه دون الانحراف لمتطلبات الجوائز أيضا؟

قلة الترجمة والانتشار

بداية عند توجيه تساؤلات التحقيق للروائي إبراهيم عبدالمجيد، أحد أبرز الروائيين المصريين، يقول إنه عالجها في مقال له نشر مؤخرا، وأتاح إمكانية الأخذ منه بما يتوافق مع التحقيق، يقول عبدالمجيد "السؤال الذي يفرض نفسه على الحياة الثقافية العربية كل عام هو لماذا تغيب هذه الجائزة عن العالم العربي. لقد أتت مرة واحدة عام 1988 لنجيب محفوظ. مضت أربع وثلاثون سنة ولم تعد. أعرف أن الجائزة في الأصل موجهة للأدب الأوروبي، ومن ثم الأميركي فهو مكتوب بلغات أوروبية، لكنها مع الزمن شملت كتّابا من آسيا وأفريقيا. صحيح أن أعدادهم قليلة جدا قياسا على أعداد كتّاب أوروبا والولايات المتحدة، لكن هذا يحدث".

ويتابع الروائي "حين فاز محفوظ بالجائزة ملأت الفضاء التفسيرات أن ذلك تم لموافقته على التطبيع بين مصر وإسرائيل. لم أكن من المقتنعين بذلك. فمحفوظ كان يستحقها كمًا بغزارة إنتاجه، وكيفا بتجديده في شكل وبناء الرواية، وموضوعا بحفاوته بالأفكار الكبرى للوجود والحياة".

ويرى أن غياب الجائزة عن العرب هذا الزمن الطويل يعيد الحديث عن أن السياسة كانت وراء فوز محفوظ، ولن يسكته قولنا إن "آني إرنو مناصرة للقضية الفلسطينية مثلا. طيب. إذا كان الأمر كذلك فنحن نقرأ كل عام حيثيات الفوز بالجائزة، ونجد على رأسها التجديد في شكل الكتابة، واقتحام موضوعات شائكة مثل النفي والسجن والحروب الظالمة وقهر المرأة. هنا يطل السؤال هل يخلو الأدب العربي من ذلك؟ الأدب العربي منذ الستينات يكسر التابوهات بشكل أوسع من ذي قبل، وما حدث بعد ذلك من تسلط لنظم قمعية دمر بلادا كثيرة، ومن فشل الربيع العربي وانفتاح السجون للثوار أو الأبرياء، وهجوم الجماعات الإسلامية على الآداب والفنون، لم يوقف الكتّاب. ورغم أنهم صاروا أكثر حصارا يتمنون أن يمر العَمل الأدبي أو الفكري بسلام، بلا محاكمة أو سجن أو نفي من البلاد لكنه يحدث".

ويضيف "كل ما يقال عن حيثيات الفوز لكاتب ما بنوبل موجود بقوة في مصر وعالمنا العربي، فما هي الحكاية؟ يقولون إن ترجمة الأدب العربي ليست بالكثافة في اللغات الأخرى التي تجعله حاضرا في العالم وهذا صحيح. ربما باستثناء علاء الأسواني الذي يعيش بالخارج، أو سلوى النعيمي لكتاب واحد هو 'برهان العسل' وهي أيضا تعيش في الخارج. أو كثير مما ترجم نشرته دور نشر بأعداد قليلة وبلغات بين الخمس والعشر. ومعظم الندوات التي تقام للأعمال المترجمة في أوروبا تترك العمل كفن وأدب، وتدخل في أحوال البلاد والإرهاب، وهذا صحيح رأيته وعشته في ندوات هناك. لكن أليس هذا ما يزكّي الآداب في العالم؟ لماذا لا يزكي الأدب العربي والمصري؟ وأعتذر عن قول المصري بعد العربي وأعرف أنهما غير منفصلين".

ويتابع قوله "المهم أن كل محفزات منح الجائزة لأديب من العالم موجودة لدينا. حتى الكتابة بلغة أوروبية مثل من فازوا من أفريقيا موجودة عند البعض من بلاد المغرب العربي، ومن مصر. أيضا لغتنا العربية هناك العشرات من المستشرقين يدرسونها ويكتبون عنها، وأعتقد أن من بينهم من له علاقة بالترشح للجائزة. ويأخذني الترشيح إلى جهات الترشيح العربية التي تبدو مثل جهات سرية، فلم نعرف في أيّ عام من تم ترشيحه من أيّ جهة عربية أو مصرية، رغم أن لدينا وزارات ثقافة وجمعيات مختلفة وهيئات ثقافية متعددة".

وترى أستاذ الأدب المقارن الأكاديمية هبة شريف أن لجان تحكيم الجوائز تهتم في المقام الأول بالجماليات والعناصر الفنية في العمل الأدبي وتحدد على أساسه الجائزة، ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن للجوائز أيضا جانبا آخر سياسيا، بمعنى أنه قد يحدث أحيانا أن يحصل أديب على جائزة ما بسبب موقفه السياسي المتوافق مع اللجنة أو مع التوجه العالمي أو التوجه العام لسياسة البلد التي تعطي الجائزة. لكني لا أعتقد أن المشكلة تكمن هنا، فالأدب الجيد يجد طريقه في النهاية إلى القارئ إذا تمكن القارئ من الحصول عليه.

وتلفت إلى أن الأدب العربي لديه مشكلة كبيرة، فهو أدب لم يلق حظا كبيرا في الترجمة بحيث يتوفر بكثرة ليطلع عليه القارئ- وبالتالي لجان التحكيم - من جنسيات أخرى. الأسباب كثيرة ولكن معظمها يعود إلى هيكل السلطة في الدول العربية نفسها، فمن ناحية لا يعتبر الأديب العربي حرا تماما في إبداعه، القيود المفروضة على حدود التعبير تقيده، ويبدو هذا واضحا في أعماله التي يحاول فيها ألا يتخطى سقف هذا الحد، مما يؤثر بالضرورة على جودة إبداعه.

ومن ناحية أخرى ترى شريف أن عددا غير قليل من الأدباء العرب يفتقرون إلى قدرتهم على القيام بالأبحاث الوافية قبل البدء في كتابة العمل الأدبي، فنجد في النهاية أعمالا انطباعية ذاتية ينقصها الكثير من التوثيق التاريخي أو العلمي أو الجغرافي أو حتى التوثق من اللغة المستخدمة لدى شرائح المجتمع المختلفة، هذا إلى جانب غياب وظيفة هامة جدا في دور النشر العربية وهي وظيفة المحرر المتمكن والذي تتخيل دور النشر العربية أن دوره يقتصر فقط على إعادة ضبط اللغة والصياغة، في حين أن المحرر عليه أن يتحقق من دقة المعلومات الواردة في الرواية، وله الحق في أن يبدي ملحوظاته على حجم الرواية والتطويل وبناء الشخصيات ويلفت نظر الأديب إلى التناقضات في البناء الدرامي أو في الشخصيات.

وتضيف "أتذكر حوارا مع مترجم ومترجمة من الأدب العربي إلى الألمانية، أحدهما انتقد غياب التحرير في بعض الروايات لدرجة أن المعلومات التاريخية مغلوطة، وانتقدت المترجمة الأخرى التطويل والتكرار والشرح الكثير في الأدب العربي أو ما أسمته هي 'بالنفس الطويل في الكتابة'، وهذا ما يجعل الأدب العربي غير مقبول إلى حد ما لدى القارئ الأجنبي، مما يؤثر بالتالي على إقبال الناشر الأجنبي على نشر ترجمات الأدب العربي".

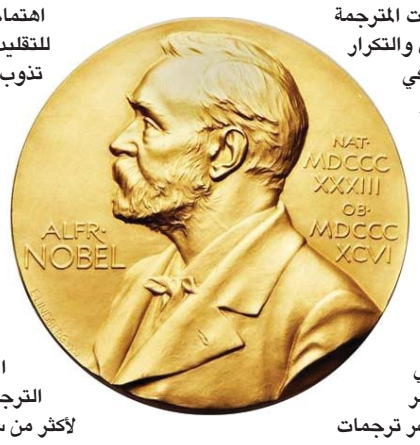

وتتابع شريف "كما أن دور الدول في دعم ترجمة الأدب العربي إلى اللغات الأخرى غائب تماما، فعلى عكس كل بلاد العالم التي تهتم بالتعريف بآدابها، وتقدم الدعم المالي واللوجستي للناشرين الأجانب تشجيعا لهم على ترجمة آدابهم، نجد أن حكومات الدول العربية لا تهتم بذلك إلا بما يخص الجوائز التي تمنح للمترجمين عن العربية".

تعمية وسعي للتطوير

يؤكد أستاذ علوم المسرح الأكاديمي نبيل بهجت أنه بالنظرة الأولى للغات الممثلة في جائزة نوبل للأدب ندرك الانحياز المسبق والتعمية المتعمدة على الأدب العربي، فهل يعقل أنه منذ إصدار نسختها الأولى لا يمثل العربية فيها غير محفوظ، وهو ما يجعلنا نشعر أن نوبل تتحرك بوعي استعماري يفرض نماذج بعينها ويغيّب أخرى متكأة في ذلك على ما أسس به المستعمر القديم نظرته للعالم من مدخل تميزه. ويتابع "القصدية متوفرة بالطبع لغياب العديد من المفاهيم ربما من وجهة نظري الوعي القيم بقيمة العدالة الثقافية، وهو ما أنادي به منذ فترة إذ أن النموذج العربي أدبا وتراثا من حقه التواجد تماما بجوار النماذج الأخرى ليحدث نوع من التوازن في بنية الصورة الإنسانية، فليس من المنطق ولا العدل أن يغيب الحضور بالجوائز النموذج المعبر عنا. إن الآفة الكبرى لغياب العدالة الثقافية في الجوائز تتمثل في أنها تطرح النموذج الذي يهتدي به البعض ليعمم ويصبح محل اهتمام الأجيال وشكلا للتقليد أحيانا، ومن ثم تذوب مع تلك الجوائز التي غابت عنها العدالة خصوصية تنوع التجربة الإبداعية الإنسانية".

ويرى أن سبب قلة المحتوى العربي في التمثيل في حركة الترجمة العالمية يعود لأكثر من سبب منها النشر والتسويق وعدم وضوح حقوق الكاتب العربي وعدم وجود ما يعرف بالوكيل الأدبي في حركة التسويق العربي، وأيضا منها تعثر الجانب الأكاديمي في نشر أبحاث عن الأدب العربي في دوريات علمية عالمية محكمة أي النشر عن الأدب والمنتج العربي باللغات الأخرى ليتعرف المجتمع العلمي عالميا على منجز الأدباء العرب، وأيضا هناك عامل مهم وهي قدرتنا على الترويج والنشر والترحيب بكتابنا ومنجزاتهم، إن هناك روحا تنافسية يجب أن تتحول إلى روح تكاملية.

ويظن بهجت أن نوبل لا تعتبر نموذجا شاملا وكاشفا للثقافة المختار منها الكاتب بشكل عام، وإنما تمثل نافذة جزئية، كما أنها لا تكشف الخارطة الأدبية لثقافة ما بشكل عام. للأسف الشديد انحرف البعض تبعا لمقتضيات الترجمة والجوائز، فخرجت علينا كتابات لا تمثلنا ولا تعبر عنا بقدر ما تستهدف ذائقة مترجم ما أو محكم ما في جائزة، ومثل هذا النوع من الكتابات التي لا تعبر عن روح المجتمع وطبيعة مشاكله لا تعيش طويلا، وفترة صلاحيتها محددة بمقتضيات الرشوة التي يطلقها الكاتب مداعبا من يريد.

ويعتقد الكاتب والأكاديمي العراقي المقيم في إسبانيا عبدالهادي سعدون أن القضية تقف خلفها كل هذه العوامل المذكورة، ولا مجال لسيطرة عامل منها على عامل آخر، فالحقيقة أنها متشابكة ومتداخلة بشكل غريب ومغر ومتعب بأن واحد. سمو الأدب ورفعته ووصوله عالميا، لا يتدخل فيه فقط الجانب الإبداعي، بل هناك جوانب أخرى، منها العامل الزمني والتواصل مع الآخر والدفع الدائم والتعريف المستمر، وهذا بحد ذاته لا يجيده الفرد بل هناك مؤسسات وجماعات تدخل على هذا الخط. كما أن الفرد المبدع يحاول عبر عمله أن يشير إليهم، وليس لأدوات أخرى، فهو ليس بالبهلوان الذي ينط هنا وهناك للترويج لما عنده.

ويضيف "أقول هذا كي أشير إلى أن الترجمة وحدها ليست كافية للتعريف بأديب معين وأدب دولة معينة أو شعب من الشعوب، لذا تحتاج لتضافر عوامل عديدة قد لا يستطيع كاتب مدهش الوصول إليها، ولا تستطيع ثقافة غنية معرفيا التوصل بها. الأدب العربي المعاصر (وأؤكد هنا على نماذجه المعاصرة التي بدأت تنتشر وتجد لها سوق قراءة وترويج) هو أدب حديث ومتغير وفي تطور متسارع ونحتاج لوقت طويل وتجربة حقيقية مثلما مرت بها آداب أخرى سبقتنا بفنونها وآدابها سنين طوال. ثم أعتقد أن آدابنا ومن خلال معرفتي المباشرة مع الغرب، بدأت تكتسح وتبني تصوراتها ورؤاها وتجد لها قراءات واعية وإن كان بشكل بطيء، وهذا قبل عقدين لم يكن له ذكر أو تصور ما".

ويشدد على أن "ما نحتاجه الممارسة والتجريب والتطوير في حقول الأدب والفنون، وبعدها سنجد أسماءنا تصل وتتم الإشارة إليها بكل حقيقتها المذهلة. تجاربنا لها قيمة ثقافية ومعرفية كبرى، كل ما تحتاجه هي فترة نضوج أكبر وخروج مهم سواء عبر الترجمة والنشر والالتقاء والتواصل مع لغات وثقافات العالم الأخرى. آدابنا المعاصرة تحتاج للمؤثرات والتطور الزمني نفسه الذي مرت به آدابنا الكلاسيكية أو آداب الغرب المؤسسة للكتابة والفنون المعاصرة الجديدة، وهذا يعتمد على الوقت والتطور والتجريب والمعاينة.

التقزيم حاصل

يرى الروائي شريف صالح أن الجوائز مثل الترجمة والشهرة كلها تعكس صورا لعلاقة الذات بالآخر. ويقول "أنت تبدع نصا أو لوحة أو موسيقى ثم يكتمل حضورها بالآخر تلقيا وتقييما وتسويقا. قبل أن نفحص علاقة الذات بالآخر البعيد المنفصل عن ثقافتنا أساسًا، ولا يتكلم لغتنا، علينا أن نفحصها في الدائرة المحلية، داخل ذات اللغة. إن التقزيم حاصل وفاجع. ليست لدينا دوائر تقييم نزيه، ولا سياق تلقي ناضج، ولا تسويق يُحترم. هناك نزوع للاستهلاك والتفاهة والتجهيل. من ثم لا يبيع الكاتب أكثر من ألف نسخة، ولو باع لا يتقاضى حقوقه، ولا يستضاف في جامعة كي يحاضر، ولا تبعد دائرة حضوره عن أصحابه المقربين".

لذلك فتقزيم الآخر، من خارج الثقافة، في رأي صالح متسق، ونتيجة طبيعية، لتقزيم الآخر داخل الثقافة ذاتها. وربما لهذا السبب نبالغ جدا في الاحتفاء بأي اعتراف من ذلك الآخر البعيد جدًا. نحن الشعوب الوحيدة التي تقول "الأديب العالمي نجيب محفوظ" ولا أظن في الأرجنتين يقولون الشاعر العالمي بورخيس. هذا الإصرار على أن نترجم - شكليًا - ويعترف بنا في لغة أخرى، هو قفز، على عدم الاعتراف بنا في لغتنا أساسا. أمل واهٍ في رد الاعتبار.

> إصرار الكتاب العرب على أن يترجموا شكليا ويعترف بهم في لغة أخرى هو قفز على عدم الاعتراف بهم في لغتهم

ويضيف "أخذًا في الاعتبار أن الجوائز عموما - محلية أو أجنبية - مرهونة بشروطها وانحيازاتها، نوبل مثلا بعد الفضائح الأخلاقية قررت أن تكافئ الأقليات والمرأة. إضافة إلى استمرارها في تأكيد المركزية الأوروبية (90 في المئة من الفائزين هم من أوروبا والولايات المتحدة كأنه لا إبداع ولا ثقافة في الهند والصين أضخم شعبين من ناحية التعداد السكاني) من المفترض عند منح جائزة - بغض النظر عن الجهة - أن تراعي خمسة معايير أساسية: الجدة والابتكار، أي يخترع المبدع لنفسه طريقا، والأصالة أي التفرد وليس التقليد، والتعبير الإنساني عن قيم العدل والحرية والكرامة الإنسانية، وقوة التأثير (العابر للغات في الجوائز الدولية)، وجودة المنتج (وليس قوة التسويق والدعاية)".

ويشدد على أن هذه المعايير تنطبق بجلاء على نجيب محفوظ أكثر مما تنطبق على آني إرنو الفائزة أخيرا (انحيازًا للمرأة والمركزية الأوروبية) لأنها تتبع أسلوبا لم تبتكره، بل قدمه سابقون عليها بموهبة أكبر، كما تنغمس كتابتها في ذاتية أضعفت تأثيرها، ومشروعها ليس ضخما ولا بالغ الجودة بل متذبذب المستوى.

وفي رأيه "حتى لو طبقنا هذه المعايير على الجوائز العربية الشهية ماليا، لن نعثر على تقارير لجان ولا تقييم ولا معايير واضحة للفوز، لأنها محكومة بدوائر التسويق وشهرة الكتاب وحصص الجغرافيا والنزوع المتوسط لإرضاء الجميع وليس الصدام مع أي قيم أو تقاليد. صحيح لدينا إبداعات عربية عظيمة لا تقل جمالًا مع تنتجه الشعوب الأخرى لدينا رسام مثل بيكار لا يقل عبقرية عن بيكاسو.. لكن لا يجب أن ننتظر اعتراف المركز بنا إذا كنا نحن أنفسنا عاجزين عن الاعتراف بأنفسنا".

إبراهيم عبدالمجيد:
حيثيات الفوز لكاتب عربي بنوبل موجودة بقوة فما الحكاية

هبة شريف:
الأدب الجيد يجد طريقه لكن لا ننكر أن للجوائز جانبا سياسيا

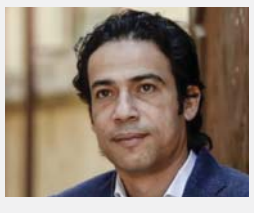

نبيل بهجت:
نوبل تتحرك بوعي استعماري يفرض نماذج بعينها

عبدالهادي سعدون:
سمو الأدب وعالميته لا يرتبطان فقط بالجانب الإبداعي

شريف صالح:
الجوائز كالترجمة والشهرة تعكس صورا لعلاقة الذات بالآخر

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

ماكبث شكسبير يتحول إلى مسلسل درامي في سوريا

«وصايا الصبار» مسلسل يغوص في أعماق المجتمع السوري عبر شخصيات متناقضة

هناك اختلافات شكلية كثيرة بين الفن المسرحي والمسلسلات الدرامية، اختلافات قد تصل عند البعض إلى التناقض التام بين الفنين رغم ما فيهما من تشابه خاصة في اشتغالهما على "الدراما" والتجسيد والشخصيات والنص والصورة وغيرها من عناصر. وتبقى محاولة تحويل عمل من كلاسيكيات المسرح إلى مساحة مسلسل مغامرة، شاهدناها مثلا مع أعمال شكسبير، وهذا الأخير يستعاد مرة أخرى في مسلسل ولكنه عربي هذه المرة بإنتاج سوري، مستند على واحدة من أشهر مسرحياته.

عبدالمنعم عمايري وأمل عرفة ماكبث وزوجته

شخصيات وصولية

نضال قوشحة
كاتب سوري

تعيش في حياة الناس شخصيات قوية تتحكم بمصائرها، وتكون ذات حضور طاغ في محيطها، حتى لو كان هذا الحضور سلبيا. من هذه الشخصيات التاريخية ماكبث، القائد العسكري ثم الملك الطاغية في أسكتلندا، الذي شدت شخصيته الكاتب المسرحي الأشهر في إنجلترا وليم شكسبير وألف عنه وباسمه عرضا مسرحيا شكل حضورا لافتا في تاريخ الفن المسرحي والفني عموما عبر مئات السنين. وكثيرا ما تقدم الحياة شخصيات مشابهة لماكبث، بسلوكه وأطماعه وجشعه وإجرامه.

من هذا الفهم وبحثا عن تناول جديد لهذه الموضوعة يتناول مسلسل سوري جديد هذه الثيمة مشرحا لها في المجتمع السوري المعاصر.

حضور مواز

في عام 1606 ظهرت مسرحية شكسبير "ماكبث"، وهي أقصر تراجيدية كتبها، وقدم فيها سيرة حياة القائد العسكري الأسكتلندي ماكبث، الذي تخبره ساحرات ثلاث أنه سيصير ملك اسكتلندا، فيؤمن بتلك النبوءة ويتملكه الطمع بأن يكون الملك فعلا، وبدفع من السيدة ماكبث زوجته التي لا تقل عنه طمعا وحقدا، يخططان لقتل الملك والاستيلاء على العرش، وهذا ما يكون فعلا، حيث يقتل ماكبث الملك دنكان وكثيرا من المقربين منه لكي يتفرد بالسلطة.

المخرج سمير حسين يعود بعمله الحالي للمسلسل الاجتماعي بعد مشروع مسلسل «الكندوش» الكبير والمتعثر في الموسمين الماضيين

«وصايا الصبار» يتابع مجموعة من الأشخاص في طبقتين اجتماعيتين متباعدتين، إحداهما تمتلك السلطة والمال والثانية عكسها

قدم شكسبير من خلال مسرحية ماكبث معالجة موضوعية للسلوك الإنساني المنحرف القائم على الجشع الذي يتملك شخصا قادرا وحاصلا على الكثير من احتياجات الحياة، بحكم موقعه الوظيفي العالي، لكن طمع النفس البشرية ولوثة حب السلطة والمال تصل به إلى مهاو خطيرة. كثيرا ما قدمت مسرحية ماكبث في فنون أخرى، فظهرت في فنون موازية، فقدم النص المسرحي العشرات من المرات في السينما العالمية، منذ المحاولة الأولى في اليابان عام 1957 ثم ظهر النص في محاولات في ألمانيا وإيطاليا ويوغسلافية وفرنسا وطبعا في إنجلترا والولايات المتحدة وصولا إلى العديد من المحاولات الدرامية الفنية المختلفة في مواد وثائقية أو في دراما التلفزيون، حيث تم الاتكاء عليه في بناء مسار فني لمسلسل أو فيلم وثائقي محدد. ومازالت شخوص مسرحية ماكبث حاضرة بقوة في العديد من الظهورات الدرامية المختلفة في الفن العالمي.

تعيش سوريا منذ ما يزيد عن العشر سنوات حربا قاسية، نكأت في مجتمعها جروحا عميقة، وأظهرت كما في أي مجتمع حرب شكلا مأزوما من الأمراض الإجتماعية والتشوهات النفسية والأخلاقية التي كانت موجودة قبل الحرب ولكن بحدة أقل. فظهرت في المجتمع السوري خلال العشرية الأخيرة شرائح اجتماعية بالغة السوء، تتجه لتحقيق أهدافها على رقاب الآخرين ومهما كانت الأثمان، مستفيدة من حالة الفوضى التي وجدت.

هؤلاء الوصوليون يشبهون شخوص مسرحية ماكبث الذين كانوا وقودا لأطماعه ونزواته، ومن خلال هذه الثيمة تصدى الكاتب فادي حسين لكتابة نص درامي تلفزيوني في عشر حلقات، حمل عنوان "وصايا الصبار" في كناية عن نبات الصبار الشوكي الذي يهدد من يلمسه بخطر التأذي بأشواكه.

العمل هو باكورة إنتاجات شركة "أمبريس ستوديو" التي عهدت بالعمل لمخرج تلفزيوني متميز حقق نجاحات سابقة في الدراما السورية، خاصة في الشكل الاجتماعي القريب بل المعاش في حياة الناس، وهو المخرج سمير حسين، صاحب مسلسلات "ليل ورجال" و"أمهات" و"قاع المدينة" و"وراء الشمس" و"فوضى" و"بانتظار الياسمين" الذي وصل به إلى آخر مرحلة في مسابقة الإيمي وورلدز العالمية في الولايات المتحدة وهي تعادل الأوسكار السينمائي. وها هو يعود بعمله الحالي لشكل المسلسل الاجتماعي البحت بعد مشروع كبير ومتعثر له في الموسمين الماضيين من خلال مسلسل الكندوش الذي قدمه في شكل البيئة الشامية.

صراعات ومواجهات ومصائر خطرة ومجهولة ترافق حياة شخوص مسلسل "وصايا الصبار"، فبحسب كاتبه فادي حسين يلفت إلى أنه أراد أن يكتب عن الناس الطبيعيين في مجتمع ما بعد الحرب وما يمكن أن يكونوا عليه.

وأضاف حسين "دلالة عنوان العمل 'وصايا الصبار' فرضتها حيثيات شخوصه، فنبات الصبار شوكي، لا يمكن أن ينتج إلا الأشواك التي تسبب الألم للناس، وهو بحاله المعروف عليها لا يمكن أن ينتج إلا الأشواك، كذلك بعض الناس الذين مهما كان شكلهم ناعما ولطيفا فإنهم لا يمكن أن يقدموا إلا الشرور والمتاعب".

ويبين الكاتب بأنه يقدم في مسلسله "متابعة لمجموعة من الأشخاص في طبقتين اجتماعيتين متباعدتين، إحداهما تمتلك السلطة والمال والثانية عكسها، مسحوقة ومغلوبة، وهنالك جزء تاريخي قديم ولاهب ومشترك بينهما، لا يلبث أن يظهر في مسارات حيواتهم، ويحدث المزيد من الصراعات والخلافات بينها، حاملا المزيد من الحبكات الدرامية المشوقة والمثيرة".

مخرج الأعمال الاجتماعية

دأب سمير حسين مخرج المسلسل على تقديم رؤى فنية عميقة لما يقدمه، فقدم سابقا عملا عن الأمهات وأصحاب الاحتياجات الخاصة عموما.

تفاصيل إنتاجية

يشكل "وصايا الصبار" الظهور الأول للجهة المنتجة، وقد بينت أنها توجهت نحو الشكل الاجتماعي كونه يشكل الجاذب الأوسع للجمهور، ويؤكد منتج المسلسل أن "الإعداد له كلف الكثير من الوقت والجهد، وعوالم الشعوذة، وكذلك في أحلام ساكني العشوائيات، دخل إلى عوالم مجهولة ومهمشة من قاع المجتمع، وهو يؤكد بأنه سيقدم في المسلسل الجديد "ما يقارب المجتمع السوري الحالي، بتناقضاته و تفاصيله المؤلمة، وهي المساحة التي أرتاح في العمل فيها، كوني من منشأ مناطق شعبية حملت هذا التناقض والتلون حتى أقصاه، وأوجد عندي معرفة تامة بخبايا هذا المجتمع وبالتالي القدرة على استجلاء مكامن الغموض فيه وتقديمه بشكل موثق وواضح".

وقدم حسين قبلا العديد من الأعمال الاجتماعية التي لاقت نجاحا في الدراما العربية، كما في مسلسل "قاع المدينة" الذي كتبه محمد العاص وقدم فيه حياة العشوائيات المحيطة بدمشق ومرارات الحياة التي تكون فيها ومقدار التشوهات الاجتماعية التي تتكون فيها، وهو الموضوع الذي تناوله بعدها في مسلسل "فوضى" عن نص ألفة حسن سامي يوسف، كما قدم مسلسلا شهيرا عن ذوي الاحتياجات الخاصة حمل عنوان "وراء الشمس" كان بطله بسام كوسا وحقق نجاحا غير مسبوق واعتبر نقطة مضيئة في تاريخ الدراما السورية والعربية

فالكاتب أعد نصا يحكي فيه عن المشاكل الحياتية اليومية ومشاكل الطمع في السلوك الإنساني، وبمجرد انطلاق العمل بدأت ورشة عمل بين الكاتب والمخرج سمير حسين لإجراء تعديلات وتطويرات في النص".

ويضيف "استمرت هذه الفترة لما يقارب الستة أشهر لكن النتيجة كانت في الوصول إلى نص مليء بالتشويق والإثارة.

ويبدو أن طبيعة النص أوجدت العديد من الشخصيات الشابة".

ويبيّن المنتج أن النص أتاح فرصة وجود مواهب في فن التمثيل من جيل الشباب، وقد عهدت الجهة المنتجة بهذه الشخصيات لعدد من الخريجين الجدد من المعهد العالي للفنون المسرحية. وسيعرض المسلسل الذي ستنتهي أعماله الفنية قريبا على المنصات الإلكترونية وليس القنوات التلفزيونية، وخارج الموسم الرمضاني، وهو بذلك يكسر حالة العروض غير الرمضانية التي صارت تشكل نمطا موازيا للعروض التلفزيونية التي تحاط بطقوس جماهيرية وإعلانية خاصة، يبدو أن الجمهور ومنابر العرض بدأوا بالتخلص منها لصالح أشكال موازية تحقق المزيد من المرونة والسرعة والسهولة في طرح الأفكار وتنفيذها وعرضها وبالتالي تفاعل الناس معها وتحقيق المردود الجماهيري والمالي منها.

ليست سوريا هكذا، جملة سمعها منتجو العمل وهم يعدون له، فالجهات الرقابية اعترضت على بعض الأفكار التي وردت فيه، لكن إصرار الجهة الإنتاجية وفريق العمل بأن يتم تقديم أفكار هامة فيه جعل حسم الموضوع أمرا صعبا.

وطالبت الرقابة بإجراء تعديلات عليه، واستغرق هذا الأمر جلسات حوارية مكثفة بين الجهة المنتجة وجهات الرقابة، وبعد الكثير من العمل وبتنسيق الجهد بين كاتب المسلسل ومخرجه انتهى الأمر بالوصول إلى صيغة محددة، حققت مقولات العمل وفق معايير محددة رقابيا، ووصل إلى مرحلة التنفيذ.

ويحاول المسلسل بإصرار فريق العمل فيه تقديم وجبة درامية تقارب الحياة اليومية التي يعيشها الناس في المجتمع السوري حاضرا، وهي من السمات التي تحقق لدى الجمهور شرطا جاذبا للمتابعة. وهي العلاقة التي بناها الجمهور مع العديد من الأعمال الإجتماعية التي حققت متابعة واسعة وحضورا قويا لديه.

تعد شخصيتا ماكبث وزوجته محوريتين في المسرحية، وكذلك في مسلسل 'وصايا الصبار'، وقد اختار فريق العمل لتقديمهما قامتين فنيتين هامتين في المشهد الفني السوري، وهما عبدالمنعم عمايري وأمل عرفة، اللذان ظهرا مرارا في أعمال درامية سورية سابقا منها تجربة عشتار الذي ألفته أمل عرفة في حينه.

المسلسل يحاول بإصرار فريق العمل فيه تقديم وجبة درامية تقارب الحياة اليومية التي يعيشها المجتمع السوري

كما شارك في التمثيل مجموعة من الفنانين السوريين مثل: فايز قزق وحسام الشاه وعامر علي وروبين عيسى وصفاء سلطان وبشار إسماعيل وسناء سواح وعاصم حواط وعلي القاسم ويوسف المقبل وتسنيم الباشا، كما تشارك رنا العضم كضيفة شرف رغم كونها مشاركة في إنتاج العمل مع حسين فخرالدين.

وعن تبريرها لذلك تقول "لم أجد في المسلسل شخصية درامية لي، فالشرطية المهنية هي من يحكم خيارات العمل وليس الصفة الإنتاجية، فما يناسب العمل كان موجودا، وليس للمعيار الشخصي أي اعتبار، وكل الفنانين المشاركين هم أفضل من سيقدم شخصياته".

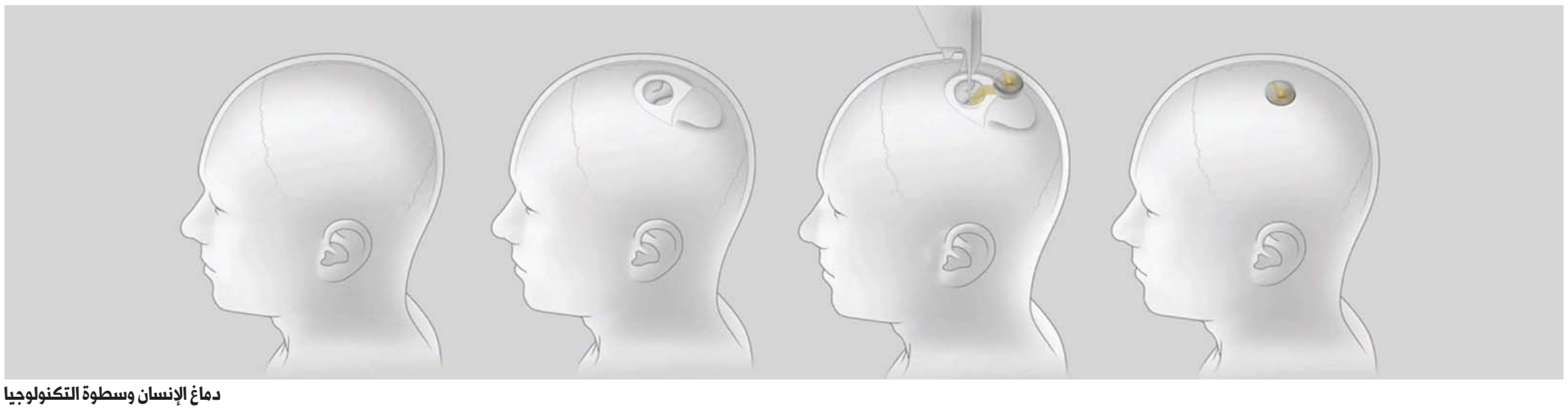

دماغ الإنسان وسطوة التكنولوجيا

الهاكرز يتربصون بالشرائح المزروعة في جسم الإنسان

إيلون ماسك يعلن عن زرع غرسات في الدماغ متصلة بالكمبيوتر

كلما أحرزت الأبحاث التكنولوجية تدخلا في جسم الإنسان من خلال زراعة الشرائح والرقائق لأغراض مختلفة أغلبها طبي يعلن إيلون ماسك عن زرع غرسة في الدماغ متصلة بالكمبيوتر. وكلما ازدادت مخاوف العامة من تحول الإنسان إلى روبوت وافتقاده إلى مشاعره ومعارفه، فإن الباحثين يتخوفون من اختراق جسم الإنسان ودماغه من قبل الهاكرز والتحكم فيهما.

سان فرانسيسكو (الولايات المتحدة) – توقّع إيلون ماسك الأربعاء أن تتوصل شركته "نيورالينك" الناشئة في غضون ستة أشهر إلى زرع أول جهاز في دماغ الإنسان يتواصل مع أجهزة الكمبيوتر مباشرة عبر التفكير.

وتم زرع أجهزة صغيرة تحفز الأعصاب ومناطق الدماغ إلكترونيا لعلاج ضعف السمع ومرض الشلل الرعاش في البشر منذ عشرات السنين، لكن غرايم موفات الباحث في علم الأعصاب بجامعة تورونتو قال "سينبهر الجميع جدا إذا أظهرت نيورالينك بالفعل بيانات من جهاز مزروع في الإنسان".

> الثغرات تبقى موجودة في البرمجيات والأجهزة المتصلة بالدماغ، وينبغي معالجتها استعدادا للتهديدات القادمة

ويرى خبراء أن هذا التطور التكنولوجي يكشف عن تحديات ومخاطر تواجه الإنسان في المستقبل، أبرزها مخاوف من الاختراق والتحكم في البشر عن طريق الشرائح الإلكترونية، فقد يتحول الإنسان إلى "روبوت" مسير، وقد يُقدم على ارتكاب جرائم وأمور تهدد سلامته ووجوده.

وتؤدي المخاوف من الاختراق إلى فرض رقابة متزايدة للحد من عمليات التجسس واختراق العقل البشري، والتحكم بأفكاره وأعضائه، وإعادة برمجته إلكترونياً.

غرسة نيورالينك

خلال عرض التطوّرات التي أحرزتها "نيورالينك"، قال رئيس "تسلا" و"سبيس إكس" وعدد من الشركات الناشئة "نودّ بالتأكيد أن نكون حذرين جدا وواثقين من أنّ هذه التقنية ستعمل بصورة جيدة، ورفعنا كل المستندات إلى إدارة الأغذية والعقاقير (الجهة المسؤولة عن القطاع الصحي في الولايات المتحدة)، ونعتقد أننا في غضون ستة أشهر سنكون قادرين على وضع أول غرسة تطوّرها الشركة في دماغ الإنسان".

وكتب لاحقا عبر منصة تويتر التي اشتراها قبل فترة "أصبحنا واثقين حاليا من أنّ جهاز 'نيورالينك' جاهز للاستخدام البشري، ويعتمد موعد بدء استخدامه على إجراءات الموافقة التي تعطيها إدارة الأغذية والعقاقير".

ووفقا للمسؤولين في الشركة التي تأسست في عام 2016 في سان فرانسيسكو الأميركية، فإن إيلون ماسك، إلى جانب عدد من المسؤولين، سيقوم بالكشف عن الكثير من التفاصيل حول زراعة شريحة لاسلكية في الدماغ، وعن التجارب الناجحة التي تَوصل إليها العلماء حتى الآن باستخدام هذه التقنية.

وكشف الإعلان عن وظيفة جديدة لمنصب "مدير التجارب السريرية" في نيورالينك أن الشركة الناشئة في مجال التكنولوجيا العصبية مستعدة الآن لنقل أبحاث رقاقات الدماغ إلى المرحلة التالية وهي بدء التجارب السريرية.

وقال إعلان التوظيف الذي نشرته الشركة "بصفتك مدير التجارب السريرية، ستعمل عن كثب مع بعض الأطباء الأكثر ابتكارا وكبار المهندسين، بالإضافة إلى العمل مع أول المشاركين في التجارب السريرية في نيورالينك".

وكشفت تقارير نشرت في السابق أن قطر جهاز الاستشعار الخاص بشركة نيورالينك يبلغ ثمانية ملليمترات تقريبا أو أصغر من طرف الإصبع ويتم زرعه في الجمجمة وموصل بأسلاك صغيرة.

وبمساعدة روبوت متطور يتم زرع خيوط مرنة أو أسلاك أدق من شعر الإنسان في المناطق المسؤولة عن وظائف الحركة والإحساس في الدماغ، بينما يكون المتلقي تحت التخدير الموضعي فقط. وقال ماسك إنه يمكن إزالة هذا الجهاز.

وليس جديدا على الملياردير أن يعلن عن توقعات تتسم بالمجازفة، فسبق له أن فعل ذلك بموضوع القيادة الذاتية لسيارات تسلا الكهربائية.

في يوليو 2019، توقّع ماسك أن تتمكّن نيورالينك من إجراء أول اختباراتها في زراعة الغرسة على الأفراد عام 2020، وحتى اليوم، زُرعت نماذج وهي بحجم مماثل لقطعة نقود، في جماجم حيوانات.

ويقول العلماء إن معظم الأبحاث المتطورة الحالية في الوصلات بين الدماغ والكمبيوتر تُجرى على الحيوانات لأن تحديات السلامة وإجراءات الموافقة التنظيمية المطولة تمنع إجراء تجارب أكبر على البشر.

وتمكن قرد من اللعب بلعبة الفيديو "بونغ" من دون أي وحدة تحكم غير قوة دماغه، وفي مقطع فيديو نشرته الشركة، يمكن رؤية القرد بيجر وهو يتحكم بحركات المضرب بعينيه لمنع الكرة من السقوط في الفراغ، تماماً كما يمكن للاعب العادي أن يفعل بعصا التحكم أو الشاشة التي تعمل باللمس أو بواسطة لوحة مفاتيح.

ويجمع مهندسو الشركة على أن أجهزة كمبيوتر الإشارات العصبية من الرقائق المزروعة تتيح تحليل هذه الإشارات وتدريب الآلات والتقدم في التحكم في أجهزة الكمبيوتر ذهنيا.

وأصبح عدد كبير من القردة قادرا على التحكم بألعاب الفيديو أو النقر على الشاشات، من خلال تتبّع حركة المؤشر على الشاشة بأعينها.

وواجهت "نيورالينك" والشركة المتخصصة في علوم الأعصاب التي أجرت العديد من الاختبارات على القرود اتهامات بإخضاع هذه الحيوانات لسوء المعاملة غير القانوني والمعاناة الشديدة أثناء اختبارات غرسات الرقائق، بحسب ما كشف تقرير لـ"بيزنس إنسايدر".

وقدمت منظمة تعنى بحقوق الحيوان تدعى "لجنة أطباء للطب المسؤول" شكوى رسمية إلى وزارة الزراعة الأميركية تزعم فيها أن القرود تعاني من "معاناة شديدة نتيجة لرعاية الحيوانات غير الكافية وعمليات زرع الرأس التجريبية شديدة التوغل أثناء التجارب".

وردت "نيورالينك" في مدونة جاء فيها أن "هذه الاتهامات تأتي من أشخاص يعارضون أي استخدام للحيوانات في البحث"، مضيفة "نحن ملتزمون تماما بالعمل مع الحيوانات بأكثر الطرق إنسانية وأخلاقية".

وبررت ذلك بالقول إنها اعتمدت على جامعة كاليفورنيا في ديفيس لإيواء القرود ورعايتها أثناء قيامها ببناء منشأة الاختبار الخاصة بها، والتي افتتحت عام 2020.

وخلصت إلى أنها "تتطلع إلى اليوم الذي لن تعود فيه الاستعانة بالحيوانات ضرورية للبحث الطبي. ومع ذلك، يعتمد مجتمعنا حاليًا لهذه التجارب لعلاج الأمراض، ومنع انتشار الفايروسات، وإنشاء تقنية يمكنها تغيير كيفية تفاعل الناس مع العالم".

تجارب معقدة

أجرى علماء الأعصاب في السابق تجارب زرع مخ على عدد صغير ممن فقدوا السيطرة على وظائف الجسم بسبب إصابات الحبل الشوكي أو حالات عصبية مثل الجلطات الدماغية.

ويمكن للبشر في تلك التجارب التحكم في الأشياء الصغيرة، مثل لوحة مفاتيح الكمبيوتر أو مؤشر الماوس، ولكن لم يتمكنوا بعد من إكمال مهام أكثر تعقيدا.

وتطرق ماسك ومهندسو نيورالينك الأربعاء إلى أحدث التطورات التي حققتها الشركة في ما يخص تطوير جرّاح آلي وغرسات أخرى تُثبَّت في النخاع الشوكي أو في العينين، بهدف استعادة القدرة على الحركة أو البصر.

وتشير المعلومات المتداولة إلى أن الشريحة الإلكترونية سيتم استخدامها في الوقت الحالي للمساعدة في علاجات مختلفة؛ منها الزهايمر والخرَف وإصابات النخاع الشوكي، وسيكون هناك حديث موسع عن الذكاء الاصطناعي باستخدام الشريحة للبشر.

وقال ماسك في وقت سابق إن التجارب البشرية المبكرة ستجرى في عام 2022 على أشخاص يعانون من الشلل من خلال ربط أدمغتهم بأجهزة الكمبيوتر وبالتالي منحهم القدرة على المشي أو استخدام الذراعين.

وبالإضافة إلى القدرة على معالجة الأمراض العصبية، يتمثل الهدف النهائي لماسك في التأكد من أنّ أنظمة الذكاء الاصطناعي لم تسبق البشر من الناحية العقلية والفكرية.

ولن تقتصر مشاريع نيورالينك على رقاقات الدماغ، إذ تستهدف عمليات زراعة لرقاقات في أجزاء أخرى من الجسم مثل النخاع الشوكي والتي من المحتمل أن تساعد من يعانون من الشلل على استعادة الحركة. وتستهدف الشركة كذلك نوعا آخر يمكن زرعه في العين بهدف تحسين أو استعادة الرؤية البشرية، كما يجري العمل على تطوير أجهزة تفاعلية أخرى بين الدماغ والآلات.

ويمول إيلون ماسك في هذا الإطار مشروعا لترجمة نشاط الدماغ إلى كلمات بواسطة خوارزميات، مما يتيح للأشخاص الذين أصيبوا بالبكم بسبب الأمراض التنكسية العصبية استعادة النطق.

وتعمل شركات أخرى على التحكم في أجهزة الكمبيوتر عن طريق التفكير، وبينها "سينكرون" التي أعلنت في وقت سابق عن زرعها أول "واجهة الدماغ والكمبيوتر" (برين كمبيوتر إنترفايس) في الولايات المتحدة وتسمح للمرضى بالتحكم في الآيفون والآيباد عبر الدماغ.

رقاقة ستبهر العالم

> إيلون ماسك
> بالتأكيد نودّ أن نكون حذرين جدا وواثقين من أنّ غرسات الدماغ ستعمل بصورة جيدة

وقال توم أوكسلي مؤسس شركة "سينكرون" ومديرها التنفيذي إن الشريحة يتم وضعها في الدماغ من خلال قسطرة الأوعية الدموية وليس من خلال جراحة، ويتم التحكم بالشريحة بواسطة المريض لاسلكياً من خلال جهاز آخر على صدره.

ويمكن وضع الشريحة في الدماغ بواسطة جراحة دقيقة يجريها أطباء جراحة المخ والأعصاب لكن العائق أن الجراحة معقدة قليلاً وهناك عدد محدود من جراحي المخ والأعصاب المؤهلين.

وتقوم هذه الشريحة بتحويل الأفكار في دماغ المريض والتي هي عبارة عن نشاط كهربي في الدماغ بالأساس إلى إشارات لاسلكية يقوم جهاز آخر "سينكرون سويتش" بتحويلها إلى أوامر يتم تنفيذها في جهاز الآيفون والآيباد.

وفي أبسط الأمور، يمكن تحويل نشاط كهربي محدد في الدماغ مثل التفكير في تحريك القدم إلى نقرة على الشاشة وباستخدام تطبيقات لوحات مفاتيح محددة يمكن كتابة كلمات على الشاشة والتواصل.

قرصنة الدماغ

منذ سنة 2018 حذرت شركة كاسبرسكي لاب المتخصصة في أمن المعلومات والكمبيوتر من أن الهاكرز قد يصبحون قادرين في المستقبل على استغلال الأجهزة العصبية التي تزرع داخل جسم الإنسان في سرقة الذكريات البشرية أو التجسس عليها أو تغييرها أو التحكم فيها.

ويقول العلماء إن الثغرات تبقى موجودة في البرمجيات والأجهزة المتصلة بالدماغ، وينبغي معالجتها بغية الاستعداد للتهديدات القادمة، وذلك وفقاً لتقرير أجراه باحثون من شركة كاسبرسكي لاب ومجموعة جراحة الأعصاب الوظيفية بجامعة أكسفورد.

وجمع الباحثون من كاسبرسكي لاب بين التحليلات العملية والنظرية لاستكشاف الثغرات في الغرسات المستخدمة للتحفيز العميق للدماغ، وترسل هذه الأجهزة التي تعرف باسم "الغرسات المولدة للنبض" أو "المحفزات العصبية"، نبضات كهربائية إلى أهداف محددة في الدماغ لعلاج اضطرابات مثل مرض باركنسون والرعاش والاكتئاب الشديد والوسواس القهري.

ويأتي أحدث جيل من هذه الغرسات مزوداً ببرمجية إدارة لاستخدام كل من الأطباء والمرضى، يمكن تركيبها على الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية والكمبيوترات، ويعتمد الاتصال بينهما على بروتوكول بلوتوث القياسي.

ووجد الباحثون عددا من سيناريوهات المخاطر القائمة والمحتملة التي يمكن للهاكرز استغلالها لقرصنة الأدمغة البشرية، من ذلك ثغرة خطرة والعديد من إعدادات التهيئة الخطأ المثيرة للقلق في منصة إدارة عبر الإنترنت يشيع استخدامها بين فرق العمليات الجراحية، ويمكن أن تقود المهاجمين إلى بيانات وإجراءات علاجية حساسة.

ويمكن أن يؤدي نقل البيانات غير الآمن أو غير المشفر بين الغرسة والبرمجية المشغلة لها وأية شبكة مرتبطة، إلى التلاعب بغرسة أو حتى مجموعة كاملة من الغرسات المزروعة في عدد من المرضى، وقد يؤدي التلاعب إلى تغيير في الإعدادات يسبب الألم أو الشلل أو سرقة البيانات الشخصية الخاصة والسرية للمرضى.

ونظرا إلى أن الباحثين يقدّرون أن العقود المقبلة سوف تشهد تسارعا في تطور هذه التقنية واستخداماتها يواكب التقدم في المحفزات العصبية والتعمق في فهم الكيفية التي يعمل بها الدماغ في بناء الذكريات والمعارف والمعلومات وتخزينها، ما من شأنه أن يخلق مزيدا من فرص الاستغلال أمام المهاجمين الإلكترونيين.

ويتوقع العلماء أن يصبحوا قادرين في غضون خمس سنوات على تسجيل إشارات الدماغ الإلكترونية التي تبني الذكريات، ومن ثم تعزيزها أو حتى إعادة كتابتها، قبل إعادتها إلى الدماغ، وبعد عقد من الآن، يمكن أن تظهر في السوق أولى الغرسات التجارية التي تعزز الذاكرة، وخلال 20 عاما أو نحوها، قد تتطور التقنية بما يكفي للسماح بالتحكم في الذكريات تحكما كبيرا.

ويمكن أن تؤدي تلك التطورات إلى نشوء تهديدات جديدة تتضمن التلاعب بمجموعات من الأفراد من خلال زرع ذكريات معنية تتعلق بأحداث سياسية ونزاعات ما، أو مسحها، في حين يمكن أن تستهدف التهديدات الإلكترونية "المعاد توجيهها نحو أغراض أخرى" فرصا جديدة للتجسس الإلكتروني أو سرقة الذكريات أو حذفها، أو حتى "حبسها" في سبيل الحصول على فدية مالية.

وقال ديمتري غالوف الباحث الأمني لدى شركة كاسبرسكي لاب معلقا على نتائج الدراسة التي أجرتها الشركة، إن الثغرات الحالية "لها شأنها"، مشيرا إلى أن التقنية الموجودة اليوم هي "الأساس لما سوف يكون عليه الحال في المستقبل".

وأضاف "على الرغم من عدم ملاحظة وقوع أية هجمات تستهدف أجهزة التحفيز العصبي في الواقع، تبقى الثغرات سهلة الاستغلال، لذا فنحن بحاجة إلى الجمع بين المتخصصين في المجالات الطبية، وقطاع الأمن الإلكتروني والمصنعين للتحقق من جميع الثغرات المحتملة والحد منها، سواء هذه التي نراها اليوم أو تلك التي سوف تظهر في السنوات القادمة".

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

المشي إلى الخلف يحسن توازن الجسم

تعزيز عمل العضلات يساعد في الوقاية من هشاشة العظام في الركبة

يشيد خبراء اللياقة البدنية بفوائد ممارسة رياضة المشي إلى الخلف من حيث أنها تحسن استقرار الجسم وتوازنه وتعزز العضلات وتقويها. كما تؤدي إضافة التغييرات في الميل أو الانحدار أيضا إلى تغيير نطاق حركة المفاصل والعضلات، ما يوفر تخفيفا للألم في حالات مثل الالتهاب، وآلام الركبتين والظهر.

المشي فوائده مذهلة لصحّة الجسم

لندن - يؤكد خبراء اللياقة البدنية أن المشي عكس الاتجاه أو إلى الخلف يساعد بشكل كبير في شحذ العقل ليصبح التفكير صافيا.

ويشير الخبراء إلى أن الإنسان كلما واجه مشكلة أو موقفا صعبا يحتاج فيه إلى فكر و قرار سليم، عليه أن يجري تمرينا للمشي عكس الاتجاه لعدة دقائق، مما يعزز كفاءة وقدرة عقله على اتخاذ القرار السليم.

ويعد المشي إلى الخلف تقليدا لدى الصينيين واليابانيين منذ قرون عديدة، وقد بدأ سكان الغرب بممارسة هذه الرياضة مؤخّرا لما لها من فوائد مذهلة لصحّة الجسم، فإلى جانب تأثيرها الكبير في تنشيط الذهن وتقوية الجسم، قد تساعد ممارسة السير إلى الخلف في التخفيف من آلام الركبتين والظهر إلى حد كبير.

وتكمن أهمية المشي في أنه يساهم في نمو بعض العضلات، لاسيما العضلة القطنية التي تقع عند البطن، والعضلة الرباعية، وكذلك بعض عضلات الكتفين نظرا لانحنائهما إلى الأمام عند المشي، ولكن قد تؤدّي كثرة المشي أو الجري إلى اختلال توازن الجسم، في حين أنّ المشي إلى الخلف يعزّز العضلات الألوية في المؤخّرة، والعضلات المأبضية، التي تقع خلف الفخذ، وبعض العضلات الأساسية، والعضلات الظنبوبية، وهي العضلات الأمامية السفلى للساق.

كذلك يمكن للمشي إلى الوراء تنشيط أجزاء مختلفة من الدماغ والأعصاب، ولهذا فإن له فوائد كثيرة.

ومن أكثر فوائد المشي إلى الخلف المدروسة جيدا تحسين الاستقرار والتوازن. ويمكن للمشي إلى الخلف أن يحسن المشي إلى الأمام (كيف يمشي الشخص) والتوازن للبالغين الأصحاء والذين يعانون من هشاشة العظام في الركبة. ويؤدي المشي إلى الخلف إلى اتخاذ خطوات أقصر وأكثر تكرارا، ما يؤدي إلى تحسين القدرة على التحمل العضلي لعضلات أسفل الساقين مع تقليل العبء على مفاصلنا.

ويمكن أن تؤدي إضافة التغييرات في الميل أو الانحدار أيضا إلى تغيير نطاق حركة المفاصل والعضلات، ما يوفر تخفيفا للألم في حالات مثل التهاب اللفافة الأخمصية، وهو أحد الأسباب الأكثر شيوعا لألم الكعب.

وتستخدم التغييرات الوضعية الناتجة عن المشي إلى الخلف أيضا المزيد من العضلات التي تدعم العمود الفقري القطني، ما يشير إلى أن المشي إلى الخلف يمكن أن يكون تمرينا مفيدا بشكل خاص للأشخاص الذين يعانون من آلام أسفل الظهر المزمنة.

وتم استخدام المشي إلى الخلف لتحديد وعلاج التوازن وسرعة المشي في المرضى الذين يعانون من حالات عصبية أو بعد السكتة الدماغية المزمنة.

> أهمية المشي إلى الخلف تكمن في أنه يساهم في نمو بعض العضلات، لاسيما العضلة القطنية التي تقع عند البطن

لكن فوائد تغيير الاتجاه ليست علاجية فحسب، فالاهتمام بالحركة العكسية دفع الباحثين لاكتشاف العديد من الفوائد الأخرى أيضا.

وفي حين أن المشي الطبيعي يمكن أن يساعد في الحفاظ على وزن صحي، إلا أن المشي إلى الوراء قد يكون أكثر فعالية. ويكون إنفاق الطاقة عند المشي إلى الخلف أعلى بنسبة 40 في المئة تقريبا من المشي بنفس السرعة إلى الأمام.

ويزيد الجري إلى الخلف من قوة العضلات الأساسية المشاركة في استقامة الركبة، والتي لا تنتقل فقط إلى الوقاية من الإصابات، ولكن أيضا قدرتنا على توليد القوة والأداء الرياضي. ويقلل الجري المستمر إلى الخلف من الطاقة التي ننفقها عندما نركض إلى الأمام. وعندما يبدأ الإنسان في التحرك إلى الخلف أو في عكس اتجاه السير، فإن المخ يرفع درجة الانتباه والحذر في كل الجسم ليرسل إشارات عصبية لكل أعضاء الحركة بأن تكون على استعداد تام لتعديل وضع الجسم بسرعة في حالة سقوطه.

ويحرق المشي أو السير إلى الوراء سعرات حرارية أكبر من المشي العادي، كما يزيد الانتباه لكل من حاستي السمع والبصر، و يقوي القلب والرئتين والمفاصل.

وعند المشي إلى الوراء تقوم عضلات المعدة بمقام عضلات الظهر في حالة المشي العادي، مما يساعدها على أن تصبح أقوى وأصح.

وأثناء المشي إلى الوراء لا يثني الشخص ركبته كثيرا مثل ما يحدث عند مشيه إلى الأمام، وبذلك تكون قوة الشد الواقعة على عضلات الساق الأمامية والخلفية أقوى ويصبح التمرين أكثر فائدة. وتعد هذه الرياضة بمثابة تعليم المخ شيئا جديدا خلاف ما تعود عليه، كركوب الدراجة لأول مرة، فتحفز المخ على عمل حسابات جديدة وتوقعات وتخيلات لم يدركها من قبل، فيصبح المخ في أنشط حالته. لذلك ينصح خبراء اللياقة البدنية الشخص الذي يعاني من الخمول أو فقد القدرة على التركيز أن يجرب المشي إلى الخلف في مكان مفتوح لمدة خمس دقائق، وسيكتشف أنه استعاد تركيزه ونشاطه، فقد قام بتمرين لعضلات مخه وجسمه.

كما ذكر الخبراء أن مجهود 100 خطوة إلى الخلف يعادل مجهود 1000 خطوة إلى الأمام.

فقد أثبتت الدراسات أن المشي إلى الخلف يعمل على حرق الدهون بمقدار ضعف ما يحرقه المشي إلى الأمام، كما أنّ الركض نحو الخلف يضاعف كميّة حرق السعرات الحرارية مقارنة بالركض نحو الأمام. ووفقا لإحدى الدراسات التي تم إجراؤها على مجموعتين من العدّاءات، تبيّن أنّ مجموعة العداءات اللواتي ركضن نحو الخلف لمدّة تتراوح بين 15 و45 دقيقة، ثلاث مرّات أسبوعيا على مدار شهر ونصف الشهر، تمكنّ من خسارة 2.5 في المئة من وزنهنّ، مقارنة بمجموعة السيّدات اللواتي التزمن بالركض نحو الأمام.

ويرى الخبراء أن التغيير في الاتجاه لا يتطلب المزيد من الانتباه فحسب، بل قد يجلب أيضا فوائد صحية إضافية.

ولا يجب أن يكون النشاط البدني معقدا، وفق الخبراء. وسواء كان الفرد نشطا بشكل منتظم أم لا، حتى المشي السريع لمدة عشر دقائق يوميا يمكن أن يوفر مجموعة من الفوائد الصحية، ويمكن الاعتماد على الحد الأدنى الموصى به من منظمة الصحة العالمية وهو 150 دقيقة من التمارين الهوائية في الأسبوع.

ومع ذلك، فإن المشي أكثر تعقيدا مما يدركه الكثير من الأشخاص. ويتطلب البقاء في وضع مستقيم التنسيق بين الأنظمة المرئية والدهليزية (الأحاسيس المرتبطة بحركات مثل الالتواء أو الدوران أو التحرك بسرعة) ونظام التحسس العميق (الوعي بمكان وجود أجسامنا في الفضاء).

وعندما يسير الأشخاص إلى الوراء، يستغرق الأمر وقتا أطول حتى تتمكن أدمغتهم من معالجة المتطلبات الإضافية لتنسيق هذه الأنظمة. ومع ذلك، فإن هذا المستوى المتزايد من التحدي يجلب معه فوائد صحية متزايدة.

عدم ممارسة الرياضة بشكل كاف يزيد من خطر الإصابة بجلطات الدم

لندن - يؤكد خبراء اللياقة البدنية أن هناك عددا من العوامل التي يمكن أن تزيد من احتمال الإصابة بجلطات الدم. وأحد هذه العوامل هو عدم ممارسة الرياضة بشكل كاف.

وتوصف الجلطات الدموية بأنها كتل صغيرة من الدم تشبه الهلام. وعلى الرغم من أن القدرة على تكوين الجلطات ضرورية لأنها توقف النزيف المفرط، إلا أنها يمكن أن تصبح مشكلة.

وإذا لم تذب الجلطات بشكل طبيعي فقد تكون خطيرة. وهذا لأنه يمكنها الانتقال إلى الأعضاء الحيوية في الجسم، ما يتسبب في حالات طوارئ طبية قاتلة.

الرياضة تحمي من تجلط الدم

ومن الأمثلة على ذلك الانسداد الرئوي، عندما تنتقل الجلطة إلى الرئتين، والسكتات الدماغية الإقفارية، عندما تمنع الجلطة توصيل الدم والأكسجين إلى الدماغ.

وأوصت هايلين ريان كوزر، خبيرة اللياقة البدنية ورافعة الأثقال الأولمبية، ببعض الطرائق لمنع تكون الجلطات، إذا كانت للشخص وظيفة مستقرة فيها الكثير من الجلوس.

وقالت "الحفاظ على دورة دموية جيدة طوال اليوم يمكن أن يساعد على تقليل خطر تشكل الجلطات أيضا. ونظرا لأن معظم الأشخاص يقضون معظم ساعات يومهم في المكتب، فمن المهم القيام بتمارين سريعة مثل الدوران بالكاحل (برمه)، وتوجيه القدم وثنيها، ورفع الركبة إلى الصدر، والدوران بالكتفين. والمشي لمدة 5 إلى 10 دقائق كل ساعتين من شأنه أن يساعد على استمرار الدورة الدموية.

وفي نطاق أكبر من التمارين، يمكن أن تساعد تمارين القلب مثل المشي وركوب الدراجات والتجديف بانتظام ثلاث إلى أربع مرات في الأسبوع على تنشيط الدورة الدموية للقلب والأوعية الدموية وصحة القلب، مما يقلل من خطر تكوين الجلطات".

> رفع الركبة إلى الصدر، والدوران بالكتفين، والمشي لمدة 5 دقائق من شأنه أن يساعد على استمرار الدورة الدموية

ووفقا لهيئة الخدمات الصحية الوطنية البريطانية، تشمل الطرق الأخرى للوقاية من مخاطر تجلط الدم شرب الكثير من الماء لتجنب الجفاف. وتخفيف الوزن إذا كنت تعاني من زيادة الوزن. وارتداء جوارب الطيران لتحسين تدفق الدم في الرحلات الطويلة. ومحاولة تناول المزيد من الوجبات المطبوخة في المنزل لتجنب استهلاك الصوديوم والسكر والدهون الزائدة.

حمية البحر المتوسط تحرق الدهون الحشوية بكفاءة عالية

تل أبيب - توصلت دراسة إلى أن الأشخاص الذين يتبعون نظام "البحر المتوسط الأخضر" يحرقون نوعا خطيرا من دهون الجسم بمعدل أربعة أضعاف معدل معظم الأشخاص الذين يتبعون نظاما غذائيا عاديا.

وشهد أولئك الذين تناولوا النظام الغذائي النباتي لمدة 18 شهرا انخفاضا في مستويات الدهون الحشوية لديهم بنسبة 14 في المئة، مقارنة بـ4.5 في المئة فقط في مجموعة التحكم التي تناولت نظاما غذائيا صحيا قياسيا ما يعني أن النظام الغذائي النباتي فعال في القضاء على الدهون .

وتلتف الدهون الحشوية حول الأعضاء الحيوية وداخل البطن، وهذا النوع هو الأخطر لأنه يُعتقد أنه يطلق مواد كيميائية وهرمونات في الدم تؤدي إلى حدوث الالتهابات المرتبطة بالأمراض المزمنة، مثل أمراض القلب وأمراض الكبد الدهنية. وأصبح نظام البحر المتوسط الغذائي، الغني بالدهون والبروتينات ولكنه منخفض الكربوهيدرات، شائعا للغاية في السنوات الأخيرة مع ثروة من الدراسات التي تروّج لفوائده في إطالة العمر، وتقليل الضعف ودرء السرطان.

ولا تزال حمية البحر المتوسط "الخضراء" تحتوي على الكثير من الفاصوليا والبقوليات والحبوب الكاملة والخضراوات الورقية وزيت الزيتون والمكسرات والأسماك، ولكنها تركز أكثر على الخضار. ويعتقد الباحثون أن مادة البوليفينول، وهي مركبات نباتية تحمي أنسجة الجسم من الإجهاد، تساعد في حرق الدهون، وهو ما لوحظ في دراسات سابقة.

وقالت الدكتورة هيلا زليشا، خبيرة السمنة في جامعة بن غوريون في إسرائيل، والتي شاركت في الدراسة، "إن خفض الدهون الحشوية بنسبة 14 في المئة هو إنجاز كبير لإجراء تغييرات بسيطة على نظامك الغذائي ونمط حياتك".

ويعتبر العديد من الخبراء أن الدهون الحشوية هي الهدف الحقيقي لفقدان الوزن، ومؤشر أفضل لصحة الشخص من حجم الخصر.

وتتراكم الدهون الحشوية مع مرور الوقت بين الأعضاء، وتنتج هرمونات وسموما تسبب أمراض القلب والسكري والخرف والوفاة المبكرة.

ونظرت الدراسة، التي نُشرت في مجلة "بي.أم.سي ميدسين" إلى 294 بالغا كانوا يبلغون من العمر 50 عاما في المتوسط، وكان مؤشر كتلة الجسم لديهم 31، ما يضعهم في فئة السمنة.

وأثناء الدراسة، تلقت كل مجموعة دروسا في التغذية لمدة 90 دقيقة كل أسبوع للشهر الأول، ثم مرة واحدة في الشهر للأشهر الخمسة التالية، ثم تم إعطاؤهم الدروس كل شهرين حتى نهاية الدراسة.

وطُلب من الجميع القيام بتمارين هوائية ومقاومة ثلاث إلى أربع مرات في الأسبوع لمدة 45 إلى 60 دقيقة. وتم إجراء التصوير بالرنين المغناطيسي في بداية ونهاية التجربة لقياس الدهون الحشوية. كما أخذت قياسات وزن الجسم ومحيط الخصر للمشاركين.

وانخفضت هذه التدابير في كلتا المجموعتين خلال الدراسة، على الرغم من عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التخفيضات.

وفي مجموعة النظام الغذائي "الأخضر"، فقد المشاركون 3.9 في المئة من وزن أجسامهم و5.7 في المئة من محيط الخصر في المتوسط.

وخسر أولئك الذين يتبعون حمية البحر المتوسط القياسية 2.7 في المئة و4.7 في المئة على التوالي.

وخسر أولئك الذين يتبعون نظاما غذائيا صحيا 0.4 في المئة و3.6 في المئة.

وكان اختلاف الدهون الحشوية ملحوظا، وقالت البروفيسورة إيريس شاي، أخصائية التغذية التي قادت البحث، "تعلمنا من نتائج تجربتنا أن جودة الطعام لا تقل أهمية عن عدد السعرات الحرارية المستهلكة. الهدف هو فهم آليات العناصر الغذائية المختلفة".

ويعرّف خبراء "مايو كلينيك" النظام الغذائي المتوسطي على أنه برنامج غذائي صحي يركز على الأطعمة النباتية ويجمع بين النكهات التقليدية وطرق الطبخ الشائعة في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

> الدهون الحشوية تلتف حول الأعضاء الحيوية وداخل البطن، وتطلق مواد كيميائية في الدم تؤدي إلى حدوث التهابات

وبدأ الاهتمام بالنظام الغذائي في الخمسينات من القرن العشرين عندما لوحظ أن مرض القلب غير منتشر في الدول المطلة على البحر المتوسط مقارنة بما كان سائدًا حينذاك في الولايات المتحدة، كما أكدت عدة دراسات أن النظام الغذائي المتوسطي يساعد في الوقاية من الإصابة بمرض القلب والسكتة الدماغية.

والنظام الغذائي المتوسطي هو طريقة للأكل تستند إلى الطعام التقليدي لليونان وإيطاليا والبلاد الأخرى التي يَحدُّها البحر الأبيض المتوسّط.

كما تمثل الأطعمة النباتية مثل الحبوب الكاملة والخضروات والبقوليات والفواكه والمكسرات والبذور والأعشاب والتوابل أساسًا للحمية الغذائية. كما تتم إضافة السمك والمأكولات البحرية والحليب ومشتقاته والدواجن بدرجة معتدلة. في المقابل، تؤكل اللحوم الحمراء والحلويات في بعض الأحيان فقط.

وزيت الزيتون هو المصدر الرئيسي للدهون المضافة في النظام الغذائي المتوسطي. ويوفر زيت الزيتون دهونًا غير مشبعة أحادية، والتي تعمل على تخفيض مستويات الكوليسترول الكلي والبروتين الدهني منخفض الكثافة (أو الكوليسترول الضار). وتحتوي المكسرات والبذور أيضًا على الدهون غير المشبعة الأحادية.

والأسماك الدهنية، مثل سمك الماكريل والسلمون المرقَّط الذي يعيش في البحيرات والرنجة والسردين وتونة الألباكور والسلمون، هي مصادر غنية بأحماض أوميغا 3 الدهنية. وتساعد هذه الدهون المتعددة غير المشبعة في الحد من التهابات الجسم.

وتُساعد أحماض أوميغا 3 الدهنية أيضًا على تقليل الدهون الثلاثية وتقليل تجلط الدم وتقلل خطر الإصابة بالسكتة الدماغية وفشل القلب.

النظام الغذائي للبحر المتوسط أصبح شائعا

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

المثلية أخطر من وصمة في كردستان العراق

مضايقة مجتمع الميم تمتد إلى أي شخص يجرؤ على إظهار نوع من الدعم

عار مضاف إليه تهديد دائم

لا يوجد في إقليم كردستان العراقي وعي أو تفهم لطبيعة المثلية ومجتمع الميم، إذ يواجه أفراده وصمة عار مضاف إليها تهديد دائم بالاختطاف والقتل وشتى أنواع الانتهاكات الوحشية، مع إفلات تام من العقاب.

السليمانية (العراق) - يجلس أشخاص معظمهم في العشرينات من العمر على شرفة في ظل بستان جميل من الأشجار بملابس سوداء، مع أقراط في أجزاء من وجوههم، ووشوم، وبعض الصبغات الأرجوانية في شعرهم.

قد يبدو مقهى عصريا في برلين أو باريس أو أي عاصمة أوروبية أخرى، لكن صوت أذان المغرب يذكرنا بأننا في السليمانية، وهي المدينة الثانية بعد أربيل في منطقة الحكم الذاتي الكردية في العراق.

لا يمكننا الكشف عن الإحداثيات الدقيقة للمقهى، ولا اسم الشخص الذي أحضرنا إلى هنا. كانت ترتدي سروالا قصيرا أبيض وقميصا قصيرا وتضع سوارا بألوان قوس قزح على معصمها الأيسر. طلبت أن نسميها كوين، وهي امرأة عابرة جنسيا.

وتعترف لنا هذه الكردية البالغة من العمر 33 عاما بأنها كانت "رجلا مملا" خلال السنوات الخمس والعشرين الأولى من حياتها، وهي الأصغر بين خمسة من إخوتها من عائلة كردية في ديالى في شرق البلاد.

وقالت وهي ترتدي فستانا "تعلمت كبح احتياجاتي. ومع ذلك، فقد ارتديت ملابس والدتي لأول مرة ووضعت المكياج عندما كنت في الخامسة من عمري. أشعر بأنني الشخص الذي أنا عليه والشخص الذي كنت عليه دائما".

رشا يونس:
يعيش أفراد مجتمع الميم تحت التهديد المستمر بالتعرض للاعتقال والقتل على أيدي الشرطة العراقية

لكن لتلك الحرية التي تتمتع بها في العزلة ثمنها. كيف تنسى ضرب شقيقها الأكبر لها عندما اكتشف ميولاتها وهي في سن السادسة، والإذلال والتنمر الذي تعرضت له في المدرسة. كما كادت أن تموت عندما كانت في الرابعة والعشرين من عمرها. حيث اتصل بها شخص ما عبر الإنترنت وطلب مقابلتها في ضواحي المدينة. لكنهم كانوا خمسة أفراد ينتظرون ضربها. كانت كوين منهكة من الضرب ومغطاة بالوحل والدم، وحشدت قوتها للسير إلى مكتب قاض محلي. وأخبرها "لديك خياران: إما تقديم شكوى وتلطيخ اسم عائلتك إلى الأبد، أوالتوقف عن فعل ما تفعلينه". فلم تستطع أن تقول ما مرت به أو لماذا. ولا يعلم أحد في ديالي أن كوين امرأة حتى اليوم.

وعملت رغم كل الصعاب لعدة سنوات مع منظمة غير حكومية أجنبية تركز على حماية الفئات الضعيفة. وتعمل، من بين المشاريع الأخرى، على وضع قائمة بالكلمات الكردية للحديث عن مجتمع الميم بعبارات ليست مسيئة.

على سبيل المثال، تبقى عبارة هوراغازخواز (مصطلح يعني حرفيا "شخص ينجذب إلى أفراد من جنسه") حتى الآن النموذج الشامل الوحيد للإشارة إلى "مثليي الجنس". وتشمل المصطلحات الشائعة إشارات إلى "الاعتداء الجنسي على الأطفال"، أو "الاغتصاب".

لم تقرر كوين بعد إجراء عملية جراحية أو تناول هرمونات، ولم يكن لديها الكثير من الوقت أيضا. وقالت إن العمل في المنظمة غير الحكومية والبحث عن مكان في المجتمع لأعضاء مجتمع الميم يستهلكان معظم وقتها. وتابعت "إذا كانت لدي مهمة في الحياة، فهذه هي".

وضُربت امرأة متحولة جنسيا وحُرقت حية قبل أن تُلقى في سلة مهملات. وعذّب مهاجمون رجلا مثلي الجنس ثم قتلوه بينما أجبروا شريكه على المشاهدة. وطُعنت امرأة مثلية حتى الموت بينما طُلب منها وقف "سلوكها غير الأخلاقي".

سلوك غير أخلاقي

ليست هذه سوى ثلاثة حوادث من بين حالات عديدة وردت في تقرير صدر في مارس 2022 عن منظمة "هيومن رايتس ووتش" حول مجتمع الميم في العراق. وتحدّث التقرير عن خطف الجماعات المسلحة للأشخاص المثليين واغتصابهم وتعذيبهم وقتلهم. وذكر أن قوات أمن الدولة كانت تقف سابقا وراء هذه الجرائم في الكثير من الأحيان.

وكتبت الباحثة في "هيومن رايتس ووتش" رشا يونس في التقرير "يعيش أفراد هذا المجتمع تحت التهديد المستمر بالتعرض للاعتقال والقتل على أيدي الشرطة العراقية، وفي ظل إفلات كامل من العقاب".

لا تزال صور المثليين الذين دفعهم تنظيم "الدولة الإسلامية" من فوق أسطح المنازل حاضرة في أذهان الجميع، مع الصور التي نشرتها دوسكي آزاد، وهي امرأة كردية متحولة، على إنستغرام قبل العثور على جثتها في حفرة في فبراير الماضي. وقد قُتلت على يد شقيقها.

وقالت فارين، وهي ناشطة مثلية الجـ+نس تبلغ من العمر 23 عاما، لوكالة إنتر بريس سيرفس من الشرفة في السليمانية "أعرف الكثير من الأشخاص الذين لا يخرجون إلى الشوارع أبدا". واكتشفت بفضل الإنترنت أشخاصا مثلها لا يشعرون بالارتباط بأي تعبير جنساني واحد.

وتعمل الناشطة في حوض سباحة، لكن دراساتها في الكيمياء أتاحت لها فرصة عمل في قطر لا تريد أن تفوتها. وقالت ضاحكة "حضرت لمقابلة العمل مرتدية زي امرأة محتشم وبأكمام طويلة حتى لا يظهر الوشم". وتشير فارين إلى حوالي 30 عضوا داخل مجتمع المثليين في السليمانية يجتمعون في مقاهي مثل الذي زرناه. وتعمل الشبكات الاجتماعية أيضا على تسهيل التعرف على بعضهم البعض.

هل ينظمون الاحتجاجات؟ لا، فهذا خطير جدا. في الواقع، تعرضت اللوحة الجدارية التي اختارتها لالتقاط صورتها معنا للتخريب (وستدمّر بالكامل بعد بضعة أيام). وعلى الرغم من التهديدات، أصبحت هذه المدينة الكردية أكثر الأماكن أمانا في البلاد لأفراد مجتمع الميم. ويسعى العديد من المثليين من جنوب البلاد إلى اللجوء إلى مدن مثل أربيل، العاصمة الكردية في العراق.

لا يمكن مقارنة الوضع بأي حال من الأحوال، لكن فارين تؤكد أن أربيل لا تزال مدينة محافظة للغاية، "واحدة من تلك التي لا يزال الوقت فيها ثابتا خلال شهر رمضان ولا يمكنك أن تتخلى عن حذرك أبدا".

الميول الانتحارية

في أبريل 2021، قُبض على العديد من الشباب في السليمانية "لكونهم مثليين ولسلوكهم غير الأخلاقي". هكذا وصفهم قائد العملية للصحافة. ومع ذلك، يبدو أن المضايقة تمتد إلى أي شخص قد يجرؤ على إظهار أي نوع من الدعم.

هذه هي حالة منظمة "راسان" غير الحكومية المحلية التي تُجبر باستمرار على المثول أمام العدالة بسبب "الترويج لمجتمع الميم". ولا تزال تنتظر المحاكمة بعد الدعوى القضائية الأخيرة التي رفعها عضو في البرلمان الكردي.

وأكدت مديرة منظمة "راسان"، تانيا كمال درويش، من مكتبها في السليمانية لوكالة إنتر بريس أن مهمتها ليست الترويج لمجتمع الميم ولكن "رفع مستوى الوعي في المجتمع حول هذا الموضوع". لكنها أضافت أن الأمر الأكثر إثارة للقلق هو أن اعتقالات أعضاء الجماعة لا تزال شائعة في المنطقة الكردية بالعراق.

وتابعت "بدلا من القبول بوجود هؤلاء الأشخاص، فإنهم يصرون على تجريمهم. وهم متهمون بالدعارة وتهريب المخدرات أو أي شيء آخر لأخذهم من الشوارع. تتحد كل العشائر والأحزاب والقادة، دينيا وسياسيا، في عداوتها للجماعة المساندة لمجتمع الميم. وغالبا ما تتمسك بالقضايا الدينية لتبرير العنف، أو تسيّس الأمر".

ويتحول عجز هؤلاء الأفراد عن الدفاع عن أنفسهم وعدم ملاقاتهم القبول إلى حالات من الاكتئاب والقلق والإجهاد اللاحق للصدمة وحتى الميول الانتحارية.

هذا هو التشخيص الذي نقلته أخصائية نفسية متخصصة في الصدمات إلى خدمة إنتر بريس وفضلت عدم إعطاء اسمها الحقيقي للمقابلة. وتعمل مع ضحايا العنف الجنسي والتعذيب في الشرق الأوسط منذ أكثر من عقد وتريد تجنب الكشف بأي ثمن. وتسلط بهذا الضوء أيضا على خطر "الاستبعاد من سوق العمل أو الأسرة في منطقة تكون فيها العائلة أساسية".

وأتيحت الفرصة للمتخصصة لمقابلة فارين وكوين شخصيا بعد عدة رحلات إلى المنطقة. وقالت "هما توفران الأمل للمجتمع ومساحة لطرح الأسئلة. وتظهران بالفعل شجاعة كبيرة من خلال التعبير عن هويتيهما".

وفي الرابع من سبتمبر الماضي، قدم أعضاء في حكومة إقليم كردستان العراق إلى البرلمان مشروع قانون من شأنه إذا اعتُمد أن يعاقب أي فرد أو مجموعة تدافع عن حقوق المثليين، ومتغيّري النوع الاجتماعي (مجتمع الميم).

وتفيد التقارير بأن مشروع القانون يكتسب زخما بين أعضاء البرلمان.

وطبقا لـ"قانون حظر الدعوة إلى المثلية الجنسية"، سيواجه أي شخص يدافع عن حقوق مجتمع الميم أو "يدعو إلى المثلية الجنسية" عقوبة بالسجن تصل إلى عام، وغرامة قد تبلغ خمسة ملايين دينار (3430 دولارا أميركيا). كما سيعلّق مشروع القانون، لمدة تصل إلى شهر، تراخيص شركات الإعلام ومنظمات المجتمع المدني التي "تدعو إلى المثلية الجنسية".

مشروع تجريم المثلية

ولفتت رشا يونس إلى أن القانون حال إقراره، سيعرّض حرية التعبير في إقليم كردستان العراق للخطر وسيقضي على النقاش العام حول الجندر والجنسانية.

ويأتي مشروع القانون المقترح وسط حملة قمع مكثفة على حرية التجمع والتعبير في إقليم كردستان العراق، حيث اعتقلت قوات الأمن خلال الشهر الماضي عشرات الصحافيين والنشطاء والسياسيين قبل احتجاجات مخطط لها بسبب تفشي الفساد والفقر والبطالة.

> **قانون حظر الدعوة إلى المثلية الجنسية حال إقراره، سيقضي على النقاش العام حول الجندر والجنسانية**

وسيجعل القانون الجديد الوضع السيء لمجتمع الميم في العراق أكثر سوءا، حيث يمكن اعتقالهم بالفعل بموجب مجموعة من أحكام "قانون العقوبات" الفضفاضة الهادفة إلى الضبط السلوكي على الأخلاق والحد من حرية التعبير.

هذا بالإضافة إلى دفع المجتمع إلى الانتقام من مجتمع الميم بمسوغات جديدة رغم وجود حالات قتل فظيعة، ففي عام 2018 قتل شاب من مواليد 2003، يدعى حمودي المطيري، فقط لشكوك حول ميوله الجنسية، إذ تم شق بطنه واستخراج أحشائه، وتصوير مقطع فيديو له وهو يموت تدريجيا، فيما يسخر قتلته – الذين لم يلق القبض عليهم حتى اللحظة – منه أثناء تصويره بقولهم له "أين حبيبك ونحن نخرج أحشاءك؟"، فيما كان هو يستنجد بهم، ويطالب برؤية أمه قبل وفاته.

كما تعرض طفل، لم يتعدّ عشر سنوات، للضرب المبرح والتعذيب والحبس، بحجة أنه "مثلي الجنس".

ولا ينسى العراقيون مقتل الممثل المسرحي وطالب الفنون الجميلة كرار نوشي، البالغ من العمر 27 عامًا، وذلك بعدما عثرت السلطات العراقية على جثته غارقة في الدماء، وملقاة في إحدى الساحات في شارع فلسطين، شرق العاصمة بغداد بعد تعذيب وحشي. نوشي كان محبا للحياة والألوان، يرتدي الثياب الملونة والساطعة، قميصا أصفر فاقع وبنطالا أخضر، وشعر أشقر ذهبي، لكن مظهره الخارجي الطبيعي هذا، كان سببا في مقتله، إذ تعرض على مواقع التواصل الاجتماعي للكثير من الضغوطات والتهديدات بسبب ثيابه ولون شعره، إذ اتهموه بـ"المثلية" و"الشذوذ"، ووجهوا له عبارات على وزن "شاذ، فاجر، كافر، زاني".

وأصدر مكتب زعيم التيار الصدري في العراق مقتدى الصدر توجيها بإجراء حملة جمع تواقيع مليونية لمناهضة مجتمع الميم.

وجاء في البيان الذي صدر باللغتين الإنجليزية والعربية، والذي يهدف إلى جمع تواقيع لمناهضة المثلية الجنسية "أنذر نفسي من أجل مناهضة الشذوذ الجنسي بالطرق الأخلاقية والسياسية والدينية ومناهضة المخالفات الفطرية التي جبلت عليها البشرية وأتعهد بعدم استعمال العنف بشتى أنواعه ضدهم...".

وضع سيء يزداد سوءا

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

انحدار رهيب يعمق خيبات الكرة الألمانية

وداع المونديال يفتح الباب أمام تغييرات شاملة

الجيل الذهبي لألمانيا يفقد هويته وسمعته

كشفت ردود الأفعال بشأن خروج المنتخب الألماني من مونديال قطر 2022 منذ الدّور الأول، للمرة الثانية على التوالي بعد روسيا 2018، تراجعا مخيفا في شعبية هذا المنتخب بشمال أفريقيا والشرق الأوسط. وحسب العديد من النقاد لم يستحق المنتخب الألماني العبور إلى الدور الثاني في المونديال الحالي؛ فالفريق لم يكن مستقرا في المباريات الثلاث التي خاضها ضمن الدور الأول للبطولة، وافتقد إلى الكفاءة الضرورية في الهجوم. فهل ستساهم كأس أمم أوروبا (يورو 2024) في إعادة بناء الفريق؟

الخور (قطر) - عاش منتخب ألمانيا لكرة القدم خيبة تلو أخرى في السنوات الأربع الأخيرة، ما يشير إلى تراجع مخيف تأكّد بشكل واضح في مونديال قطر 2022. فقد مني "دي مانشافت" بخسارة مفاجئة في مستهل مشواره في النسخة الحالية أمام نظيره الياباني 1 – 2، ثم قدّم أداء جيدا لينتزع التعادل من إسبانيا 1 – 1، قبل أن يحقق فوزا دون فائدة على كوستاريكا الضعيفة 4 – 2 ويخرج من الباب الضيق للمرة الثانية تواليا.

وعنونت صحيفة "بيلد" الألمانية واسعة الانتشار على موقعها الإلكتروني "نحن خارج المنافسة، الأمر محرج للغاية". وأضافت "إنها البطولة الثالثة تواليا التي لا نحقق فيها أي شيء. كان عالم كرة القدم يرتجف أمامنا. كان يُشهد لنا بأننا فريق بطولات. أما الآن فقد أصبحت ألمانيا قزمة في عالم كرة القدم".

دخلت ألمانيا نسخة مونديال 2018 وهي مرشحة للاحتفاظ بلقبها الذي أحرزته في البرازيل قبل أربع سنوات، عندما سحقت البرازيل المضيفة 7 – 1 في نصف النهائي وأرجنتين ميسي في النهائي، لاسيما أنها ضمت تسعة لاعبين من بين أبطال العالم.

> **النجمان الألمانيان المعتزلان مايكل بالاك وسامي خضيرة طالبا بإجراء تغييرات داخل الاتحاد الألماني لكرة القدم**

كما أن القرعة أوقعتها في مجموعة سهلة ومنتخبات من الصف الثاني هي المكسيك والسويد وكوريا الجنوبية، لكنها خسرت أمام المكسيك وأمام كوريا الجنوبية لتحتل المركز الأخير وتخرج من الدور الأول. لقيت حينها مصير المنتخبات حاملة اللقب وهذا ما حصل لفرنسا عام 2002، وإيطاليا عام 2010، وإسبانيا عام 2014.

خسرت ألمانيا مباراتها الأولى ضد المكسيك 0 – 1، قبل أن تنتزع فوزا في غاية الصعوبة ضد السويد 2 – 1 عندما سجل لها طوني كروس هدفا في الدقيقة الخامسة من الوقت بدل الضائع لتتنفس قليلا. لكنها انهارت تماما في المباراة الأخيرة ضد كوريا الجنوبية وسقطت أمامها 0 – 2. تلا ذلك إعلان مسعود أوزيل اعتزاله اللعب دوليا، والأكثر من ذلك تحدث عن وجود تمييز في صفوف المنتخب الألماني.

وأعلن يواكيم لوف مهندس فوز منتخب بلاده في مونديال 2014، أنه سيترك المنتخب الألماني قبل أشهر من بدء منافسات كأس أوروبا 2020 علما بأنه عمل مساعدا ليورغن كلينسمان من 2004 إلى 2006 قبل أن يخلفه. وتأجلت كأس أوروبا إلى صيف عام 2021 بسبب تداعيات فايروس كورونا. وفي خريف عام 2020 تلقت ألمانيا هزيمة تاريخية أمام إسبانيا (0 – 6) في إشبيلية ضمن دوري الأمم الأوروبية، ما استدعى المطالبة بإقالة لوف. وخلافا لمونديال 2018، وجدت ألمانيا نفسها في مجموعة صعبة في كأس أوروبا مع فرنسا التي تحصلت على لقب كأس العالم عام 2018.

وانتهت المباراة بفوز فرنسا 1 – 0. وبعد فوز صعب على البرتغال 4 – 2 والتعادل مع المجر 2 – 2 توقف مشوار "دي مانشافت" في ثمن النهائي أمام إنجلترا بالخسارة أمامها 0 – 2. وكانت المرة الأولى التي لا يبلغ فيها المنتخب الألماني ربع نهائي في بطولتين تواليا، قبل أن يتوالى سقوطه الدراماتيكي بعد 18 شهرا في قطر. جاء الجدل حول شارة "وان لاف" الرافضة للتمييز، ليعكّر صفو الأيام الأولى للمنتخب الألماني في قطر.

وكرّر قائد الفريق مانويل نوير عدة مرات رغبته في ارتداء الشارة، لكن الألمان رضخوا أخيرا في مواجهة خطر التعرض لعقوبات رياضية من قبل الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا). احتجاجا على ذلك، قام لاعبو المدرب هانزي فليك بوضع أيديهم على أفواههم متهمين فيفا بإسكاتهم.

ورفض فليك اعتبار أن القيام بهذه الخطوة ساهم في خسارة المباراة الافتتاحية أمام اليابان 1 – 2. وكانت هذه البداية الخاطئة قاتلة لألمانيا التي استعادت توازنها بعض الشيء بالتعادل مع إسبانيا 1 – 1، ثم الفوز على كوستاريكا 4 – 2. لكن لم يكن مصير "دي مانشافت" في يديها، فوجّهت إليها اليابان ضربة جديدة من خلال فوزها على إسبانيا 2 – 1 لتخرجها مبكرا من السباق بعد أربع سنوات من الفشل الذريع في روسيا.

نهاية دولة كروية

صبّت الصحف الألمانية جام غضبها على منتخبها الكروي. وكانت مجلة "كيكر" الأكثر شراسة في توجيه الانتقادات إلى المسؤولين عن الاتحاد الألماني وفي المنتخب، حيث قالت "المنتخب الألماني أصبح قزما تدريجيا، والأسوأ من ذلك عدم تطوّرنا، وكأس أوروبا المقبلة (ستستضيفها ألمانيا من 14 يونيو إلى 14 يوليو 2024) على الأبواب".

وتحدّثت عن "غرق الاتحاد الألماني بالكامل، وهو أمر لا يمكن أن يستمر. المسؤولية تطال بعض المسؤولين الكبار بدءا بالمدرب هانزي فليك مرورا بالمدير الرياضي أوليفر بيرهوف وصولا إلى رئيس الاتحاد برند نويندورف". أما صحيفة "بيلد" فقالت "إنها بلا شك نهاية دولة كروية عظمى".

وأضافت "يعتبر هذا الخروج المبكر إحدى أسوأ الأمسيات في تاريخنا. يجب ألا نبحث بعيدا عن المسؤولين عن هذا السقوط: الاتحاد، المدرب واللاعبون ولا أحد آخر. سيبقى تاريخ الأول من ديسمبر 2022 في الأذهان وسيمثل نهاية حقبة لدولة كانت كبيرة وفخورة في كرة القدم أحرزت كأس العالم 4 مرات وكأس أوروبا 3 مرات. هذا الأمر بات بعيدا". وأضافت "الواقع مرير، خروج من دور المجموعات في مونديال 2018، ومن ثمن النهائي في كأس أوروبا 2021 ثم الخروج مجددا من الدور الأول في مونديال 2022".

وتخوفت "بيلد" من الأثر المعنوي لهذا الخروج على أحد أبرز لاعبي المنتخب الألماني في السنوات الأخيرة وهو يوزوا كيميش، وقالت في هذا الصدد "بعد هذا الخروج المرير، الخوف من أن يقع يوزوا كيميش في الحفرة. لقد عاش الكثير من الصعود في مسيرته لكنه أيضا شهد بعض الهبوط الذي ترك أثرا بعد الخروج للمرة الثانية من الدور الأول وما له من تداعيات من الناحية الذهنية عليه. إنه محبط للغاية".

وكان كيميش صرح بعد خروج منتخب بلاده بقوله "إنه أسوأ يوم في حياتي. أخاف من الوقوع في حفرة. الأمر يجعلك تعتقد أن هذه الإخفاقات تتعلق بك". وتابع "انضممت إلى صفوف المنتخب عام 2016، وبالتالي فإن ارتباط اسمك بهذه الإخفاقات أمر لا تحب السماع به". وكان لسان حال موقع "فوكوس" مماثلا بقوله "لم نعد ذلك المنتخب الذي يتألق في البطولات الكبرى. لائحة أسباب تراجع كرتنا طويلة. وصار لزاما علينا من الآن فصاعدا استعمال المنظار لرؤية قمة كرة القدم الدولية، وهذا ما يؤلمنا أكثر من أي شيء آخر".

وأبدى بيرند نيوندورف، رئيس الاتحاد الألماني لكرة القدم، أسفه لإقصاء منتخب الماكينات مبكرا من بطولة كأس العالم لكرة القدم في قطر. وأوضح أن هذا الخروج "مؤلم للغاية"، داعيا إلى اجتماع مع مسؤولي الاتحاد لتحليل الموقف. وقال نيوندورف ضمن مؤتمر صحفي عقده في مطار الدوحة، أثناء مغادرة بعثة المنتخب الألماني العاصمة القطرية، "يمكنكم أن تتخيلوا أن مسار اليوم السابق يمثل خيبة أمل مريرة لنا. الخروج من البطولة يؤلم كثيرا".

وأضاف نيوندورف "رغم ذلك يتعين علينا أن نتطلع إلى المستقبل، وبالتالي سوف نشرع في إجراء منظم بشأن كيفية التعامل مع هذا الوضع". وأعلن عن لقاء مرتقب مع هانزي فليك المدير الفني لمنتخب ألمانيا، وأوليفر بيرهوف مدير الاتحاد الألماني، وهانز يواخيم فاتسكه نائب رئيس الاتحاد الألماني لكرة القدم، في الأسبوع المقبل. وأوضح نيوندورف أن الهدف من هذا اللقاء هو إجراء تحليل مبدئي للبطولة وكذلك تطوير آفاق الفترة التي تلي مونديال قطر 2022، بهدف الاستعداد لبطولة كأس الأمم الأوروبية (يورو 2024) التي ستستضيفها ألمانيا. وقال رئيس اتحاد الكرة الألماني "انطلاقا من هذا الأساس سنجري محادثات أخرى".

> **المسؤولية تطال بعض المسؤولين الكبار بدءا بالمدرب هانزي فليك، مرورا بالمدير الرياضي أوليفر بيرهوف، وصولا إلى رئيس الاتحاد**

تغييرات منتظرة

طالب النجمان الألمانيان المعتزلان مايكل بالاك وسامي خضيرة بإجراء تغييرات داخل الاتحاد الألماني لكرة القدم لمحاولة تجنب وداع مبكر آخر من البطولات الكبرى. وعقب تتويج المنتخب الألماني بلقبه الأخير في بطولة كأس العالم لكرة القدم عام 2014 بالبرازيل، ودع منتخب الماكينات المونديال من مرحلة المجموعات في النسختين الأخيرتين.

وناقش عدد من النقاد فوز اليابان المثير للجدل (2–1) على إسبانيا، في الجولة الثالثة (الأخيرة) بالمجموعة الخامسة من دور المجموعات في المونديال الخميس، والذي تسبب في الإطاحة بالمنتخب الألماني مبكرا من المسابقة، رغم فوزه 4 – 2 على كوستاريكا في الجولة ذاتها وفي التوقيت نفسه. وتحدث النقاد عن المشكلات الهيكلية داخل الاتحاد الألماني لكرة القدم. وقال بالاك في تصريحات لموقع "ماجنتا" الرياضي "يتعلق الأمر بقلب كل حجر في اتحاد الكرة الألماني".

وأضاف النجم السابق الذي قاد منتخب ألمانيا إلى الحصول على المركز الثاني في مونديال 2002 بكوريا الجنوبية واليابان " تتوجب إعادة النظر في كل منصب باتحاد الكرة الألماني، بما في ذلك منصب المدير الفني للمنتخب. لا يتعلق الأمر بهانزي فليك شخصيا، بل بكرة القدم الألمانية وتكوين منتخب يلعب كرة قدم ناجحة ويذهب بعيدا". وأشار بالاك إلى أن ألمانيا فقدت سمعتها كفريق في بطولة كأس العالم لكرة القدم. وأوضح "ينبغي علينا أولا أن نكسب الاحترام مرة أخرى. علينا تدريب اللاعبين مرة أخرى. ربما نركز على بعض الأشياء الأخرى في السنوات الأخيرة، ويتعين علينا تصحيحها".

وتكهنت وسائل الإعلام بأن منتخب ألمانيا شعر بالتشتت وفقد تركيزه قبل أن يخسر مباراته الافتتاحية في المونديال 1 – 2 أمام اليابان، بسبب خلافات مع الاتحاد الدولي لكرة القدم بشأن ارتداء شارة القيادة متعددة الألوان.

من جانبه يرى خضيرة، الذي توج مع منتخب ألمانيا بلقب كأس العالم 2014، ضرورة التركيز على تطوير أداء اللاعبين في المستقبل. وصرح لمحطة "أيه آر دي" التلفزيونية الألمانية قائلا "إنها مسألة تدريب. لدينا مقامرون. لكن كرة القدم هي أكثر قليلاً من مجرد لعب القمار. كرة القدم لعبة ذهنية أيضا".

وتوقع أوليفر بيرهوف، مدير الاتحاد الألماني لكرة القدم، بقاء فليك في منصب المدير الفني للفريق ببطولة كأس الأمم الأوروبية، في ظل حرص المدرب الألماني على الاستمرار. وعندما سُئل عما إذا كان هو نفسه قد يتنحى قال بيرهوف لاعب منتخب ألمانيا السابق "أنا أستبعد ذلك الآن. لدي شعور جيد للغاية بعملي". لكن بيرهوف أقر بأن هناك الكثير من العمل الذي ينتظرهم بعد الوداع المبكر في نسختي بطولة كأس العالم 2018 و2022 وكذلك "يورو 2020" في صيف العام الماضي. وقال "لسوء الحظ، ليس لدي أي مبررات للظهور بشكل سيء في ثلاث بطولات كبرى".

شعور بالمرارة

وصف جوشوا كيميش، لاعب المنتخب الألماني لكرة القدم، خروج بلاده الموجع من منافسات بطولة كأس العالم لكرة القدم، المقامة حاليا في قطر، بأنه أسوأ لحظة في مشواره الكروي. وصرح لاعب الوسط الألماني للصحافيين "بالنسبة إلي شخصيا هذا هو أسوأ يوم في مسيرتي الكروية". وأضاف كيميش "إنه بالتأكيد أصعب يوم في مشواري. إنها المرة الثانية التي أشارك خلالها في وداع ألمانيا المونديال من الدور الأول، وكان بينهما الإقصاء المبكر من كأس الأمم الأوروبية أيضا". وأكد كيميش ""إنه شيء مرير. هناك العديد من الفرص الضائعة خلال السنوات الأربع الماضية".

من جانبه انتقد إيلكاي غوندوغان، لاعب وسط منتخب ألمانيا، أداء زملائه في الفريق، حيث طالبهم بالتفكير في عيوبهم. وقال "نستقبل الأهداف بسهولة شديدة ونخسر الكرات بسهولة كبيرة ونهدر فرص التهديف بسهولة بالغة". وأضاف غوندوغان "بطبيعة الحال، فإننا كلاعبين في منتخب ألمانيا يتعين أن تتكون لدينا تطلعات مختلفة، لذلك ينبغي علينا أن نلقي نظرة فاحصة على أنفسنا". وشدد لاعب الوسط "لم نبذل قصارى جهدنا كمجموعة، أو ربما بشكل فردي. يجب علينا أن نتساءل عن الأسباب وينبغي على الجميع أن ينظروا في المرآة ويقولوا لأنفسهم إن ذلك لم يكن كافيا".

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

أفريقيا تستعيد هيبتها.. المغرب والسنغال في الواجهة

ممثلا العرب وأفريقيا يطمحان إلى الذهاب بعيدا في مونديال قطر

حين يتعلق الأمر ببطولة العالم لكرة القدم تترسخ قاعدة مثالية لدى جل المنتخبات المشاركة ألا وهي الذهاب إلى أبعد الحدود في هذه المسابقة العالمية. وحين تنحصر المعادلة في تقييم الأداء وحظوظ أي من هذه المنتخبات في معانقة اللقب، فإن ذلك يبقى في دائرة الضوء تلك الأكثر حضورا وانسجاما وهو ما يتجسد لدى منتخبي المغرب والسنغال ممثلا العرب وأفريقيا المتبقين في قطر.

حققنا المهم.. مازال الأهم

الدوحة - قبل أربع سنوات بقيت قارة أفريقيا من دون ممثل لها في دور الـ16 لكأس العالم للمرة الأولى منذ إدخال هذا الدور في عام 1986، لكنّ ردة الفعل كانت لافتة في مونديال قطر هذه المرة.

وشهد مونديال 2022 وصول فريقين من القارة السمراء إلى الأدوار الإقصائية للمرة الثانية فقط بعد الجزائر ونيجيريا في عام 2014.

كما حطمت الدول الأفريقية رقما قياسيا بحصولها على 24 نقطة في دور المجموعات، محطمة أفضل ما حققته سابقا وهو 15 نقطة في عام 1998.

وتغلب المغرب على بلجيكا ثانية التصنيف الدولي وكندا في طريقه إلى صدارة المجموعة السادسة بمفاجأة مدوية، بينما عوّضت السنغال هزيمتها الافتتاحية أمام هولندا وحققت انتصارين صريحين على قطر والإكوادور.

كذلك خسرت البرازيل بطلة العالم خمس مرات أمام منتخب أفريقي للمرة الأولى وذلك على يد الكاميرون 0 – 1 رغم هامشية النتيجة وخروج الكاميرونيين من الدور الأول.

> المغرب سيكون أمام اختبار صعب بمواجهة إسبانيا في أول ظهور لأسود الأطلس في الأدوار الإقصائية منذ 36 عاما

وبالنسبة إلى المغرب، فسيكون أمام اختبار صعب بمواجهة إسبانيا الثلاثاء المقبل في أول ظهور لأسود الأطلس في الأدوار الإقصائية منذ 36 عاما.

وسيحضر المغاربة بالآلاف مرة أخرى لتشجيع الدولة العربية الوحيدة المستمرة في كأس العالم بعد خروج السعودية وتونس وقطر المضيفة.

وقال مدرب المنتخب المغربي وليد الركراكي "نأمل أن نرفع راية كرة القدم الأفريقية عاليا". وتابع "كثيرا ما يتم وصفنا بأننا دون المستوى، وأننا لسنا في مستوى الآخرين".

وأضاف "لكنني أعتقد أننا في كأس العالم أظهرنا أنه يمكننا منح أيّ فريق آخر اختبارا حقيقيا، سواء كانت منتخبات أوروبية أو من أميركا الجنوبية".

وأردف "آمل أن يعني هذا في المستقبل أننا سنرى المزيد من المنتخبات الأفريقية تؤدي أداء جيدا في كأس العالم ولِمَ لا أن يكون البطل أفريقيا؟".

وستقام كأس العالم 2026 في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك وستشهد مشاركة عدد أكبر من الدول الأفريقية أكثر من أي وقت مضى، حيث من المقرر أن يرتفع عدد المنتخبات المشاركة في النسخة المقبلة من 32 إلى 48.

وإذا لم يحدث ذلك هذا العام، ستتوقع أفريقيا وصول أول منتخب منها إلى نصف نهائي لكأس العالم عاجلا وليس آجلا.

وكانت السنغال هي الأقرب لتجاوز دور المجموعات في روسيا في 2018، لكنها أقصيت بسبب امتلاكها عدد بطاقات صفراء أكثر من اليابان بعد تعادلهما بالنقاط والأهداف. لكنهم أزالوا تلك الذكريات عندما قادهم خاليدو كوليبالي للفوز على الإكوادور، بعدما استلهموا من فوز المغرب على بلجيكا بحسب مدربهم أليو سيسيه.

وقال سيسيه "رأينا ما فعله المغرب. حقق فوزا جميلا على بلجيكا"، مضيفا "نعم، يمكن أن يكون مصدر إلهام لنا". وحتى أنّ الفرق الأفريقية التي خرجت من دور المجموعات، تركت بصمتها على البطولة.

وحققت تونس فوزا تاريخيا على فرنسا حاملة اللقب 1 – 0، فيما أنهت الكاميرون سلسلة من ثماني هزائم متتالية في المونديال بتعادلها مع صربيا 3 – 3 في الجولة الثانية، قبل أن تحقق فوزها التاريخي على البرازيل 1 – 0.

ومعلوم أنّ العديد من اللاعبين الأفارقة أمسوا يلعبون دورا رياديا في الأندية الأوروبية الكبرى. حتى مع غياب محمد صلاح وساديو مانيه عن نهائيات كأس العالم، فإن مكاسب ما حققته الكرة الأفريقية واضحة للعيان.

وفازت المنتخبات الأوروبية في كل من النسخ الأربع الماضية لكأس العالم ولم يصل أيّ فريق من خارج أوروبا أو أميركا الجنوبية إلى النهائي.

وشرح الركراكي "عليك أن تكون قويا في مباراتك الأولى ضد فريق أوروبي لأن الفرق الأوروبية هي عقدتنا عندما يتعلق الأمر بهذه الأحداث".

وتابع "لدينا لاعبون يلعبون لأندية أوروبية.. نحتاج إلى أن نأخذ عقلية أوروبا ونجعلها عقليتنا". كان أقرب فريق أفريقي للوصول إلى نصف النهائي هو غانا في عام 2010، عندما أدت لمسة يد مقصودة من لويس سواريس وركلة جزاء أضاعها أساماواه جيان إلى خروج الغانيين بشكل مأسوي بركلات الترجيح من ربع نهائي مونديال جنوب أفريقيا.

ولم يستطع الغانيون الانتقام من تلك الخسارة المؤلمة الجمعة الماضية، حيث أهدر أندريه أيو ركلة جزاء وكأنّ التاريخ يعيد نفسه، لتتمكن أوروغواي بعدها من خطف الفوز 2 – 0.

لكن غانا كانت على الأقل سعيدة بإقصاء أوروغواي وتأهل كوريا الجنوبية على حسابها بعد فوز الأخيرة على البرتغال 2 – 1 في مفاجأة أخرى.

وقال لاعب الوسط دانيال أمارتي "بالنسبة إليّ، نعم (كان من الجيد إخراج أوروغواي)".

وكانت أوروغواي في حاجة إلى هدف إضافي لتتأهل.

ولا يزال أمام الكرة الأفريقية طريق طويلة لتجتازها، ولكن للمرة الثانية، يوجد في أفريقيا دولتان متفائلتان بالتقدم أكثر في مونديال قطر 2022 ولمَ لا تحقيق نتيجة تاريخية وغير مسبوقة!

هوغو لوريس فخور بمعادلة رقم تورام

الدوحة - أعرب حارس وقائد المنتخب الفرنسي هوغو لوريس السبت عن فخره بمعادلة رقم المدافع السابق ليليان تورام كأكثر لاعب مشاركة مع "الديوك"، وذلك حين يخوض اليوم الأحد مباراته الدولية الـ142 في مواجهة بولندا ضمن ثمن نهائي مونديال قطر.

ورأى لوريس أنه "إنجاز صغير. أنا حقا فخور بهذه الأرقام حتى وإن كانت ثانوية جدا مقارنة مع واقع أننا عشية خوض الدور ثمن النهائي من كأس العالم".

وسيعادل لوريس الأحد رقم تورام الذي خاض 142 مباراة دولية على مدى 14 عاما توجها بإحراز مونديال 1998 على الأراضي الفرنسية.

وبدأ حارس توتنهام الإنجليزي الذي يحتفل في وقت لاحق من الشهر الحالي بميلاده السادس والثلاثين، مشواره مع "الديوك" في نوفمبر 2008، بعد أشهر معدودة على قرار تورام باعتزال اللعب مع المنتخب الوطني.

وفي إطار تقليله من أهمية الوصول إلى رقم تورام، قال لوريس "برأيي، هذه البطولة تأتي قبل أيّ شيء آخر. أريد توفير كامل طاقتي للغد (ضد بولندا) لأنها ستكون معركة أخرى".

وتابع "بالنسبة إلى الرقم القياسي، هذا أمر سأقدره حين تنتهي البطولة وآمل أن تنتهي بأفضل طريقة ممكنة".

وبعدما جلس على مقاعد البدلاء في الخسارة الهامشية أمام تونس (0 – 1) في الجولة الختامية لدور المجموعات، يعود بطل مونديال 2018 إلى تشكيلة المدرب ديدييه ديشامب الأحد على ملعب الثمامة في الدوحة.

وأشاد ديشامب الذي خاض خلال مسيرته 103 مباريات دولية وكان قائد المنتخب المتوج عام 1998، بحارسه معتبرا أن "الأرقام القياسية وجدت من أجل أن تحطم. من البديهي أن بعض الأرقام ترتدي أهمية أكثر من غيرها وهذا الرقم يتحدث عن نفسه، أن يخوض كل هذه المباريات وأن يلعب طيلة هذه الأعوام على أعلى المستويات".

> لوريس سيعادل الأحد رقم تورام الذي خاض 142 مباراة دولية على مدى 14 عاما توجها بإحراز مونديال 1998 على أرضه

وعلى الرغم من ترشيح فرنسا لتخطي عقبة بولندا استنادا إلى المستوى المتواضع الذي قدمته الأخيرة في مبارياتها الثلاث في دور المجموعات، حذر لوريس من مغبة الاستهتار بالخصم الذي يضم في صفوفه أحد أكثر المهاجمين فتكا في العالم بشخص روبرت ليفاندوفسكي.

وتحدث لوريس عن مهاجم برشلونة الإسباني حاليا وبايرن ميونخ الألماني سابقا، قائلا "فرض نفسه كأحد أفضل من يرتدي الرقم 9 في العالم لأعوام طويلة، لكنهم فريق جيد جماعيا ويستمتعون في الدفاع والمعاناة".

ماركوس راشفورد يأمل في التعويض مع إنجلترا

الدوحة - سلك مهاجم منتخب إنجلترا ماركوس راشفورد طريقا طويلة وصعبة في بعض الأحيان لاستعادة الثقة بنفسه والتي بدت محطمة، لاسيما بعد أن كان أحد ثلاثة لاعبين أضاعوا ركلة ترجيحية تسببت بخسارة إنجلترا نهائي كأس أوروبا صيف عام 2021 ضد إيطاليا.

وبعد إخفاقه في ركلته الترجيحية، عاش راشفورد موسما صعبا في صفوف مانشستر يونايتد، خاض فيه 13 مباراة في الدوري الإنجليزي الممتاز وسجل 4 أهداف فقط، قبل أن يستعيد مستواه في الأشهر الأخيرة بإشراف مدرّبه الهولندي إريك تن هاغ الذي ساعده كثيرا ويؤمن بقدراته.

وانتزع مركزه في التشكيلة الرسمية لمنتخب "الأسود الثلاثة" المشاركة في مونديال قطر في اللحظة الأخيرة، علما وأنه غاب عن صفوف منتخب بلاده منذ إهداره ركلة الجزاء في نهائي البطولة القارية قبل 16 شهرا.

وقد استفاد المنتخب الإنجليزي بأفضل طريقة ممكنة من الحالة النفسية الرائعة التي يعيشها راشفورد حاليا، وذلك خلال مباراة فريقه ضد ويلز بتسجيله هدفين رائعين أحدهما من ركلة حرة مباشرة، والثانية بمجهود فردي، أضافهما إلى هدف في مرمى إيران سجله بعد 48 ثانية من نزوله احتياطيا، ليتساوى في صدارة ترتيب الهدافين برصيد 3 أهداف مع لاعبين آخرين أمثال الفرنسي كيليان مبابي والهولندي كودي خاكبو.

وبالإضافة إلى احتفاليته بالهدفين في مرمى ويلز فإنها كانت لحظة مؤثرة لراشفورد الذي رفع يديه إلى السماء وقال في هذا الصدد لدى سؤاله عن المغزى من هذه الحركة "لقد خسرت أحد أصدقائي مؤخرا قبل يومين. عانى من معركة طويلة مع السرطان، أنا سعيد لأنني سجلت من أجله، لقد كان صديقا مقرّبا لي وسندا كبيرا. كان شخصا مؤثرا في حياتي".

ولا شك أن راشفورد الذي شارك أساسيا للمرة الأولى في كأس العالم الحالية ضد ويلز، سجل نقاطا ليخوض مباراة الدور ثمن النهائي ضد السنغال الأحد من البداية.

وأشاد به مدربه غاريث ساوثغيت بعد المباراة بقوله "كان التحدي كبيرا أمامه. ذهبت لرؤيته خلال الصيف، وتحدثت معه طويلا".

وتابع "كانت لديه أفكار واضحة عن الأمور التي يمكن أن يعمل عليها. تستطيعون رؤية السعادة من خلال عروضه مع ناديه في الآونة الأخيرة. تستطيعون رؤية ذلك أيضا في تدريبات المنتخب الإنجليزي. لدينا لاعب مختلف تماما عن الذي كان معنا في نهائيات كأس أوروبا العام الماضي. إنه أمر رائع له ولنا".

وكان لسان حال زميله في مانشستر يونايتد هاري ماغواير مماثلا بقوله "أنا سعيد من أجله، ينتمي راشفورد إلى المسرح الكبير".

وأضاف "على مدى العام الماضي، كان خارج تشكيلة المنتخب الإنجليزي لكنه استعاد مستواه هذا الموسم مع مانشستر يونايتد. إنه لاعب في غاية الأهمية لمنتخبنا".

أما زميله الآخر لوك شو فقال "يملك موهبة رائعة وفي بعض الأحيان لا أحد يستطيع مواجهته، وهذا ما أظهره ضد ويلز. لديه النوعية ليصنع الفارق. إنه لاعب مدهش".

ويبقى أن يقود راشفورد منتخب بلاده إلى الكأس المرموقة ليمحو نهائيا آثار الركلة المهدرة أمام إيطاليا ويرسّخ اسمه في تاريخ الكرة الإنجليزية.

نجوم صاعدة تخطف الأضواء في سماء الدوحة

الدوحة - لطالما احتل الأرجنتيني ليونيل ميسي والبرتغالي كريستيانو رونالدو والفرنسي كيليان مبابي العناوين الأبرز بعد أن تأهلت منتخباتهم من دور المجموعات لمونديال قطر 2022، لكنّ هناك مجموعة من اللاعبين الآخرين ظهروا بصورة مغايرة وتمكنوا من خطف الأضواء في سماء الدوحة.

وبعد تجاوز دور المجموعات، باعتباره أطول دور في المسابقة أين يخوض خلاله كل منتخب ثلاث مباريات من أجل العبور إلى الدور الثاني، برز خمسة نجوم مع المنتخبات المشاركة أبلوا البلاء الحسن وتركوا انطباعا جيدا لدى أغلب المراقبين الذين يتوقعون لهم مستقبلا بارزا برفقة أنديتهم أو في قادم المشاركات.

النجم البارز الأول هو تايلر أدامس المنتمي إلى منتخب الولايات المتحدة. يتميّز لاعب وسط ليدز يونايتد الإنجليزي بالهدوء داخل الملعب وخارجه، حيث حجزت بلاده مكانا لها في ثمن النهائي بفوز "ناري" على إيران 1 – 0 في الجولة الأخيرة.

واختير قائدا للمنتخب الأميركي قبل نهائيات كأس العالم مباشرة، وكان اللاعب البالغ من العمر 23 عاما قدوة يحتذى بها في قيادة خط وسط شاب جدا، إذ يلعب جنبا إلى جنب مع وستون ماكيني ويونس موسى، واستطاع أن يظهر عن قدرة عالية على التعامل في المواجهتين أمام إنجلترا وويلز. وأظهر أدامس أيضا نضجا ورباطة جأش ملحوظين حيث تعامل ببراعة مع أسئلة لا علاقة لها بكرة القدم قبل مباراة إيران المشحونة سياسيا. ونالت عروضه في قطر أنظار بعض أكبر الأندية في أوروبا.

النجم الثاني وهو كودي خاكبو المنتمي إلى فريق الطواحين الهولندية وهو اللاعب الوحيد الذي سجل في جميع المباريات الثلاث ضمن الدور الأول، واستكمل مستواه المتألق مع آيندهوفن الهولندي إلى كأس العالم. وقال عنه لويس فان غال مدرب هولندا "لديه كل ما يلزم ليصبح نجما".

إنها بالتأكيد مسألة وقت فقط قبل أن يخرج من الدوري الهولندي وينتقل إلى ناد أوروبي كبير حيث يعد مانشستر يونايتد وجهة محتملة.

أما النجم الثالث فهو إنسو فرنانديس الذي يخوض السباق مع منتخب بلاده الأرجنتين. لم يبدأ فرنانديس كأساسي في أيّ مباراة مع التانغو قبل كأس العالم، لكنّ أداءه في قطر جعله عنصرا بارزا في تشكيلة ليونيل سكالوني.

وخرج لاعب الوسط البالغ من العمر 21 عاما من مقاعد البدلاء ليسجّل هدفا رائعا ضد المكسيك، ثم صنع الهدف الثاني لفريقه بعد أن بدأ أول مباراة له كأساسي في الفوز 2 – 0 على بولندا.

النجم الرابع هو جود بيلينغهام المشارك مع منتخب إنجلترا في بطولته الدولية الثانية بعد أن لعب لمنتخب إنجلترا في كأس أوروبا العام الماضي. ومن السهل أن ننسى أنه لا يزال عمره 19 عاما فقط. إذ أصبح لاعب بوروسيا دورتموند الألماني جزءا لا يتجزأ من خط وسط غاريث ساوثغيت في قطر، وأعلن عن نفسه بقوة بتسجيله هدفا في فوز إنجلترا على إيران 6 – 2.

واكتسب بيلينغهام الكثير من الخبرة في المباريات الكبيرة مع دورتموند وبدا مرتاحا تماما إلى جانب ديكلان رايس حيث تصدرت إنجلترا المجموعة الثانية.

كذلك نجد نجم كرواتيا يوشكو غفارديول الذي نجح في إنقاذ بلاده من الخروج من الدور الأول أمام بلجيكا في اللحظات الأخيرة إثر إبعاده محاولة خطيرة للمهاجم روميلو لوكاكو.

وأصيب اللاعب البالغ من العمر 20 عاما بكسر في أنفه وعانى من تورم شديد حول عينه اليمنى قبل أسبوع من البطولة بعد اصطدامه بزميل له في فريق لايبزيغ الألماني لكن ذلك لم يؤثر على أدائه. ولم يبرز كرجل مقنع فحسب، بل ظهر أيضا باعتباره حجر الأساس لخط دفاع كرواتيا الذي تم اختراقه مرة واحدة فقط حتى الآن.

وقال عنه زلاتكو داليتش مدرب كرواتيا "إنه أفضل مدافع في العالم"، وتابع "حتى لو لم يكن الآن رقم واحد، فإنه سيصبح الرقم واحد".

تألق لافت

العرب
الأحد 2022/12/04
السنة 45 العدد 12617

بيت لحم.. ترتدي حلة عيد الميلاد

في كل موسم من احتفالات عيد الميلاد تتزين مدينة بيت لحم لهذه المناسبة التي يقبل عليها المسيحيون من مختلف دول العالم، وهي أيام تزدهر فيها السياحة وتنتعش فيها التجارة وهو ما يتوقعه التجار والعاملون بالقطاع السياحي.

بيت لحم (فلسطين) - ارتدت مدينة بيت لحم، جنوبي الضفة الغربية الفلسطينية، حلتها ابتهاجا باحتفالات عيد الميلاد لهذا العام، وسط انتعاش السياحة بعد عامين من جائحة كورونا.

واصطف الآلاف من السياح أمام كنيسة المهد، والتي تعتبر أقدس موقع ديني مسيحي في العالم، فيما تواصل بلدية بيت لحم تزيين المدينة بنجمة الميلاد والأحبال المضيئة.

وتعتبر مدينة بيت لحم وجهة للمسيحيين في العالم لأنها تضم كنيسة المهد التي بنيت على يد قسطنطين الأكبر العام 330 م فوق كهف أو مغارة ولد فيها السيد المسيح.

ويعتقد أن كنيسة المهد هي أقدم الكنائس الموجودة في العالم، كما أن هناك سردابا آخر قريبا يعتقد أن القديس جيروم الذي كلفه البابا داماسوس أسقف روما العام 383 م بترجمة الإنجيل من الآرامية والعبرية إلى اللاتينية، قد قضى ثلاثين عاما من حياته فيه يترجم الكتاب المقدس. ويحج المسيحيون من كافة أرجاء العالم إلى بيت لحم، أواخر ديسمبر من كل عام، احتفالا بعيد الميلاد.

وعلى بعد أمتار قليلة من الكنيسة، تنتظر تماثيل للبابا يوحنا بولس الثاني وللبابا فرنسيس في واجهة محل للهدايا التذكارية، من يشتريها. وداخل المحل، يحتفل فكتور إبيفان تاباتش وهو يجلس وراء منضدة المتجر الصغير الذي يعج بالتماثيل والمجسمات الخشبية للمغارات.

وبالنسبة إليه، كما هو الحال بالنسبة إلى العديد من التجار حول ساحة المهد وبالكثير من التفاؤل تستعيد المدينة أجواء الفرح لتعوض ما فاتها العام الماضي.

وقال الأب عيسى ثلجية، كاهن رعية الروم الأرثوذكس، إن بيت لحم وكنيسة المهد تتألقان بحلتهما الجديدة استعدادا لاحتفالات عيد الميلاد.

وأعرب ثلجية عن أمله في أن "تكون هذه السنة مختلفة، وأن يعم السلام على الجميع".

وأشار إلى أن "كافة أنظار العالم المسيحي تتجه نحو بيت لحم في مثل هذا الوقت من كل عام، بصفتها أرض الميلاد". وقال "ميلاد المسيح في بيت لحم، أعطاها طابعا خاصا". لكن ثلجية، لفت إلى أن "نأمل أن يكون الموسم حافلا بالزبائن"، مشيرا إلى أن "احتفالات الكشافة بدأت تقرع الطبول وتطلق الأبواق في موكبهم إيذانا ببداية الاحتفال.. ونحن في انتظار الزبائن".

في الخارج، تلتقط مرام سعيد صورة سيلفي عائلية أمام الشجرة الكبيرة المزينة بكرات حمراء وذهبية. وأكدت هذه المقدسية المسيحية أنها أيام فرح تنسينا المعاناة طيلة السنة الماضية وما قبلها".

وقال حنا حنانيا عمدة بلدية بيت لحم إن "المدينة أنهت استعدادها للاحتفال بعيد الميلاد هذا العام".

وأضاف حنانيا، من مقر البلدية، "هذا العام سيكون مميزا، تم تزيين كافة شوارع المدينة وأزقتها القديمة.. إن الميلاد هو بداية جديدة تمتلئ بالفرح والرجاء والأمل بغد أفضل".

وكشف عمدة المدينة أن بيت لحم تعج بالسياح والحجاج المسيحيين، مؤكدا أن بيت لحم مهد المسيح والأرض المقدسة أحوج ما تكون إلى السلام قائما على العدل ومحبة البشر والعيش بحرية وكرامة.

ويعمل في بيت لحم 70 فندقا تضم 4700 غرفة، فيما ينشط ما يزيد عن 33 ألف عامل فلسطيني في مجال السياحة في محافظات الضفة الغربية تتركز النسبة الأكبر منهم في بيت لحم بحسب إحصائيات فلسطينية رسمية.

وفي ديسمبر 2021 أصيب القطاع السياحي في بيت لحم بخيبة أمل بعد أن ألغيت جميع الحجوزات في الفنادق بسبب تفشي وباء كورونا.

في انتظار السياح

وتابعت صليبا "نحاول إنعاش السياحة الداخلية، بيت لحم تضررت بشكل كبير بسبب فرض الإغلاقات ومنع السياحة، لكن نأمل أن تعود كما السابق". وبدأت احتفالات عيد الميلاد في بيت لحم، السبت، بحفل إنارة شجرة الميلاد، والتي تتوسط ساحة المهد المقدسة في بيت لحم.

وتكون ذروة أعياد الميلاد ليلة 24 من نفس الشهر، (حسب التقويم الغربي)؛ حيث يقام قداس منتصف الليل، بحضور عدد من الشخصيات الرسمية الفلسطينية، والوزراء من دول عربية وأجنبية، والآلاف من الحجاج.

وتعد شجرة بيت لحم واحدة من أشهر وأجمل أشجار الميلاد في كل عام.

الفلسطينيين؛ مسيحيين ومسلمين، يعيشون غصة بفعل تردي الأوضاع السياسية وتصاعد الاقتحامات.

وقال "نرفع أيدينا إلى الله، أن يعم السلام، ويُنهي الحروب والأوجاع والاضطهاد والقتل".

وتستعد رديفة صليبا (67عاما) من مدينة "شفا عمرو" (شمال)، لزيارة الكنيسة برفقة صديقاتها، وتقول "سنزور بيت لحم، المكان الأقدس لنا، صلينا وندعو الله أن ينفك الوباء وتعود بيت لحم كما السابق".

وأشارت إلى أنها تزور بيت لحم لأول مرة منذ ثلاث سنوات، بينما كانت تأتيها في المناسبات الدينية من كل عام.

إلتون جون يودع جمهوره البريطاني من غلاستونبري

لندن - تشكّل الحفلة التي سيحييها إلتون جون في الخامس والعشرين يونيو المقبل ضمن مهرجان غلاستونبري، وهي "الأخيرة" له في المملكة المتحدة، "أفضل طريقة" في رأي النجم البالغ 75 عاماً "لتوديع" مواطنيه البريطانيين، قبل أيام من آخر جولة دولية له.

وغرّد منظّمو المهرجان الجمعة "يسعدنا كثيراً الإعلان عن أنّ إلتون جون الفريد سيكون نجم مهرجان غلاستونبري"، موضحين أنها ستكون حفلته الموسيقية الأخيرة في المملكة المتحدة ضمن جولته الوداعية.

وعلّق المغنّي والكاتب والملحّن الذي تمتد مسيرته الفنية إلى نحو نصف قرن بقوله "ما من طريقة أفضل لتوديع جمهوري البريطاني". وأشار إلى أن أعضاء جمهوره "كانوا أكثر من مميزين"، ونقل عنه وكيل أعماله قوله إنه "متشوق" للمشاركة في "روحية أكبر مهرجان في العالم".

وأوضحت إميلي إيفيس منظمة المهرجان الذي يقام سنوياً في جنوب غرب إنجلترا وابنة مؤسسه في تغريدة على تويتر، أنّها المرة الأولى التي يشارك فيها إلتون جون في المهرجان. وأضافت "سنختتم المهرجان بإقامة مراسم وداعية لا تُنسى في هذه اللحظة المهمة لتاريخينا على السواء".

وستكون مشاركة إلتون جون في المهرجان البريطاني آخر محطة كبرى في جولته التي تنتهي في مطلع يوليو بحفلة في ستوكهولم، ويختتم بها صاحب "روكيت مان" و"تايني دانسر" وغيرهما الكثير من الأغنيات، جولة وداعية تشكّل مسك الختام لمسيرته الفنية.

وكانت هذه الجولة الوداعية التي تحمل عنوان "فيرويل ييلو بريك رود" بدأت عام 2018، وكانت تشمل في الأساس أكثر من 300 حفلة في مختلف أنحاء العالم، لكنّ جائحة كورونا عطلتها، ثم عملية جراحية في الورك عام 2021 وبعدها إصابته بفايروس كورونا.

وولد المغني، واسمه الحقيقي ريجينالد دوايت، في الخامس والعشرين مارس 1947 في الضواحي الشمالية الغربية للندن، وهو "متزوج" من المغني ديفيد فورنيش ولديه طفلان يبلغان 11 و9 سنوات.

وقد بيعت أكثر من 300 مليون نسخة في كل أنحاء العالم من أسطوانات "السير إلتون" الذي منحته الملكة إليزابيث الثانية لقب فارس عام 1998 لمساهمته في الموسيقى ودعمه الجمعيات التطوعية، علماً أنه ملتزم جدًا بمكافحة الإيدز.

إليسا تطلب سيلفي من آندي غارسيا

جدة (السعودية) - أحيت الفنانة اللبنانية إليسا حفلا غنائيا ساهرا مساء الجمعة بمدينة جدة على هامش مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي.

وقدمت إليسا في الحفل أغنيات عديدة حققت بها شهرة واسعة في الوطن العربي منها "يلا نغني"، "عايشالك"، "أحلى دنيا" وأغنيتها الجديدة "أنا وبس" وكذلك "من أول دقيقة" التي قدمتها في دويتو مع النجم المغربي سعد المجرد هذا العام وحققت بها نجاحا كبيرا وتفاعل معها الحاضرون بقوة.

وحضر الحفل عدد من كبار الشخصيات منهم شارون ستون وميشال رودريغيز وجاي ريتشي والنجمة الهندية بريانكا شوبرا، كما حضر عدد كبير من النجوم العرب منهم أمينة خليل ولبلة وبوسي.

وتوقفت الفنانة إليسا عن الغناء لتعبّر عن حبّها للممثل العالمي آندي غارسيا الذي تواجد بين الحضور، وقالت "لا يمكنني إلا أن أتوقف عن الغناء لأقول إن آندي غارسيا هو الممثل المفضّل عندي".

وتابعت "أريد صورة تذكاريّة مع آندي غارسيا".

واحتفلت النجمة إليسا مؤخرا بالنجاح الكبير لأغنية "من أول دقيقة" التي حققت 300 مليون مشاهدة في أقل من 6 أشهر، حيث نشرت بوستر الأغنية عبر حسابها على تويتر، معلقة عليها "300 مليون بوسة ليكم كلكم"، والأغنية من كلمات أمير طعيمة وألحان رامي جمال.

وطرحت النجمة اللبنانية كليب أغنيتها الجديدة "أنا وبس" مؤخرا، وهي من كلمات أحمد ماضي، وألحان زياد برجي، ومن إخراج إنجي الجمال. وبهذا الكليب تعود إليسا إلى الرومانسية.

ملهى «لو ليدو» الباريسي يعود بالمسرحية الغنائية «كباريه»

باريس - أعيد الخميس فتح ملهى "لو ليدو" الباريسي الشهير باسمه الجديد "ليدو 2 باريس"، وعُرضت في الافتتاح مسرحية "كباريه" الغنائية التي ذكّر اسمها بالطابع السابق للملهى رغم صرف النظر عن الاستعراضات التي كانت تقدمها راقصات الريش.

ولم تتغير الصالة البانورامية في الملهى الذي استحوذت عليه في 2021 مجموعة الفنادق الفرنسية "أكور" من مجموعة المطاعم "سوديكسو" بعدما تسبب لها بخسائر على مدى سنوات عدة.

ويأمل الملهى في جذب جمهور جديد من خلال مسرحية "كباريه" التي عُرضت للمرة الأولى في برودواي عام 1966، وتدور أحداث القصة في برلين خلال ثلاثينات القرن العشرين في خضم صعود النازية، وتتمحور حول كاتب أميركي شاب يقع في حب راقصة استعراضيه في ملهى "كيت كات كلوب".

ورغم كونها مسرحية غنائية ذات طابع سياسي، بما فيها من أغنيات تنتهي بالتحية النازية، وصور لزعماء دكتاتوريين ومستبدين على شاشة عملاقة، تذكّر "كباريه" بعالم "لو ليدو" السابق من خلال مشاهد الرقص الاستعراضي والغناء في "كيت كات كلوب".

وقال رئيس "ليدو" الجديد ومديره الفني جان لوك شوبلان إن "الصفحة الثانية من ليدو تفتح"، مضيفا، أنه يريد أن يجعل "ليدو" مجددا "مكانا استعراضياً للباريسيين".

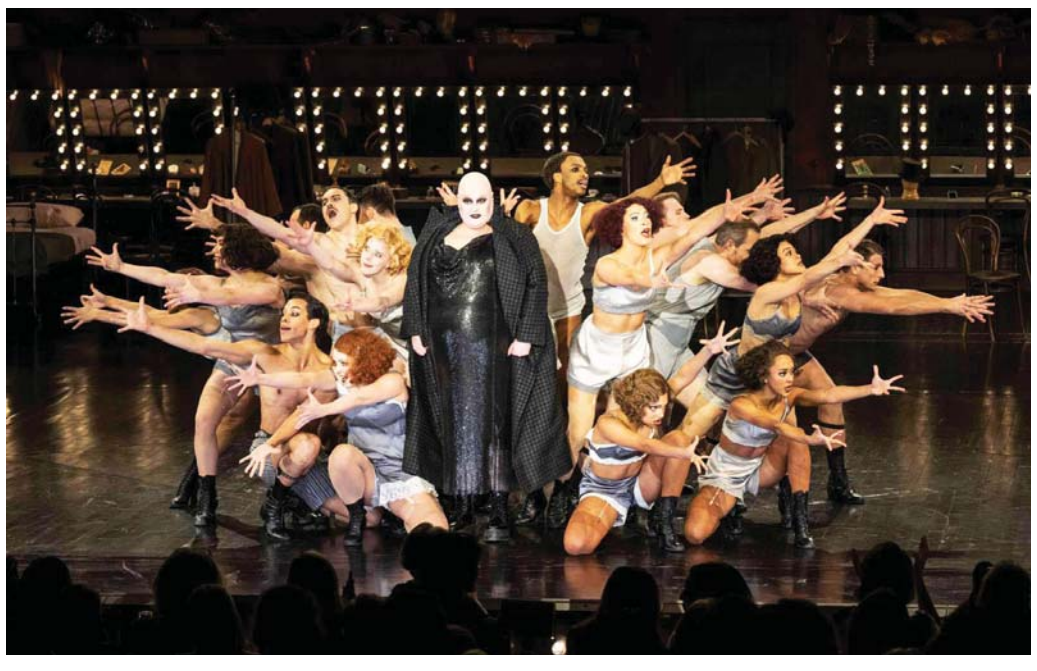

ديور في الجيزة

القاهرة - استقبلت أهرامات الجيزة عرض دار الأزياء الفرنسية الفاخرة "ديور" لمجموعة الخريف والشتاء السبت، والذي يقام لأول مرة في مصر بحضور نجوم عالميين.

وكشفت "ديور" عن بعض ضيوف عرض مجموعتها الرجالية لخريف 2023 المقرر إقامته في أهرامات الجيزة.

وهذه هي المرة الأولى التي تستضيف فيها دار الأزياء الفرنسية عرضًا في مصر وحضر فيه نجوم من أمثال روبرت باتينسون وسيهون أوه ومينا مسعود وتشا أون - وو وغيرهم، وكذلك المرة الأولى التي يقام فيها عرض أزياء عالمي كبير أمام هذا المعلم الشهير.

وأقيم آخر عرض أزياء كبير في أكتوبر في الأقصر، حيث اجتمع أكثر من 350 ضيفًا من جميع أنحاء العالم لحضور الاحتفال بالذكرى الخمسين لدار الأزياء الإيطالية الفاخرة ستيفانو ريتشي.

صباح العرب

مختار الدبابي

حين يلتصق الشِّعر بحياة الناس

ليس مقالا في هوية الشّعر، ولكن في البحث عن التصاقه بالحياة.

القصة ترتبط بوزيرة المرأة في تونس، الشاعرة التونسية المعروفة عربيا آمال موسى، وصاحبة دواوين «أنثى الماء» و"خجل الياقوت" و"يؤنثني مرّتين" و"الحياة لم تضع بعد مساحيقها".

الوزارة اسمها وزارة الأسرة والمرأة والطفولة وكبار السن. وزارة لا تجلب الأضواء سياسيا، وليس فيها تصادم مع المعارضة أو اتحاد الشغل، وهذا عنصر سمح للوزيرة أن تعمل براحة وبعيدا عن الأضواء، سوى أضواء تصنعها بنفسها من خلال تنقلات ولقاءات يومية يُنشر البعض من تفاصيلها على حسابها أو حساب الوزارة في فيسبوك.

ما يثير هنا أن الشاعرة التي تغرق عادة في قضايا النصوص وعالم من الرموز والأساطير، وقصيدة النثر أو التفعيلة، باتت تلتصق بالتفاصيل الحسية للحياة اليومية للناس خاصة فئة المسنين والأطفال وتعيش على وضع قضايا النساء في مجتمعات عربية يسيطر عليها العنف بأنواعه ضد المرأة.

هناك خلايا متنقلة ومراكز إرشاد تعنى بالوقوف إلى جانب المرأة المعنفة ودعمها قانونيا ونفسيا وتوجيهها لاستعادة حقها، والهدف تأكيد أن الانتصار للمرأة ليس شعارات سياسية ولا نرجسية تستغرق الكتابة النسوية في النثر والشّعر، ولكن هو تفاصيل صغيرة تقود إلى البحث عن العدل والإنصاف والتضامن، وهي القيم التي يسعى لتحقيقها الشعر، وإن بمفردات ملتبسة تحتاج إلى التأويل.

هل يمكن للشاعر أو المثقف أن يلامس مثله من خلال الالتصاق بالناس، والوقوف على حياة المسنين، أو تتبع أخبار البنت التونسية التي رمى بها والداها في قارب لمهاجرين بصورة غير قانونية وتصل إلى إيطاليا، وتساهم الوزارة مع غيرها في استعادة البنت وإعادتها إلى أسرتها.

هل يقدر الشاعر/المثقف الذي يميل عادة إلى التعالي عن تفاصيل الناس وهمومهم اليومية، أن يتنقل صباح مساء بين الأحياء الشعبية والقرى البعيدة عن العاصمة لتدشين رياض حكومية للأطفال بعد أن وضع القطاع الخاص يده على هذا المجال الحساس في حياة الأسر التونسية، وحوّله إلى عبء مالي بخدمات محدودة.

يمكن أن تكون تجربة الشّعر الملتصق بالناس بعيدا عن الضجة في تجربة تونسية، وبالتأكيد ثمة حالات عربية أخرى ولكن محدودة، إشارة للمثقفين كي يمزجوا بين الإبداع كحالة فردية لها طقوسها وقد يكون من بينها العزلة، وبين النزول إلى حياة الناس وتعقيداتها، ففيها يلتقطون اللحظة الشعرية، واللمعة التي تبني القصة القصيرة، والمعاناة التي تراكم تجارب الروائي.

لكن الأهم أنها تربط بين الإبداع والحياة، بين المثقف والالتزام، فليس هناك شعر للشعر، أو التزام منغلق على النفس، وإلا صار بلا جدوى.